دعوة الإسلام

ديوان خطب منبرية حديثة
جيدة المبنى ، نيرة المعنى

تأليف
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ
محمد مصطفى أبو العلا
المدير العام للتعليم الابتدائي
بالأزهر الشريف / سابقاً

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة القاهرة
لصاحبها الحاج علي يوسف سليمان
شارع الصنادقية بالأزهر الشريف

الترهيب من المكر السيء

والأمن من مكر الله تعالى : بالاسترسال فى المعاصى

الحمد لله ، الذى — يعلم السر وأخفى ، وقال : (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً)(١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : يطرد من رحمته من يمكر بالمؤمن المطيع : ليضره أو يؤذيه : قال رسوله المصطفى «(٢) ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به » .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : تنزه عن المكر السيء ، ولم يأمن مكر الله ، فلم يغفل عن طاعته تعالى : وكان يكثر أن يقول : «(٣) يامثبت القلوب ثبت قلبى على دينك » .

اللهم صل وسلم على هذا الرسول الكريم سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، الصرحاء الشجعان ، الذين كان مكرهم حسناً : النفع والإحسان .

---

(١) ولا يبخسون من ثواب أعمالهم شيئاً ما ولو تافهاً حقيراً كالنقير : النقرة فى ظهر النواة .

(٢) رواه الترمذى عن أبى بكر (ض) .

(٣) رواه الترمذى عن أنس (ض) .

أما بعد : فيا عباد الله :

من الرسل — صالح عليه السلام :

أرسله سبحانه إلى قومه : ثمود ، وقد كانوا يسكنون الحجر : واد بين الشام وبين المدينة المنورة .

فدعاهم إلى عبادة الله ، فآمن منهم فريق به ، وكفر فريق آخر : منهم تسعة أشخاص : دبروا لقتله : مع من آمن معه — بغتة . فى الليل ، وهم لا يشعرون — أن تدبير الله فوق تدبيرهم : (والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) ، فنفذ تدبيره تعالى : بنجاة صالح ومن آمن معه ، ومجازاة المتآمرين عليهم من فوقهم : بالإهلاك . والتدمير على غرة ، وغفلة .

وفى ذلك — يقول تعالى : (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

فالمكر هو التدبير الخفى ، فإن قصد به المرء ضرر غيره وإيذاءه — كان مكراً سيئاً ، وإلا كان حسناً محموداً . ومكر الله تبارك وتعالى : هو مجازاته للعبد من حيث لا يشعر ، والجزاء من جنس العمل ، فهو عدل ، والعدل لا يكون إلا حسناً .

فمن فاجأه الله تعالى بخير على تقوى منه وطاعة له : تعالى ، وهو الرزق من حيث لا يحتسب فى قوله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) — كان مكراً منه تعالى ، ولذته عظيمة .

ومن فاجأه بعقاب على المعصية — كان مكراً منه تعالى ، وأَلَم ذلك العقاب شديد : (والله شديد العقاب) .

عباد الله :

الهرمزان ، أحد دهاة الفرس ، أعداء المسلمين : لما أراد عمر بن الخطاب قتله : وإراحة المسلمين من شره استسقى ماء ، فأتى بوعاء فيه ماء ، فأمسكه فى يده ، واضطرب : ملتمساً الأمان حتى يشرب ، فأمنه عمر ، فأراق الماء ، فأمر عمر بقتله ، فقال له : أو لم تؤمنى حتى أشرب ولم أشرب فقال عمر : أخذت منى أماناً ولم أشعر ، أى مكرت بى حتى نجوت فمثل هذا المكر حسن محمود ، ومنه مكر الضحاك بن مزاحم ، أحد سلفنا الصالح : بنصرانى : قال له : ما زلت محباً للاسلام : إلا أنه يمنعنى منه حبى للخمر ، فقال له الضحاك : أسلم وأشربها ، فلما أسلم — قال له : إن شربتها أقمنا عليك حد الخمر : ثمانين جلدة ، وإن ارتددت عن الإسلام قتلناك ، فاختر لنفسك ، فاختار الإسلام وحسن إسلامه .

وهكذا كان أثر مكر الضحاك بالنصرانى — فوزاً بالإسلام ونجاة .

ومن المكر الحسن — ما كان من أبى كاهل الصحابى : من كذبه على الصحابيين ، اللذين كانا متخاصمين : بإخباره كلا منهما أن الآخر يحسن الثناء عليه ، حتى اصطلحا ، ولما ظن أنه أهلك بذلك نفسه — قال له ﷺ : «[1] يا أبا كاهل أصلح بين الناس ، أى ولو بالكذب .

ومكر حسن : المكر فى مقاومة الأشرار : بلغ عضد الدولة أحد ولاة العراق فى الدولة العباسية — أن قوماً من الأكراد — يقطعون

---

(١) رواه الطبرانى .

الطريق ويقيمون فى جبال شاهقة : ولا يقدر عليهم ، فاستدعى بعض التجار ، ودفع إليه بغلا : عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة ، كثيرة الطيب : فى ظروف فاخرة ، ودنانير وافرة ، وأمره أن يسير مع القافلة ، ويظهر أن هذه هدية لإحدى نساء الأمراء ، ففعل التاجر ذلك ، وسار أمام القافلة ، فنزل قطاع الطريق وأخذوا الأمتعة ، والأموال ، ثم انفرد أحدهم بالبغل ، وصعد به إلى الجبل ، فوجد الحلوى فقبح على نفسه — أن ينفرد بها : دون أصحابه ، فاستدعاهم ، فأكلوا على مجاعة ، فاتوا عن آخرهم ، وأخذ أرباب الأموال — أموالهم : وهكذا — يعين الله تعالى — ذوى المكر الحسن فى الفدائيين فى بلادنا التى اغتصبها أعداؤنا ، ومن كان الله فى عونه — كان النصر حليفه ، وقد قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .

وأما المكر السىء . والاحتيال للايذاء ، والخداع لإيقاع الضرر بالمخدوع — فعاقبته فى الدنيا الخزى والفشل . والخيبة والخسران : فإن الماكر المسىء المخادع — لا يلبث أن ينكشف أمره . وتظهر حقيقته ، وينفضح مستوره ، فينبذه الناس ، ويأخذوا حذرهم منه . وربما فكر ماكر بوضع السم لغيره ، فكان نصيبه فأهلكه .

روى الزهرى أن النبى ﷺ قال : « لا تمكروا ولا تعينوا ماكراً » : فإن الله يقول (ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله) .

وللماكر المسىء سوء المصير ، يوم البعث والنشور : (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

قال تعالى : (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) .

ويا قوم :

مكر آل فرعون بمؤمن منهم لضرره (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً — أى فى القبر — ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

وهكذا المؤمنون الطائعون : فى حفظ من مكر المسيئين : مكر كفار قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا أمرهم على الفتك به ليلة الهجرة ، فأحبط الله مكرهم ، وأفسد تدبيرهم ، وأذلهم ، وعصم رسوله منهم ، فخرج صلى الله عليه وسلم من بيته : فى رعاية الله ، وحفظ الله : يحثو التراب على رءوسهم ، وفى ذلك — قال تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

فشأن الماكرين — فى كل زمان ومكان — يحبط الله أعمالهم ، ويضل سعيهم ، ويرد سهامهم إلى نحورهم : قال تعالى : (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون .

ألا وإن المكر السيء ، الذى به أذى الناس وضرهم — غش وخيانة .

والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم .

فلا يليق بمن ينتسب إلى الإسلام ، ويقول : أنا مؤمن — أن يكون ماكراً مكراً سيئاً ، ولا يليق به أن يأمن مكر الله ، فيسترسل فى المعاصى ، ويتمادى فى ارتكاب ما يسخط الله : متكلا على رحمته . جل علاه : فقد

قال سبحانه : (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) .

فلا يغرنك — أيها العاصى حسن حالك فى الدنيا مع العصيان : اسمع قول رسولنا المعصوم ﷺ : «(١) إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب ، وهو مقيم على معاصيه — فإنما ذلك منه استدراج » : استدناء له قليلا قليلا — إلى ما يهلكه ، ويضاعف عقابه ، ثم تلا : ﷺ — قوله تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) : أى آيسون من النجاة وكل خير سديد ، ولهم الحسرة . والحزن . والخزى : لاغترارهم بتتابع النعمة عليهم ، مع مقابلتهم لها بمزيد الإعراض والإدبار ، عن طاعة المنعم العزيز القهار (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

أيها المسلمون :

السلامة فى الدنيا من عقاب الله العاجل ، وللنجاة فى الأخرى من عذاب الله الآجل — اتقوا الله . وطهروا قلوبكم من خبائث المكر السيىء فى معاملتكم ، واملئوا قلوبكم بالإيمان : مصحوباً بمكارم الأخلاق ، وفعل الخيرات .

ولا تأمنوا مكر الله : بالتمتع بخيراته ونعمه ، مع عصيانكم له ، وتأملوا قصة بلعم بن باعوراء : عالم بنى إسرائيل ، حيث أمن مكر الله ، فقنع بالفانى ، وحكم الدنيا : عن الباقى من نعيم الجنة ، فأطاع هواه ، وقبل ما بذل له على أن يدعو على موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم ، فخرج

(١) رواه الإمام أحمد ، والطبرانى ، والبيهقى : عن عقبة بن عامر (ض)

لسانه فوقع على صدره ، وجعل يلهث كما يلهث الكلب ، وسلبه الله الإيمان والعلم والمعرفة وقال : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) . فأطيعوا الله ولا تعصوه أبداً ، واعملوا صالحاً ما استطعتم إلى ذلك سبيلا ، وانتبهوا لما انتبه له الربيع بن خيثم : قالت له ابنته : مالى أرى الناس ينامون . ولا أراك تنام ؟ فقال : يا بنتاه . إن أباك يخاف البيات : أراد قوله تعالى : (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا — أى عذابنا — بياتاً — أى ليلا — وهم نائمون) .

وضعوا نصب أعينكم المثل السائر : من(١) حفر لأخيه بئراً وقع فيها فالله تعالى العليم الخبير يعد له — يوقع فى السوء من أراده لغيره : (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

واحذروا المعاصى ، وقطع الساعات الطويلة فى المقاهى فى لعب الطاولة ونحوها (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) .

ولا تأمنوا مكر الله : بترك النصح لسواكم : انصحوه ليتوب ويتبع الحق . وبترك الباطل ، والله تعالى يقول : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) ، وانتبهوا لقوله تعالى :

(١) ويقول المثل العربى : من حفر لأخيه جباً وقع فيها منكباً .

(أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ، واسألوه تعالى حفظ الإيمان وزيادته : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

روى ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه : قال الله سبحانه وتعالى : وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين : إن أمننى فى الدنيا — أخفته يوم القيامة . وإن خافنى فى الدنيا آمنته يوم القيامة) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المكر والخديعة فى النار » رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن قيس بن سعد : رضى الله عنه .

حب الظهور يقصم الظهور

الحمد لله ، الذى به وحده النجاة من الضر والعصيان ، والفوز بالطاعة ، والنفع والإحسان ، ولنذكر الله كثيراً — أوصى كلامنا رسولنا الكريم ، فقال : (١) (أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنز الجنة) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، القائل : (قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى ما كان يرى الجاه إلا عند الله ، فما عمل عملا إلا ابتغاء رضاه : جل علاه ، وقد أوحى إليه (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين زهدوا فى الشهرة وحب الظهور : لأنهم لم يعملوا إلا لله العزيز الحميد الغفور .

أما بعد فيا عباد الله :

خرج المشركون من مكة لحماية تجارتهم من المسلمين ، فعلموا بنجاتها ،

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير ، وابن حبان فى صحيحه عن أبى أيوب (ض) .

وبإشارة أبي سفيان قائد رجالهما عليهم بالرجوع إلى مكة ، فقال أبو جهل أحد زعماء أولئك المشركين : لا نرجع حتى نحضر موضع بدر بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب : تقام فيه سوق كل عام للعرب ، فنقيم فيه ثلاث ليال : ننحر الجمال ونأكل ونشرب الخمر ، وتعزف علينا المغنيات ، فتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فساروا إلى بدر ، وهناك : في هذا المكان قاتلهم المسلمون بقيادة رسولنا ﷺ فأسر منهم سبعون ، وقتل سبعون : منهم أبو جهل .

وهكذا حب الظهور يقصم الظهور : يكسرها : يهلك وينتهي بأهله إلى شر مصير .

ولذلك قدوتنا ﷺ — لم يكن في حياته — محباً للظهور فما كان يعمل للحصول على منزلة في هذه الحياة الدنيا ، أو لاكتساب مفخرة مما يتفاخر به الناس ، ويتطاولون به على بعض .

وكيف يعمل لذلك ، وهو القائل : ((١) لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) وقد أوحى إليه ﷺ (إن الله لا يحب كل مختال فخور) : مختال : متكبر يختال في مشيته فخور : كثير المباهاة بنحو المال والجاه : (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) .

إنتباهاً. إنتباهاً. إن قدوتنا إمام المتقين : ﷺ — كان يبغض الظهور ويمقته ، وينفر من تميزه على أصحابه ، ولذلك عند إعدادهم الغداء بشاة في

---

(١) رواه الترمذي والضياء عن سهل بن سعد (ض) .

سفر ، فقال أحدهم على ذبحها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال ثالث : على طبخها — قال ﷺ : وعلى جمع الحطب ، فقالوا يا رسول الله : نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفونني ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى - يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه .

وقد اقتدى أصحابه به ﷺ ، فلم يحبوا الظهور ولا المباهاة بالدنيا ، ولا التميز على الغير : تأملوا قال رجل لعمر بن الخطاب : اتق الله يا أمير المؤمنين ، فأنكر الحاضرون هذا القول من الرجل ، وقال أحدهم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : فليقلها لى . نعم ما قال . لا خير فيكم إذا لم تقولوها لى ، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها منكم .

وهكذا : ياقوم - المسلمون حقاً - لا تتعلق نفوسهم بالمظاهر الكاذبة ، ولا يهمهم أن يحتفل بهم الناس ويعظموهم ، أو يعرضوا عنهم ويهملوهم ، ولا يرون أنفسهم - وهم محدودو القوى - فوق النصح والإرشاد والاستعانة برأى سواهم ، وإن هدفهم - الذى لا يغفلون عنه - هو رضا الله تعالى ، ولسان حالهم فى سلوكهم فى الحياة - يخاطبه سبحانه :

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

فالمسلمون المحمديون ، المقتدون بالرسول الكريم - يجاهدون نفوسهم ؛

المتاد السعي إلى كل فعل يرضى الله ، والبعد عن كل فعل يغضب الله : حرصاً على الرفعة والعزة . والسعادة . والنجاة والجاه : عند الله : في دنياه وأخراه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) .

وأنهم – بذلك الجهاد – يكونون عباد الله حقاً :

فأساس خير الدنيا والآخرة ، ومحبة الله – عبادته تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

ومن : ياقوم : من زعيم . أو غنيّ . أو ذي جاه : في الدنيا : بغير تقوى الله : كأبي بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو علي : في الشهرة والجاه ؟

إنهم : رضي الله عنهم – كما عبدوه : تعالى ، واتبعوا رسوله : ابتغاء رضاه تعالى – أظهرهم الله : للاقتداء بهم في فضائلهم : وليظلوا بعد وفاتهم – إلى الفضائل دعاة ، فلهم ثواب عملهم ، وثواب الاقتداء بهم ، الذي به – عملهم موصول غير مقطوع : قال ﷺ « (١) من دعا إلى هدى – كان له من الأجر مثل أجور من تبعه : لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه : لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

ولذلك لا للدنيا سأل إبراهيم خليل الرحمة ربه فقال : (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا ، وذكراً جميلا ، وصيتاً وقبولا في الأمم الآخرين ، باقياً إلى يوم القيامة ، وقد استجاب الله له ذلك وسجله في القرآن الكريم ، وكم تكرر الصلاة الإبراهيمية : في الصلاة وغيرها : اللهم

---

(١) رواه الإمام أحمد ، ومسلم عن أبي هريرة (ض) .

صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم .

وهكذا صالحو الأمة جميعاً ، المقتدى بهم - لم يعرف عنهم حب الشهرة والظهور : رغبة فى الدنيا ، ولذلك استوى عندهم إقبال الناس وإعراضهم ، وكان أبو بكر الصديق : رضى الله عنه - إذا مدح - قال : « اللهم أنت أعلم بنفسى منهم . اللهم اجعلنى خيراً مما يحسبون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون » .

وقد قال أبو العباس المرسى تلميذ الإمام أبى الحسن الشاذلى : « من أحب الظهور فهو عبد الظهور ، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ، ومن كان عبداً لله - فسواء عليه أظهره أو أخفاه » .

وذلك لأن مقصوده : هو إرضاء الله ، لا سواه ، ولسان حاله يقول :

لا نلت خيراً ما بقيـــت ولا عـدا فى الدهر شر
إن كنت أعلم أن غير الـلـه ينفـــع أو يضر

فيا عبد الله :

نفسك كسائر النفوس البشرية - نزاعة بطبعها إلى السمو والرفعة ، متطلعة إلى الجاه والتعظيم : ترتاح إلى المدح والثناء ، وتبغض الذم والهجاء وتحب الظهور وانتشار الصيت بين الناس .

ولو تركت وطبعها ذلك - لحرصت على رضا الناس - ورضاهم غاية لا تدرك ، وقد يكون رضاهم بما يسخط الله ويغضبه . كمن يرضى النساء : بموافقتهن على التبرج ، وكمن يرضى الفجار : مع فجورهم ، وبذلك يا عبد الله تتعب كثيراً ، وتتكلف خطراً ، وتتجرع من الهم والغم كئوساً مرة ،

وتصلي سعيرا : بترك الحق ، واتباع الباطل ، انظر إلى من يدعى الولاية ، ويتكلف علاماتها الظاهرة ، والمتكلف لا تدوم له حال ، ولذلك يشاهد منه كثيراً تقصيره فى الطاعة ، وربما اعتذر له : بما هو أقبح وأضل : بأنه يطيع الله حيث لا تراه العيون ، فهل كان كذلك رسولنا سيد الأولين والآخرين .

ويتظاهر مدعى الولاية بظهور الكرامات على يده ، مع أن دوام الاستقامة — أعظم كرامة ، والله تعالى يقول (إن أكرمكم عنـــد الله أتقاكم) ، وانظر إلى الحريص على الشهرة بين الناس بالعلم يقول فى دين الله ما لا يعلم ، والله تعالى يقول(ولا تقف(١) ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، وقال صلى الله عليه وسلم : «(٢) من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء ، والأرض » .

وانظر إلى تقاليد كثير من المسلمين اليوم عنـد المآتم : حباً فى الظهور بين النـاس ؛ من إعداد السرادقات ، وما إلى ذلك : مما ترهق تكاليفه : من زورة القبور محملة ، وحفل للأخمسة والأربعين .

والذى كان يفعله سلفنا الصالحون عنـد ذلك استمساكاً بالإسلام وحرصاً على إرضاء ربهم — دفنهم موتاهم ، ثم ينصرفون لحوائجهم ، فمن صادفهم عزاهم .

وليس حال كثير من المسلمين اليوم : عند الأفراح — بخير من حالهم عند المآتم : حباً الظهور والمباهاة : يميلون إلى التكلف والمغالاة ،

---

(١) ولا تتبع .

(٢) رواه ابن عساكر عن على (ض) .

لا إلى البساطة والاعتدال ، وقد قال ابن عمر : رضى الله عنهما : «(١) نهينا عن التكلف» : قال رسول الله ﷺ : «(٢) يا عائشة لا تتكلفى للضيف فتمليه ، ولكن أطعميه مما تأكلين» .

وكان الفضيل بن عياض أحد سلفنا الصالح يقول : «(٣) إنما تقاطع الناس بالتكلف : يدعو أحدهم أخاه ، فيتكلف ، فيقطعه عن الرجوع إليه» .

فاحرص — أيها العاقل — على رضا الله وحده : بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، واعلم أن الشهرة بين الناس ، وتقديرهم المرء مع عصيانه لله — شر عليه ووبال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «(٤) حسب ابن آدم من الشر إلا من عصمه الله تعالى أن يشار إليه بالأصابع : فى دينه أو دنياه» : وقيل للحسن البصرى - أدى الحديث : إن الناس إذا رأوك - أشاروا إليك . فقال إن الحديث — لم يعن لهذا ، وإنما أراد المبتدع فى دينه ، والفاسق فى دنياه» ، والمبتدع فى دينه : كمن يرفع صوته فى تشييع الجنازة : قال صلى الله عليه وسلم «(٥) إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن وعند الزحف(٦) . وعند الجنازة» .

ولذلك شنعت الصحابة رضى الله عنهم على من رفع صوته بقوله : استغفروا للميت ، حيث قالوا له : لا غفر الله لك .

---

(١) رواه البخارى . (٢) رواه أبو عبد الله الشيرازى .

(٣) رواه أبو بكر بن أبى الدنيا .

(٤) رواه الطبرانى ، والبيهقى فى الشعب .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير عن زيد بن أرقم (ض) .

(٦) على الأعداء فى ميدان القتال .

أيها المسلم :

الإخلاص لله ، والتواضع له تعالى ، مع الإكثار من الطاعة لله : فى غير اغترار بها ، وهى وسائل رفعة القدر عند الله تعالى — ينالها من حرص عليها ولم يحب الظهور والشهرة بين الناس بها ، ولذلك — قال العارف بربه ، إبراهيم بن أدهم : « ما صدق الله من أحب الشهرة » .

فاتق الله ، واحرص على تعلم تعاليم دينك ، والعمل بها لله ، من غير رغبة فى شهرة بالجهاد له بعملها ، ولا التفات لسواه تعالى - يعل تعالى قدرك بين أحبائه ، ويحسن حالك ومآلك ، ويعمر قلبك بالهدى والنور .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليسير من الرياء شرك . ومن عادى أولياء الله — فقد بارز الله بالمحاربة : إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى : يخرجون من كل غبراء مظلمة » : رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى . عن معاذ رضى الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « حب(١) الثناء من الناس ....

---

(١) تأمل : صاحب النقب ، حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً منيعاً ، فندب الناس إلى اقتحام نقب فى سوره ، فيه الخطر اليقين ، ولكن فيه الفتح المبين ، فجاءه فدائى من عرض الجيش ، فدخل النقب ، ففتح الله عليهم بدخوله ، فنادى مسلمة أين صاحب النقب ؟ فما أجابه أحد ، فنادى إنى قد أمرت صاحب إذنى أن يدخل على ساعة مجيئه ، فنشدته الله إلا جاء ، فمضت هنيهة ثم أقبل رجل على صاحب الإذن يسأله أن يستأذن له على الأمير ، فقال له . أنت صاحب النقب ؟ فقال : أنا أدلكم عليه ، =

...... يعمى(١) ويصم » : رواه الديلمى فى مسند الفردوس : عن ابن عباس رضى الله عنهما .

= فلما دخل على مسلمة — قال : إن صاحب النقب — يشترط عليكم ثلاثاً : ألا تسودوا اسمه فى صحيفة للخليفة ، وألا تأمروا له بشيء ، وألا تسألوه من هو ؟ قال مسلمة : فذلك له ، فقال الرجل : أنا هو ، ثم ارتد مسرعاً ، فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب : فإنه : لعدم حبه الثناء من الناس — عظيم الإخلاص ، فسؤال مصاحبته — سؤال لعلو المنزلة عند الله تعالى : رب الناس ، فهو رفيع القدر عنده : تعالى .

(١) عن بصر عيوب النفس ، واستماع الحق : للبعد عن الباطل : اغتراراً بمدح الناس وثنائهم .

الوقاية من العين والدواء منها

الحمد لله ، الذى منه الداء والدواء ، وقال نبيه « (١) لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله : عز وجل » .

وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الرحمة المتصرف كما يشاء فيما يشاء . الممتحن بعض العباد : بتصرف بعض بإذنه ، فتوكل عليه ، وسلم له الأمر . الأتقياء ونصب أعينهم ـ قوله تعالى : (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من هدى للسلام من الردى ، وأذن فى الرقية والتحصين من إصابة العين بكلمات من الله وصفاته ، ومن كتابه العزيز : وكل ما يضر ، وقال : « (٢) من استطاع منكم أن ينفع أخاه ـ فليفعل » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين سلموا بالتسليم والاعتماد على الله تعالى .

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ورواه البخارى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظ : « ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء » .

(٢) روى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : « كان لى خال يرقى من العقرب فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله نهيت عن الرقى وأنا أرقى من العقرب فقال « من استطاع منكم .. » الخ .

أما بعد : فيا عباد الله . .

لما(١) خرج رسول الله : صلى الله عليه وسلم نحو مكة - خرج معه سهل بن حنيف : وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد ، فنزل بشعب الخرار : من الجحفة(٢) : يغتسل ، فنظر إليه عامر بن ربيعة : أخو بنى عدى وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم : ولا جلد مخبأة - أى عـــذراء فى خدرها : فى سترها ، فوعك سهل من ساعته ، فأخبر(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، قال : هل تتهمون فيه من أحد ؟ قالوا : نظر إليه عامر ابن ربيعة ، فدعا رسول الله ﷺ عامراً ، فتغيظ عليه ، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه - فليدع له بالبركة يقول: اللهم باركه وبارك له ، وفيه ، وعليه ، أو يقول : تبارك الله أحسن الخالقين .

ثم قال ﷺ : اغتسل له ، فغسل وجهه ، ويديه ، ومرفقيه ، وركبتيه وأطراف رجليه ، وداخلة إزاره ، أى فرجه ، أو داخل إزاره الداخل الذى يلى جسده من الجانب الأيمن : فى قدح (٤) ، ثم صب (٥)

---

(١) روى ذلك مالك وغيره ، وجاء فى كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام الشعرانى : عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن أبى أمامة أسعد بن سهل بن حنيفة .

(٢) موضع بين مكة والمدينة كان يسمى مهيعة ، فأجحف السيل بأهله أى ذهب بهم ، فسمى جحفة ، وعنده رابغ : حيث الميقات لأهل مصر ومن يمر بهذا الموضع .

(٣) فقيل لرسول الله ﷺ هل لك فى سهل ؟ والله ما يرفع رأسه .

(٤) هو ما يشرب فيه .

(٥) فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم كفأ القدح وراءه .

ذلك الماء على سهل ، فراح مع الناس ، ليس به بأس .

وقال ابن كثير فى تفسيره : قوله تعالى : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك(١) بأبصارهم) . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما « ليزلقونك » لينفذونك « بأبصارهم » أى يعيقونك(٢) بأبصارهم : بمعنى يحسدونك : لبغضهم إياك لولا وقاية الله ، وحمايته إياك منهم ، وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « العين(٣) حق ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » أى إذا طلب منكم ماء الغسل للاستشفاء به من الإصابة بالعين . كما طلب صلى الله عليه وسلم من عامر لاستشفاء سهل - فأجيبوا الطلب .

وقال صلى الله عليه وسلم : «(٤) العين حق لتورد الرجل القبر، والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتى فى العين » .

ورأى(٥) صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة جارية فى وجهها سفعة

---

(١) من تفسير ذلك أيضاً : ليزلون رجلك .

(٢) يصيبونك بعيونهم ، والمصيب بالعين : عائن ، والمصاب بها معين.

(٣) رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة (ض) ، وروى البخارى لفظ « العين حق » .

(٤) رواه الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروى ، المعروف بشكر : فى كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنهما .

(٥) رواه البخارى عن أم سلمة زوجه صلى الله عليه وسلم .

أى سواد أو حمرة يعلوها سواد أو صفرة ، فقال : « استرقوا لها ـ أى اطلبوا من يرقيها ـ فإن بها النظرة(١) » .

وبعد ـ فمن العجب ـ إنكار الإصابة بالعين ، والقول بعدم حقيقة ذلك .

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم — لا ينكرون الإصابة بالعين وتأثيرها .

وقد اشتهر نوع من الحيات : يقال له : الناظر : متى وقع نظره على إنسان — مات الإنسان من ساعته .

فعين الناظر من الحيات : محطة إرسال ، وجسد المنظور : محطة استقبال ، لما ينبعث ، من الحيات ، خفياً ويضر .

فكذلك العائن : المصيب بعينه ، والمعين المصاب بالعين .

ولا يمكن العاقل إنكار تأثير الأرواح فى الأجسام ، فإنه مشاهد محس : فشاهد : كيف يحمر الوجه حمرة شديدة : إذا نظر إليه من يستحى منه : ويصفر صفرة شديدة ، عند نظر من يخافه إليه ، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر ، وتضعف قواه . وهذا كله من تأثير الروح ، وإنما نسب الفعل إلى العين ، لأنها — فى الغالب — الواسطة فى التأثير بين الروح والجسد : ينظر الحاسد ذو الروح الخبيثة المؤذية — بغيظ إلى المحسود — نظر إعجاب . واستحسان ، لما به ، من خير ونعمة ، فيجد

---

(١) قال ابن القيم فى زاد المعاد : قال الحسين بن مسعود الفراء وقوله : سفعة أى نظرة من الجن ، يقول : بها عين أصابتها من نظر الجن : أنفذ من أسنة الرماح .

المحسود ـ أثر ذلك النظر ضرراً ، كما يجد الإنسان من نظر الحية ، الكامن السم فيها إليه بقوة غضبيه ، من نفسها الخبيثة المؤذية ، فينطمس بصره ، ويعمى ، أو يسقط الجنين إذا كان المنظور إليه — حبلى .

ولذلك — قال : صلى الله عليه وسلم : «(١) اقتلوا ذا الطفيتين — وهو من(٢) الحيات . ما على ظهره ـ خطان أسودان : كالخوصتين ـ والأبتر ـ وهو : ما لا ذنب له ، من الحيات ، أو ذنبه قصير ، فإنهما يطمسان(٣) البصر ، ويسقطان الحبل » .

وقد تؤثر روح الحاسد الخبيثة فى المحسود : بتوجهها إليه : كالحاسد الأعمى : يوصف له الشيء ، فتؤثر نفسه فيه .

فيأيها المسلمون : وقد وعيتم أن الضرر من خبث النفوس ـ كضرر سم الحيات ـ ينتقل ـ غالباً إلى الأجسام . بالعيون : اسمعوا . وعوا . وانتفعوا : «(٤) كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ، يقول : أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ، ويقول : هكذا كان أبى إبراهيم — يعوذ إسماعيل . وإسحاق عليهما السلام » .

ومعنى : أعيذكما : أحصنكما ، بكلمات الله التامة المستوفية لأنواع الكمال ، ومنها القرآن الكريم ، الممتاز بالإعجاز من بينها : من كل

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما .
(٢) ذكر ذلك المعنى فى المصباح . (٣) يمحوان .
(٤) رواه البخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن السنى . عن ابن عباس رضى الله عنهما .

شيطان ، فالشياطين كلهم شر ، وهامة(١) : أى كل ذات سم يقتل ، وقد تطلق الهامة على ما يدب ويمشى : من الحيوان ، وإن لم يقتل : كالقمل . والبق .

ومن كل عين لامة أى تصيب بسوء ، من إنس . أو جن . أو حيوان يؤذى ، وعن رسول الله ﷺ : ـ صيغ تعوذات(٢) كثيرة ، وتسمى كل منها رقية ، وخيرها المعوذتان : سورة الفلق والناس .

قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : «(٣) كان رسول الله ﷺ : — يتعوذ من الجان . وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا — أخذ بهما ، وترك ما سواهما » .

وفى ذلك ـ إعلان لفضلهما فى التعوذ على غيرهما : من سائر التعوذات : لأنهما ـ قرآن . معجز كريم ومثلهما ـ فى ذلك ـ سورة الإخلاص ، قالت عائشة رضى الله عنها : «(٤) كان رسول الله ﷺ : إذا مرض أحد من

---

(١) جمعها هوام .

(٢) منها : « عن عثمان بن أبى العاص ـ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً : يجده فى جسده ، منذ أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : ضع يدك على الذى تألم من جسدك ، وقل : بسم الله : ثلاثاً ، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته . من شر ما أجد . وأحاذر » رواه البخارى ومسلم . وأبو داود . والترمذى . والنسائى ، وعند مالك : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » . قال : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بى ، فلم أزل آمر بها أهلى . وغيرهم .

(٣) رواه الترمذى   (٤) رواه مسلم .

أهله نفث عليه - أى نفخ عليه بقليل من الريق : رجاء بركته من القراءة : بالمعوذات ، : وهى سورة الفلق والناس . والإخلاص ، وأطلق على سورة الإخلاص اسم التعويذ : لوقوعها مع المعوذتين .

فاتقوا الله واقتدوا برسولكم . فى حب نفع الناس وخيرهم . وفى التعوذ بهذه السور الكريمة ، وما تعوذ به ﷺ : للشفاء من إصابة العين ونحوهما ، وللسلامة من تلك الإصابة ، وليقل من يخشى ضرر عينه ، وإصابتها لغيره « اللهم بارك عليه » أو «(١) ما شاء الله لا قوة إلا بالله » أو تبارك الله أحسن الخالقين ، ومن عرف بإصابة العين ، ولم يق الناس من شره ذلك : بمثل هذه الأقوال ، أو بالاختفاء عن الناس - حبسه الحاكم ، وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت .

واحذروا تقليد أهل الجاهلية : فى تعليق التمائم والخرز ونحوها « كالفسوخ » لدفع إصابة العين والآفات ، وفى ربط خيوط معقودة : على نحو الذراع لتكون حرزاً من العاهات .

فاعتقاد هذا : جهل . وضلالة : أبطله الشارع الحكيم ونهى عنه : إذ لا مانع من وقوع الآفات والعاهات ، ولا واقى منها إلا الله تعالى ، ولا دافع لها ، ولا مخلص منها غيره : جل علاه . القائل :

---

(١) فى القرآن الكريم : (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ، وروى هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه — أو دخل حائطاً من حيطانه : من بساتينه — قال : (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) .

(٢) هذا الحق هو الصواب قطعاً .

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد(١) الله الصمد(٢) لم يلد(٣) ولم

---

(١) سأل اليهود أو كفار مكة رسول الله ﷺ أن يصف ربه ، الذى يدعو إلى الإخلاص فى عبادته : كما قال فرعون لموسى : (وما رب العالمين) فنزلت السورة : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ، والمعنى : قل : يا محمد : الذى سألتمونى عنه . هو الله الموجود الحق ، الجامع لصفات الألوهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى ، وهو : (أحـــد) أى واحد : فى الألوهية والربوبية وحدة كاملة فهو منزه الذات عن أنحاء التركيب . والتعدد ، خارجاً . وذهناً ، وما يستلزم أحدهما : كالجسمية ، والتحيز ، والمشاركة فى الحقيقة والخواص ، فليس مركباً من جواهر مادية ، ولا من أصلين ، ولا من أصول غير مادية : كما يزعم أهل الأديان الأخرى ، ولا شريك له : كما يزعم المشركون .

(٢) السيد الذى ليس فوقه أحد ، الذى يصمد إليه الخلق فى الحوائج ويقصدونه فى المطالب : من صمد إليه بمعنى قصده ، أو هو الغنى المطلق ، الذى لا يحتاج إلى أحد ، ويحتاج إليه كل أحد وتعريفه باللام ، لإفادة الحصر ، فى الواقع . ونفس الأمر ، فإن قصد الخلق إليه فى الحوائج — أعم من القصد الإرادى ، والقصد الطبيعى ، والقصد بحسب الاستعداد الأصلى الثابت لجميع الماهيات إذ هى كلها متجهة إلى المبدأ تعالى فى طلب كمالاتها منه عز وجل .

(٣) لم يصدر عنه ولد : لأن الولادة تقتضى انفصال مادة منه . وذلك يقتضى التركيب المنافى للأحدية . والصمدية ، أو لأن الولد من جنس أبيه ، ولا يجانسه تعالى أحد . لأنه واجب ، وغيره ممكن .

يولد(١) ولم يكن له كفواً (٢) أحـــد) .

(بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ(٣) برب الفلق(٤) من شر ما خلق ومن شر غاسق(٥) إذا وقب ومن شر النفاثات(٦) فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) .

(بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس(٧) الخناس(٨) الذى يوسوس فى صـــدور الناس من الجنة والناس) .

---

(١) لم يصدر هو عن شىء . لاقتضاء المولودية المادة فيلزم التركيب المنافى للأحدية والصمدية ، أو لاقتضائها سبق العدم ولو بالذات أو لاقتضائها المجانسة ، وكل منهما مستحيل عليه تعالى : إذ هو واجب الوجود لا أول لوجوده ، ولا يجانس له من خلقه .

(٢) لم يكن أحد من خلقه مكافئاً . ولا مشاكلا . ولا نظيراً . ولا شبيهاً له فى ذاته وصفاته . وأفعاله : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) والقرآن ثلاثة أقسام ، أحكام ، ووعد ووعيد ، والأسماء ، والصفات ، وقد جمعتها هذه السورة ، ولذلك تعد ثلث القرآن . كما فى الحديث الصحيح .

(٣) أعتصم وأستجير وأتحصن . (٤) الصبح .

(٥) من شر الليل إذا دخل ظلامه فى كل شىء ، لأن حدوث الشر فيه أكثر ، والتحرز منه أصعب وأعسر .

(٦) والنفث شبيه بالنفخ ، وقيل هو النفخ مع ريق قليل ، والنفاثات : النفوس أو الجماعات السواحر ، اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط ، وينفثن عليها ويرقين .

(٧) الشيطان الموسوس .

(٨) الذى يخنس ويتأخر إذا تيقظ له الإنسان ، واستعان عليه بالله تعالى.

ومما ينفع لدفع شر العائن أن يشغله ملاقيه : قبل التمكن من نظره إليه - بكلام ، ولو بالمبالغة فى تحيته ، وإظهار المودة له .

(واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) .

عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : « كنا فى رقى الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله : كيف ترى فى ذلك ؟ فقال : اعرضوا على رقاكم(١) : لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه — أى فى القول الذى يرقى به — شرك » ، رواه مسلم ، وأبو داود .

ويكون فى القول الذى يرقى به شرك ، إذا كان تعوذاً بصنم . أو اسم من أسماء الجن . أو الشياطين ، ونحو ذلك ، فالرقية بذلك لا تجوز ، بل تكون شركاً ، والله تعالى يقول : (إن الشرك لظلم عظيم) ويقول : (إن الله لا يغفر أن يشرك به) .

---

(١) جمع رقية : كرؤى ورؤية .

(٢) ومن الرقى التى لا بأس بها ، وهى ترد العين — ما ذكر عن أبى عبد الله التياحى — أنه كان فى بعض أسفاره للحج أو للغزو : على ناقة فارهة — جيدة السير ، وكان فى الرفقة رجل عائن ما نظر إلى شىء إلا أتلفه ، فقيل لأبى عبد الله : احفظ ناقتك من العائن ، فقال : ليس له إلى ناقتى سبيل ، فأخبر العائن بقوله ، فتحين غيبة أبى عبد الله ، فجاء إلى رحله — مسكنه وما يستصحبه من الأثاث . فنظر إلى الناقة ، فاضطربت وسقطت ، فجاء أبو عبد الله ، فأخبر أن العائن — قد عانها ، وأصابها بعينه وهى كما ترى فقال : دلونى عليه فدل ، فوقف عليه ، وقال : بسم الله . حبس حابس . وحجر يابس وشهاب قابس ، رددت عين العائن عليه . وعلى أحب الناس =

وقال ﷺ : (من علق تميمة(١) فلا أتم الله له . ومن علق ودعة فلا أودع الله له ، رواه الإمام أحمد وأبو يعلى ، عن عقبة بن عامر . رضى الله عنه .

= إليه (فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) فخرجت حدقتا العائن ، وقامت الناقة لا بأس بها . ذكر ذلك الإمام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد .

(١) عن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبد الله بن حكيم وبه حمرة ، فقلت ألا تعلق تميمة ؟ فقال نعوذ بالله من ذلك : قال رسول الله ﷺ : « من علق شيئاً وكل إليه » . رواه أبو داود ، ورواه الترمذى إلا أنه قال فقلنا : ألا تعلق شيئاً ؟ فقال : الموت أقرب من ذلك .

خطبة موضوعها تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشـــدة

وفى هذه الخطبة توجيه الطلبة فى موسم الامتحانات إلى المنهج السوى على الدوام — إرضاء لله تعالى

الحمـــد لله . الحى القيوم ، الذى بيده الشدة والرخاء القائل : (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : لا حول ولا قوة إلا به ، وإليه الملجأ وبه النجاة : لجأ إليه نبيه يونس مستغيثا ، وهو فى بطن الحوت ، فكان الأمر كما قال تعالى : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من عرف ربه فى رخائه وشدته وهنائه وهمه ، وصحته ومرضه ، ويسره وعسره ، وقال : (تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذى لم يغفلوا فى حال رخائهم عن الله ، فلهم عنـــد الشدة — النجاة (وكان بالمؤمنين رحيما) .

أما بعد :

فقد قال ﷺ : «(١) انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، وحتى آواهم المبيت

(١) رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما : قال : سمعت =

إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار ، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم : قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران . وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلا ولا مالا[2] ، فنأى بى طلب الشجر يوماً ، فلم أرح[3] عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما — أى مايشرب بالعشى — فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما . وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت ، والقدح على يدى : أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصبية يتضاغون — أى يضجون من الجوع — عند قدمى ، فاستيقظا ، فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك : ابتغاء وجهك - ففرج عنا مانحن فيه : من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . قال الآخر : اللهم ، إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى ، فأردتها على نفسها ، فامتنعت منى ، حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتنى ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار . على أن تخلى بينى وبين نفسها ، ففعلت ، فلما قعدت بين رجليها - قالت : اتق الله ، ولاتفض الخاتم إلا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى ، وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه .

فانفرجت الصخرة غير أنهم لايستطيعون الخروج منها ، وقال الثالث اللهم استأجرت أجيراً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب

= رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (انطلق ....) الخ .

(١) أى لا أقدم عليهما فى شرب نصيبهما من اللبن .

(٢) المراد بالمال هنا الرقيق العبيد المماليك .

(٣) أرجع .

فثمرت أجره ، حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين ، فقال : يا عبد الله . أدى إلىّ أجرى ، فقلت : كل ما ترى من أجرك : من الإبل . والبقر . والغنم . والرقيق ، فقال : يا عبدالله . لا تستهزىء بى ، فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كله ، فساقه ، فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك : ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون) .

وأيوب رسول الله ، الذى خلقه سبحانه قدوة صالحة لأمته بقوة إيمانه بربه — لم يغفل عنه تعالى فى صحته ، ولا فى حال تمتعه بأهله . وراحة باله .

فلما أصابه المرض — ولعله كان حمى شديدة — وغياب أهله عنه — ولعلهم كانوا فى رحلة ضلوا فيها عن مكانه — عرفه تبارك وتعالى بإحسانه إليه فى شدته ، حين تضرع إليه ، ذاكراً فى شدته له ، ناسباً ما أصابه إلى الشيطان : تأدباً معه تعالى — وهو الخالق الديان ، فرد سبحانه إليه أهله ، ومثلهم معهم ، وشفاه من مرضه الشديد ، إذ أرشده إلى الاغتسال بالماء البارد وسجل جل شأنه ذلك فى القرآن الكريم فقال : (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب(١) وعذاب(٢) اركض(٣) برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى(٤) الألباب) .

عباد الله :

من الناس من قوى إيمانه بالله ، فهو — مع الله أينما كان ، وحيثما حل :

---

(١) بتعب . (٢) ألم . (٣) اضرب . (٤) لأصحاب العقول .

يعبده تعالى ، ويشكره ، ويذكر نعمه وفضله . لا تقنطه المصائب . والبلايا ولا تبطره النعم والعطايا ، وقد قال رسولنا ، سيد البرايا : «(١) عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له» .

ومن الناس من ضعف إيمانه ، وغفل عن طاعة مولاه ، وهى وظيفته التى خلق من أجلها ، فلا يذكر الله إلا إذا نزلت به نازلة ، أو حلت به ضائقة من ظلم . أو فقر . أومرض ، أو عرضت له حاجة يرجو قضاءها ، وحينئذ يسارع إلى الله باكياً ، نادماً على مافرط فى جنب الله مستغفراً تائباً مطيعاً معاهداً ربه أن يكون عبده على الدوام ، ملحاً فى الدعاء (لئن أنجيتنى من هذه الشدة لأكونن من الشاكرين) . والله الغنى الكريم الذى يعلم مايظهر العبد وما يبطن — قد يتفضل عليه بالإجابة : ليكشف إيمانه الضعيف ، وغروره بنفسه ، وما انطوى عليه قلبه : من نفاق . وكذب . وخداع ، حيث ينقلب على عقبيه ، بعد أن أنجاه الله ، ونسى ما كان يدعو إليه من قبل ، وأخلف الله ما وعده ، وعاد إلى سيرته الأولى : من غفلته . وعصيانه ونكران الجميل وصدق فيه القول :

صلى وصام لأمر كان يطلبه

لما أنقضى الأمر — لاصلى ولاصاما

وما أسوأ عقبى هذا الصنف من الناس : يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) .

وفى هذا الصنف . وفى عقباه — قال تعالى : (هو الذى يسيركم فى البر

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن صهيب الرومى (ض) .

والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) .

ويا قوم :

ما أكثر هذا الصنف بيننا اليوم .

ومنه بعض طلبة العلم بالمدارس أو المعاهد أو الكليات يقضون أكثر عامهم : سابحين فى غوايتهم ، غافلين عن دروسهم ، متهاونين بالقيم الخلقية والدينية متحللين من التكاليف السماوية ، حتى إذا هاجتهم أيام الامتحان ـ وجدناهم يهرعون إلى المساجد بكتبهم : يستلهمون الله فيما عسى أن يكون موضع أسئلتهم ويكثرون التضرع والدعاء . والصلاة ـ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون :

يسمع فى القلب دبيب المنى ويلمح الشبهة فى الخاطر

ولا يزالون — كذلك — حتى إذا ما انتهى الامتحان ، وظهرت النتائج وكانت فى مصلحتهم — انطلقوا فى ميادين الهوى والغواية ، وكادوا يقولون : نجحنا بجدنا واجتهادنا ، ونسوا فضل الله عليهم ، وأنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم — قد وفقهم وهداهم ، وألهمهم الصواب . (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

وربما لبس ابليس الأمر على أولئك الطلبة الكاذبين فى توبتهم ،

وزادهم غفلة عن ربهم بأن من الناجحين — غير مسلمين .

وقد يكون أولئك الناجحون غير المسلمين — فى نجاحهم — ممتازين .

والمسلم الصادق — يعلم أن علوم الدنيا . والنجاح فيها — من خير الدنيا الذى يعطيه سبحانه من يحب ومن لا يحب : قال ﷺ : «(١)إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب . ولا يعطى الدين إلا من يحب . فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه » وأما إذا كانت نتيجة امتحان أولئك الطلبة ، الذين لم يصدقوا فى توبتهم إلى ربهم — عكس مرادهم — فإنهم يسخطون على قضاء الله . وقدره ، ويكفرون بسائر أنعم الله عليهم ، ويتركون عبادة الله ، إذ قد يوسوس لهم الشيطان بأنها هى سبب رسوبهم .

وفى هؤلاء وأمثالهم — يقول تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على

---

(١) روى الإمام أحمد وغيره . عن عبدالله بن مسعود : رضى الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقدأحبه والذى نفسى بيده لايسلم أو لايسلم عبد حتى يسلم أو يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه ، ولايكسب عبدما لاحراما فيتصدق به ، فيتقبل منه ، ولا ينفق منه ، فيبارك له فيه ، ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن : إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) .

عباد الله :

ويا طلبة العلم المؤمنين بالله : العلم النافع هو العلم الذى يزيد الإيمان بالله ، ويبعث على تقوى الله القائل : (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم) .

فذلك العلم النافع — نور من الله — ونور الله لا يهدى العاص .

فإذا اتقى العبد ربه ، وحفظ حدوده فى حال رخائه ، وصحته ، وأمنه ، وهدوئه — فقد تعرف بذلك إلى الله ، فيعرفه سبحانه فى حال الشدة ، فيهونها عليه ، ويقويه عليها ، ويمنحه نوراً يهتدى به إلى وسائل النجاة منها وقد قال رسولنا ﷺ : «(١) من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء » .

ويا أيها الآباء :

اتقوا الله وكونوا قدوة لأولادكم فى الإخلاص فى طاعة الله ، الذى بيده قضاء الحاجات : ليستجيب — للنجاح — دعاءكم ودعاءهم : (إنما يتقبل الله من المتقين) ، وعودوهم على عبادة الله والواجب عليهم نحو الخالق والمخلوق ، حتى يشبوا بررة صادقين ، ورجالا صالحين ، واصحبوهم إلى بيوت الله ، وأرشدوهم إلى الاستمساك بتعاليم الإسلام — مع الحرص على مذاكرة الدروس من أول العام ، وعدم التفريط فى طلب العلم ، فذلك

---

(١) رواه الترمذى والحاكم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

خير وقاية من التحلل والالحاد ، والانحراف والفساد .

واعلموا — ياقوم — أن الحياة كلها - امتحان ، وقد قال تعالى : (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) : فالصحة فتنة وامتحان ينجح فيه من اتقى الله في صحته فعمل صالحاً ، والمرض فتنة وامتحان : ينجح فيه من اتقى الله فيه ، فلم يجزع ولم ينتحر ويجدعون الله في مرضه - من اتقى الله في صحته .

وهكذا سائر عوارض الحياة المتقابلة : من اتقى الله صادقاً في خيرها - وجد الله معنياً له للسلامة من شرها .

فليتنبه لذلك من ينجح في الامتحان : ليداوم الطاعة فيسلم من شر الرسوب . (والله ولى المتقين) .

قال رسول الله ﷺ : «(١) احفظ الله تجده(٢) أمامك تعرف إلى الله في الرخاء - يعرفك في الشدة . واعلم أن ما أخطأك - لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً » رواه عبد بن حميد ، والإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) أى راع أوامره وحافظ عليها ، وأمسك عن نواهيه ولا ترتكبها .
(٢) أى تجد الله داعيا لك ، فيقذك من المضار ، ويمدك بالمنافع .

١ ـ استقبال رجب

الحمد لله ، الذى لا خير إلا منه ، والكل محتاج إليه ، ونظرته بعين رعايته ـ لأهل طاعته ، وفى الحديث القدسى قال : « (١) أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى ، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى إن تابوا إلى فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم : أبتليهم بالمصائب : لأطهرهم من المعايب » .

وأشهد أن لا إله إلا الله : يشرح الصدر ، ويريح البال بتقواه ، وقال : (أم حسب الذى اجترحوا (٢) السيئات أن نجعلهم كالذين

---

(١) روى الإمام أحمد فى مسنده : عن النبى ﷺ : « ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم ، والملائكة تستأذنه أن تعاجله وتهلكه والرب تعالى يقول : دعوا عبدى ، فأنا أعلم به : إذ نشأته من الأرض . إن كان عبدكم فشأنكم به ، وإن كان عبدى فمنى إلى عبدى . وعزتى وجلالى ـ إن أتانى ليلا ـ قبلته ، وإن أتانى نهاراً قبلته ، وإن تقرب منى شبراً ـ تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب منى ذراعاً ـ تقربت منه باعاً ، وإن مشى إلىّ ـ هرولت إليه ، وإن استغفرنى غفرت له ، وإن استقالنى ـ أقلته ، وإن تاب إلى ـ تبت عليه . من أعظم منى جوداً وكرماً وأنا الجواد الكريم ؟ عبيدى يبيتون يبارزوننى بالعظائم . وأنا أكلؤهم فى مضاجعهم ، وأحرسهم على فرشهم . من أقبل إلى ـ تلقيته من بعيد ، ومن ترك لأجلى ـ أعطيته فوق المزيد ، ومن تصرف بحولى وقوتى ـ ألنت له الحديد ، ومن أراد مرادى أردت ما يريد . أهل ذكرى أهل مجالستى ... » الخ ما بين القوسين .

(٢) اكتسبوا .

آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) .

وأشهد أن سـيدنا محمداً رسول الله : كان إذا دخل رجب قال : «(١) اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين حرصوا على أوقات الطاعة ، ففازوا (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

أما بعد :

فقد روى أن أحد سلفنا الصالح الشيخ مطير السعدى رضى الله عنه بكى شوقاً إلى الله تعالى وحباً فيه ، وتلذذاً بأنس طاعته ستين سنة ، ولسان حاله يقول :

هجم السرور عـلى حتى أنه … من فرط ما قد سرنى أبـكانى
يا عين قد سار البكا لك عادة … تبكين من فرح ومن أحزان

فرأى فى المنام كأنه بجنب نهر يجرى بالمسك الأذفر(٢)، حافتاه شجر اللؤلؤ ، وقضبان الذهب ، وإذا جوار مزينات تملن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان سبحانه ، سبحان الموجود بكل مكان سبحانه ، سبحان الدائم فى كل الأزمان سبحانه . فقال لهن : من أنتن ؟ فقلن : خلق من خلق الرحمن سبحانه ، فقال : ما تصنعن ههنا ؟ فقلن :

برانا إله النـاس رب محمد … لقوم على الأقدام بالليل قوم
يناجون رب العالمين إلههم … فتسرى هموم القوم والناس نوم

---

(١) رواه زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس رضى الله عنه .
(٢) الذكى الرائحة .

وما أصدق ما قلن : فالله تعالى مسبح حقاً له بكل لسان : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) .

يسمع الإنسان بأذنيه تغريد الطيور صباحاً : تعلن مولد يوم جديد ، وكأنها - بتغريدها - تنشد التحية ليوم سعيد ، ويسمعها مساء تغني كأنها تستريح بالغناء من عناء الجد بالنهار ، والسعي في طلب المعيشة ، أو كأنها تجمع صغارها وكبارها للراحة والاستعداد للنوم والهدوء — كما يسمعها طول اليوم مغردة مغنية لا تهدأ إلا قليلا : منذ أن تشرق الشمس إلى أن تغيب : حومت أو وقفت ، طارت أو حطت ، جاعت أو شبعت . ألا إنها بغنائها وتغريدها تسبح الله ، الذي منحها الحياة ، ووهبها نعماه .

ويسبح الله كذلك الأغصـــان مالت أو سكنت : تبعاً للهواء ، والكواكب والنجوم ، والبرق أضاء أو أظلم ، (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) ألا إن ما في الوجود - يسبح دائماً بلسان المقال أو لسان الحال - لله الدائم الوجود الأول ، فليس قبله شيء ، والآخر ، فليس بعده شيء (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) .

فيا مؤمناً بأن الموجودات جميعها تسبح لموجدها ، وتنزهه بإحسان خلقها وإتقان صنعها عن كل نقص ، وفي ذلك وصفه تعالى بالجمال ، والكمال ، والجلال .

أيليق — أن يكون منك — وقد منحك تعالى القلب المتدبر والعقل المفكر أن تكون أقل تسبيحاً له تعالى بحمده - من الحيوان الأعجم أو من

(١) نعمته .

الجاه ، وقد أمدك بنعم لا تحصى ولا تعد (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ألا وإن النعيم المقيم فى الجنة دار السلام ، والوقاية من النار دار العذاب الأليم : لمن سبح لله بلسانه ، وبسائر أعضائه : فى ليله ونهاره ، فقام من ليله لله ، ونشط فى نهاره لله ، وذكر الله ما استطاع لذلك بكلمتى «(١) سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» ، وبسائر كلمات الذكر ما استطاع لذلك سبيلا وتصدق وصلى لله ، واستمع لخطبة الجمعة بانتباه ، وصام لله من أيامه عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، كما يصوم على الدوام عن سائر المنكرات ، وجاهد على الدوام نفسه ، وخالف شيطانه وهواه ، فسلم الخلق من أذاه .

ولتعرفوا عظم قدر الجنة ، وفظاعة النار ، وحقى طاعته : جل علاه ـ تأملوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «(٢) إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهـــل الذكر ومنهم ـ من حضروا المسجد لأداء شعائر الجمعة ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل ـ تنادوا ـ أى نادى بعضهم بعضاً : هلموا — أى تعالوا — إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم — وهو أعلم — مايقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك — أى يعظمونك — فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا . والله ما رأوك ، فيقول : كيف لو رأونى ؟ قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ،

---

(١) روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله .. » الخ .

(٢) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة (ض) .

وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب ، مارأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار . قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ، ما رأوها . فيقول : كيف لو رأوها قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » .

وما أعظم ذكر الله ، وتسبيحه ، وسائر أنواع طاعته تعالى فى شهر رجب ، أحد الأشهر الحرم ، التى قال فيها ابن عباس رضى الله عنهما : « اختص الله أربعة أشهر : — رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم — جعلهن حرماً ، وعظم حرماتهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم ، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم » .

وقال سيدنا على رضى الله عنه : « كان رسول الله ﷺ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله » ، ومنها أيام رجب ، فهو مفتاح أشهر الخير والبركة التى تصب فيها الرحمات ، وتزيد الحسنات .

قال أبو بكر الوراق البلخى : شهر رجب شهر الزرع ، وشعبان شهر السقى للزرع ، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع .

ومن الطاعة فى رجب — الصيام . الذى قال الله عز وجل فيه لموسى عليه السلام : « هو مفتاح خدمتى وأول عبادتى » .

وحسبنا من الصوم أنه وقاية من المعاصى والنار ، فهو عون على الطاعة .

وفى ثوابه فى شهر رجب - قاو أبو قلابة ، أحد كبار التابعين : ((١) فى الجنة قصر لصوام رجب) وفى حديث مجيبة الباهلية : عن أبيها أو عمها أن النبى ﷺ قال له : «(٢) صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك : قالها ثلاثاً » - وهو ﷺ : يشير بثلاث أصابع يضمها ثم يرسلها .

فأفضل منهاج للصيام فى رجب هو صيام ثلاثة أيام منه ثم إفطار ثلاثة وهكذا إلى نهايته مع صيام يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع والأيام البيض منه ، وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر منه .

والسعيد الموفق لا يقول : كفانى فرض الصوم فى رمضان ، ويترك صوم النافلة فى رجب ونحوه ، كما لا يقول كفانى فرض الصلاة عن النافلة ، فنصب عينيه قوله ﷺ : «(٣) عليك بالصيام فإنه لا مثل له » وقوله تعالى فى الحديث القدسى : «(٤) ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته

---

(١) قال البيهقى رواية عن أبى قلابة : هو من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ .

(٢) رواه أبو دواد وغيره .

(٣) رواه النسائى عن أبى أمامة رضى الله عنه : قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به : قال عليك بالصيام ... الخ .

(٤) جزء من حديث قدسى رواه البخارى عن أبى هريرة عنه ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه » : أى كنت حافظ سمعه وبصره ويده ورجله . من الشيطان ، وكان حبى هو الغاية المقصودة من أفعال عبدى ، فلا يسمع ولا يبصر ولا يفعل بيده ورجله إلا ما يزيد قربه لدى ، والقريب من الله معان منه تعالى على طاعته وتقواه: خرج أبو قلابة التابعى صائماً حاجاً فأصابه عطش شديد ، فقال : اللهم إنك قادر على أن تذهب عطشى من غير فطر فأظلته سحابة فأمطرت عليه حتى بلت ثيابه ، فذهب العطش عنه .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(١) إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته . فإن صلحت — فقد أفلح وأنجح — أى فاز وظفر بمطلوبه — وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شىء قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع ، فيكمل به ما انتقص من الفريضة ؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا » .

فالنوافل من صيام وصلاة وصدقة وحج ونحو ذلك ـ تجبر نقص الفرائض ، وتكمل ثوابها ، كما أنها معراج يرتقى به العبد إلى رفيع الدرجات عند الله ، ولذلك حرص رسول الله ، فقام من الليل حتى تورمت قدماه ، وكان يصوم كثيراً ، والله تعالى يقول (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

فيأيتها النفوس التى ازدحمت عليها شواغل الحياة : رفقاً بنفوسكم ، فإن

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة (ض) .

الدنيا الفانية اللعوب - بحر عميق . غرق فيه كثير من الناس . ويأيها الغافل المغتر بربه ، ورحمته ومغفرته . اعلم أن سبحانه - حكيم لا يغفر إلا بالحكمة ، ولا يرحم إلا بالحكمة وقد اقتضت حكمته أنه يرحم من رحم نفسه فعرفه تعالى بطاعته ، ويغفر لمن أقبل إليه تعالى تائباً مجتنباً الذنوب ، حريصاً على ما يحبه تعالى ، وقد قال : جل شأنه : (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) .

أيها المسلم .

اتق الله ، وأقبل إلى الله ، فهو أحق بالإقبال إليه من سواه . إنه تعالى الحى الباقى . (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق - يوم تلاقى الأرواح والأجساد ، يوم تلاقى الحاكم والمحكوم ، يوم تلاقى الظالم والمظلوم ، ويقول جل شأنه . الظالم تقدم ، والمظلوم تحكم فأنت اليوم فى عناية العلى الأعظم .

ألا إن التقرب إلى الله بطاعته وتقواه - راحة القلب المكدود ، والضمير الحيران ، وطمأنينة للانسان والله تعالى يقول : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

عبد الله :

سبح بحمد ربك واستغفره ، ولازم باب رضاه بفعل ما يرضاه ، واستقبل شهر رجب بما يحبه تعالى ، واستعد بالطاعة فيه لما بعده — تفز بعناية الله ورضاه .

فانتهاز الفرصة : بصالح العمل فى هذا الشهر غنيمة ، واغتنام أوقاته بالاستقامة — فضيلة عظيمة ، وانتبه ،

بيض صحيفتك السوداء فى رجب　　بصالح العمل المنجى من اللهب
شهر حرام أتى من أشهر حرم　　إذا دعا الله داع فيه لم يخب
طوبى لعبد زكا فيه له عمل　　فكف فيه عن الفحشاء والريب

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله : إن أحب الكلام إلى الله « سبحان الله وبحمده » رواه مسلم فى صحيحه .

وعن أبى عمرو وقيل أبى عمرة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه ، قلت : يا رسول الله . قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » . رواه مسلم فى صحيحه .

٢ – استقبال شهر رجب

بما يمنــح المرء القبول

الحمد لله يشرح الصدر، ويريح البال، بتقواه، وقال (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله، الذى لا خير إلا منه، والكل محتاج إليه ونظرته بعين رعايته لأهل طاعته ، وقال فى الحديث القدسى : «(١) أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب».

وأشهد أن محمداً رســـول الله الذى كان إذا دخل رجب – قال : «(٢) اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان»، وهو صلى الله عليه وسلم - بذلك - يلفت للحرص على حسن الحال فى أخراه .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد . وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا يرون أشهر رجب . وشعبان . ورمضان – مواسمهم للخير . والكسب . والإحسان .

أما بعد فيا عباد الله :

مر عمر البنانى أحد صالحى الأمة المحمدية بمقابر، فرأى رجلا عندها

---

(١) جزء من حديث قدسى رواه الإمام أحمد (ض) .

(٢) رواه زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس (ض) .

فى كفه اليمنى حصى أبيض ، وفى كفه اليسرى حصى أسود ، فقال له : ما تصنع ههنا ؟ قال : إذا فقدت قلبى — أتيت المقابر ، فاعتبرت بمن فيها ، فقال له : ما هذا الذى فى كفك ؟ فقال : إذا عملت حسنة — ألقيت واحدة فى الحصى من الحصى الأبيض فى الأسود ، وإذا عملت سيئة — ألقيت من هذا الأسود واحدة فى الأبيض ، فإذا كان الليل — نظرت — فإن فضلت الحسنات على السيئات ، أفطرت ، وقمت إلى وردى ، وإن فضلت السيئات على الحسنات لم آكل طعاماً ولا شراباً فى تلك الليلة ، هذه حالى والسلام عليك .

وهكذا . ياقوم : كان أسلافنا الماضون — يسعون : لإحياء قلوبهم بنور الإيمان ، الذى من وسائله ـ الاعتبار بالموتى وتذكر أحوالهم ، كما كانوا يفرحون بالطاعة ، ويشكرون لله ، من أجلها ، بريانها كما فعل ذلك الرجل الذى وعظنا به عمر البنانى رضى الله عنه : إذ كان يتناول طعام فطره ، عند رجحان حسناته ، وينشط لأداء ورده من طاعة الله : من مثل القراءة والصلاة .

وما أعقل ذلك الرجل . وما أوعاه ، إنه حرص على سعادة دنياه وأخراه . فالله الله : عباد الله :

ولإحياء قلوبكم وعمارتها بالإيمان ، وحب طاعته ، جل علاه . — اقرءوا القرآن واستمعوا له منصتين ما استطعتم لذلك سبيلا ، واذكروا الله ذكراً كثيراً ، ومن ذلك مجالس دروس العلم ، وهى رياض الجنة ، واخلوا بربكم ، بعيدين عن الناس ، وبخاصة بالليل ، مصلين له تعالى ، وله ذاكرين ، فتفوزوا بصفاء الروح ، ونور القلب ، وزيادة الإيمان وحبه تعالى ، ولذلك قيل فى الخلوة تحصل الجلوة ، وفى الليل

بظاهر الميل ، وتحت الاستتار تذاع الأسرار ، واعلموا أن من لم يكن له قلب حى — كان تائهاً فى الحياة ، يلعب به هواه ، بما يضر الصحة ويضيع المال والشرف والجاه ، ويجعله قدوة سيئة ، ويشقى فى أخراه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «(١) أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم — اهتديتم » ، ومن أضوإ هؤلاء الأصحاب العلماء ، الذين كلامهم — بعد كلام الله . وكلام رسوله — منزلته علياء — عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأرضاه قال : « اطلب قلبك : أى اطلب حضوره فى ثلاثة مواطن ، عند سماع القرآن ، وفى مجالس الذكر ، وفى أوقات الخلوة ، فإن لم تجده فى هذه المواطن : بأن لم يتأثر من القرآن ، ولايذكر الديان — فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك » .

وسؤال الله بلسانك — يا عبد الله — يجب أن يصحبه سعيك : لإحياء قلبك ، وحضوره ، بتذكر الموت ، والاعتبار بالموتى ، وبالتفكر فى دلائل قدرة الله تبارك وتعالى ، وبالاستماع للعظات ، ولذلك - قيل : « الموعظة موقظة للقلب من سنة الغفلة . ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة . ومحيية لها من موت الجهالة . ومستخرجة لها من ضيق الضلالة » .

ومن هنا — كان التأخر من خطبة الجمعة — إساءة إلى النفس أى إساءة ، وحرماناً من خير كثير .

والصوم نور للقلوب ، ولذلك — كان أسلافنا يصومون كثيراً : مقتدين بالإمام الأعظم ، رسولنا صلى الله عليه وسلم .

وقد حكى الشبلى الصوفى المشهور أنه كان فى قافلة مسافرة إلى الشام ،

---

(١) رواه البيهقى .

فأسرها اللصوص ، قطاع الطريق ، وذهبوا بها إلى رئيسهم ، وكان فيها ما يؤكل ، فأخذوا يأكلون ، ورئيسهم ينظر إليهم ، ولا يأكل ، فقال له الشبلي : لم لا تأكل معهم ؟ فقال : إني صائم ، فقال الشبلي : ترأس من يقطعون الطرق ، ويسلبون الأموال ، وأنت صائم ، فقال : أجعل : بالصوم للصلح عليه تعالى — موضعاً ، وبعد حين — رآه الشبلي يطوف حول الكعبة وهو محرم ، وقد أنحلته العبادة ، فقال له أنت هذا الرجل ، الذي قال : إنه صائم مع رآسته للصوص ؟ قال نعم . ذلك الصيام أوقع الصلح بيني وبينه تعالى ، كأنه تعالى قال لي ، لمن تصوم وتجوع . وتعطش : ما دمت تعصى الله بزعامة اللصوص (ولله خزائن السموات والأرض) فانتهيت ، وصمت عن المعاصي ، كما صمت عن الطعام ، والشراب ، ففتح الله لي باب المتاب ، وكتبني في زمرة الأحباب ، وشرفني بالطواف حول بيته كما ترى .

فالصوم : يغرس في نفس من راعى حكمته مراقبة الله ، ويعودها الامتناع عن الشهوات ، حتى يقول لها صاحبها ، المستيقظ ، الحريص على نفعها : لقد اجتنبت الشهوات المباحة : من طعام وشراب ، ونحوهما من حلال من الفجر إلى غروب الشمس ، إرضاء لله ، فلماذا لا ترضين الله . باجتناب الشهوات الممنوعة على الدوام ، كشهوة البطن والفرج من حرام ، وهو أمر تستطيعينه ، وفيه السلامة من شر الحياة ، وعذاب النار ، والفوز بالجنة ، واسمعي قوله صلى الله عليه وسلم : «(١) من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار — لها عن الشهوات . ومن ترقب الموت - هانت عليه اللذات . ومن زهد في الدنيا - هانت عليه المصيبات » .

(١) رواه البيهقي في الشعب عن علي (رض) .

وبوسائل إحياء القلوب التى شرحت ، وللصدور الحرجة شرحت — يتجدد الإيمان . بمالك القلوب . وجميع الشئون ، الواحد المنان ، العزيز الديان ، ويكون المؤمن مقتدياً بأهدى إنسان . رسولنا القائل : «(١) لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وها هى ذى أيام شهر رجب المباركة — تقبل إليكم ، لتفتحوا بها أشهر الخير والبركة بالإكثار من وسائل إحياء القلوب ، وزيادة طاعة قيوم الأرض والسموات . علام الغيوب فأقبلوا إلى القرآن ، واعمروا أوقاتكم بتلاوته ، متدبرين لآياته ، واستمعوا له وأنصتوا : لترحموا ، واحرصوا على مجالس العلم ، التى تفقه فى الدين ، ولا تستسلموا لهوى النفس وجاهدوها لتنفذ هذه الأوامر التى تشق عليها فى أول الأمر : شأن كل تكليف ، حتى تعتادها ، بالمداومة عليها . وتحبها مستلذة لها ، وحينئذ تكون سائرة فى السبيل ، الذى يحرص عليه كل عاقل ، يعلم أن الآخرة هى دار القرار . فيحرص على أن يكون فيها فى أمن من العذاب . واغتنام للثواب ، ومن وسائل ذلك — الصوم فى رجب : قال أبو قلابة أحد كبار التابعين : «(٢) فى الجنة قصر لصوام رجب » .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وجاهدوا أنفسكم : لتعتاد فعل الخيرات ، فتحيا بها فائزة معززة فى الدنيا والآخرة ، وصوموا من رجب ولو الاثنين والخميس .

---

(١) رواه الأصفهانى فى كتاب الحجة فى عقائد أهل السنة .

(٢) قال البيهقى . أبو قلابة : من كبار التابعين لا يقول مثله إلا عن بلاغ .

من كل أسبوع واحفظوا فيه أنفسكم — أن يراكم الله حيث نهاكم أو يفقدكم حيث أمركم وعلقوا قلوبكم بالمساجد وقدموا لغدكم — كل ما يكسب حب الله ورضاه عنكم (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

وعن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أن النبي صلى الله عليه وسلم — قال له(١) : صم من الحرم(٢) واترك : قالها(٣) ثلاثاً » . رواه أبو داود

وقال أبو أمامة ، قلت يارسول الله : دلني على عمل أدخل به الجنة قال : « عليك بالصوم فإنه لا مثل له » ، وكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان إلا إذا نزل بهم ضيف . رواه ابن حبان في صحيحه .

---

(١) وقال له ذلك : بأصابعه الثلاث ، فضمها ثم أرسلها .
(٢) من الأشهر الحرام .
(٣) أي قال ثلاث مرات : صم من الحرم واترك .

١ – ذكرى الإسراء والمعراج

الحمد لله . الذى رفع قدر نبينا فى الدنيا والآخرى . واختصه بالإسراء والمعراج ، وأراه من آياته الكبرى ، وقال تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : جمع لرسولنا الفضل كله ، والشرف كله ، وجعله سيد الأنبياء والمرسلين . وقد شهد بفضله عليهم . بحضورهم جميعاً شيخهم إبراهيم .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى فى معراجه . من المسجد الأقصى إلى مقام تحت العرش ، لم يبلغه سواه – شهد بنبوته – أرباب الاختصاص ، أنبياء الله ، وعلى ضوء ما رأى فيه من آيات الله – زكى سبحانه فؤاده ، وبصره ، فقال : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ، (ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد خير من شرف الوجود ، وصاحب المقام المحمود فى اليوم المشهود ، وعلى آله ، وصحبه ، الهداة التقاة ، ومن بهم اهتدى .

أما بعد :

فقد شاءت إرادة الله – أن يتجلى على كل نبى بفضله – بما يرفع ذكره فى العالمين ، فتفضل سبحانه على آدم ، فعلمه الأسماء كلها ، وفضله

على الملائكة — بعلمها ، وتفضل على إبراهيم ، فأراه ملكوت السموات والأرض ، وعلى موسى ، فكلمه تكليماً ، وعلى عيسى فعلمه الكتاب والحكمة ، وتفضل عليهم بغير ذلك من أفضال — كما تفضل على كثير غيرهم ولكن جمع كل فضل لرسولنا حبيبه ، ومصطفاه ، واختصه بما لم يعطه سواه ، فختم به الرسالة ، وهدى به كافة العالمين من الضلالة ، وقال له : (وكان فضل الله عليك عظيماً) .

ومن فضل الله عليه ، الذى اختصه به — إسراؤه به ﷺ : من حرم إلى حرم ، ومعراجه إلى السموات العلى ، إلى مقام تحت العرش ، لم يبلغه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل .

وفى هاتين الرحلتين الكريمتين ، الأرضية ، والعلوية — أراه الله من آياته الكبرى — ما فيه موعظة وذكرى لمن تجول فى رياضها منتبهاً ، فيزداد إيماناً بالله ورسوله ، وفى ذلك الإيمان — الخير كله : قال سبحانه : (قد أفلح المؤمنون) .

من آيات القادر المبدع : جل شأنه — رأى رسولنا المختار لخاتمة الرسالات — « فيلماً » ، من صنعه . تعالى : يصور ألواناً من العذاب على بعض الذنوب ، كترك الصلاة . والزكاة ، وأكل الربا ، وعدم العمل بالعلم وصنوفاً من الثواب : من أجل أنواع الطاعات : كالجهاد فى سبيل الله ، وإظهار دينه ، الذى لا طيب للحياة ، ولا سعادة فى الأخرى بسواه . ومما حواه هذا « الفيلم » الربانى ، الحافل صورة الدنيا . فى فتنتها . وخداعها . وصورتها . فى حقيقتها ، وأنها فانية ، وقد أشرفت على الزوال ، تستر قبحاً على غير ذوى القلوب النيرة ، فرآها ﷺ فى صورة عجوز قبيحة ،

تقول : يا محمد انظرنى — أسألك ، فقال له جبريل : سر يا محمد ، فهذه الدنيا لم يبق من عمرها إلا ما بقى . من عمر هذه العجوز .

ولقد مضى على هذا الحديث الحق ، الذى بين قرب زوال الدنيا — قريب من أربعة عشر قرناً ، والدنيا كما هى : لما تزل ، فالزمن الذى نظنه طويلا — هو عند الله قصير جداً ، فكل آت قريب فليتدبر ذلك من تخيل طول أجله وغره طول أمله ، والعاقل لا يغتر بفان : (إن وعد الله حق فلا يغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

ومن هنا — كان الإسراء والمعراج — قصة جديرة بالإقبال إليها ، والعناية بها ، وتدارسها بيقظة وانتباه ، والله تعالى يقول : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

فيا قوم :

أسرى به ﷺ — فى عناية الله ، ومعه جبريل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وهنالك ، بهذا المسجد ، الذى انتهت إليه الرحلة الأرضية كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم : «(١) فنشر لى الأنبياء . من سمى الله تعالى ،

---

(١) رواه البزار ، والطبرانى ، ويؤيده ما رواه البيهقى عن أنس رضى الله عنه : « وبعث الله آدم فمن دونه الأنبياء » ، وهذان الحديثان - يفيدان أن الأنبياء كانوا - حينئذ - بأجسادهم بالأرواح ، ويحتمل أنهم كانوا بالأرواح مشكلة بصور الأجساد - إلا عيسى عليه السلام : لما صح أنه رفع بجسده ، ولظاهر قوله تعالى (وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه) ، ويدل لأنهم كانوا بالأرواح - ما رواه الحاكم . والبيهقى عن أبى هريرة =

ومن لم يسم ، فصليت بهم » . ولا عجب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » . وصلاتهم — من غير تكليف : على سبيل التلذذ بها ، والخضوع لله تعالى .

وصلاته صلى الله عليه وسلم بهم احتفال بإعلان فضله صلى الله عليه وسلم — على الجميع . وأن الرسالة — نقلت من بيت إسرائيل إلى بيت إسماعيل ، وأن لا دين إلا الإسلام . الذى بلغه الإمام سيد الأنام : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

وكانت الصلاة التى صلاها نبينا بالأنبياء — من صلاة الليل التى كانت مفروضة عليه ، قبل ليلة الإسراء والمعراج بقوله تعالى : (أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) .

والصلاة بالليل ، حيث هدوء الأصوات لانقطاع الحركة — عظيمة النفع للمصلى ، إذ يستفيد بها خشوعاً وخضوعاً لله : بما تيسر له من تدبر القرآن ، وذكر الله ، وفى ذلك — عظيم رضاه تعالى ، ولذلك — قال صلى الله عليه وسلم : «(1) عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة الداء عن الجسد » .

فالسعيد يحرص على الصلاة بالليل ، الكاسبة لعظيم الخير ، المنورة

= رضى الله عنه : (فلقى أرواح الأنبياء) ، ويمكن حمل هذا على الأول : أى فلقى أرواح الأنبياء بأجسادهم : وإنما حمل على ذلك النص على الحياة .

(1) رواه مسلم فى صحيحه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

للوجوه . كان الحسن البصرى يقول : « كنا نعرف من يقوم الليل بنور وجهه فى النهار » .

ولما عطش صلى الله عليه وسلم ، فجاء جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن وإناء من ماء - اختار صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل اخترت الفطرة ، ولو شربت الخمر لغوت أمتك ، ولم يقومك منهم إلا القليل ، ولو شربت الماء لغرقت أمتك .

وما أعظم هذه البشرى فى نفسه ﷺ - بسلامة أمته من الضلالة ، من الغرق ، الذى لم يسلم منه قوم نوح ، ولا فرعون وقومه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم جد حريص على سلامتها ؛ رفع يديه إلى السماء قبلة الدعاء وقال : «(١) اللهم أمتى . أمتى » . وبكى فقال الله عز وجل : يا جبريل . اذهب إلى محمد . واسأله . ما يبكيك . وهو أعلم : « إنما أراد سبحانه أن يشهد جبريل عنايته تعالى بحبيبه محمد . وأمته » فأتى جبريل وسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال : وهو أعلم وقال الله : يا جبريل . اذهب إلى محمد ، وقل له : إنا سنرضيك فى أمتك . ولا نسوؤك . وقد قال تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . وهى - كما قال جعفر الصادق - أرجى آية فى القرآن : لأنها تقتضى خيراً ، فوق النجاة من العذاب . فما أعظم سعدنا بحبيب الله صلى الله عليه وسلم .

وقول جبريل عليه السلام : له صلى الله عليه وسلم : اخترت الفطرة ؛ حين شرب اللبن ، الذى بنيت عليه الخلقة ، وبه تقوم ، فبه ينبت اللحم ، ويشتد العظم ، وهو سهل طيب طاهر سائغ للشاربين ، سليم العاقبة ،

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير . عن سلمان الفارسى (ض) .

ولذلك لا يغص شاربه أبداً تنوية بالإسلام ، الذى يشبه باللبن ، طعام الفطرة أى الخلقة .

فالإسلام دين الفطرة ، الموافق للطبائع السليمة ، ولن ينفر منه إلا فاسد الطبع ، المحروم من الاستقامة ، وقد صور صلى الله عليه وسلم الإسلام تصويراً بديعاً ، فقال : « ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتى الصراط سوران ، وفى السورين أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول : يأيها الناس . ادخلوا ولا تعرجوا - أى ادخلوا الصراط ، ولا تميلوا إلى الأبواب المفتحة فى السورين - وداع يدعو فوق الصراط ، فإذا أراد أحد فتح شىء من هذه الأبواب - قال : ويحك يارحمة الله لك لاتفتحه . فإنك إن فتحته - تلجه - أى تدخله ، أى وفى ذلك عذاب الله - فالصراط - الإسلام ، والستور المرخاة حدود الله . والأبواب المفتحة - محارم الله . والداعى على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعى من فوق الصراط - واعظ الله فى قلب كل مسلم » : أى ضمير كل مسلم . الذى يحييه كتاب الله ، فلازموا - كتاب الله - ياعباد الله أتلوه كثيراً . واعملوا به : (ونعم أجر العاملين) . وصدق الله . إذ قال : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) .

ولما عرج به صلى الله عليه وسلم : إلى السموات - استفتح جبريل أبوابها التى صادفها هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم مغلقة : ليعلم صلى الله عليه وسلم - أنها فتحت تشريفاً له ، وليست مفتوحة على الدوام ، وأنه معروف عند أهل السموات ، ولذلك لما سألوا جبريل عمن معه ، فقال : محمد - لم يقولوا : من محمد ؟ بل قالوا : وقد بعث إليه .

ولما استفتح جبريل ، وقيل : من هذا ؟ قال جبريل . ولم يقل : أنا ،

فليتأدب المسلم بذلك الأدب. وشاهد صلى الله عليه وسلم - آدم عليه السلام يستبشر، ويضحك حين ينظر إلى أرواح أولاده: أهل الجنة، ويحزن ويبكي حين ينظر إلى أرواح أولاده أهل النار، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ولقي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام في السماء السادسة، وكان عليه السلام - سبباً في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته: في تخفيف فرض الصلوات عليها من خمسين إلى خمس في اليوم والليلة. لذلك قال صلى الله عليه وسلم. مثنياً عليه: «(١) ونعم الصاحب كان لكم».

وفي هذا — توجيهنا لمعرفة الفضل له، وشكر صاحب المعروف على معروفه: ليداوم عليه، وفي الحديث القدسي عنه تعالى. قال: «(٢) من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

وفي اختيار الله تعالى: إجراء هذا الخير للأمة المحمدية، على يد موسى عليه السلام - وهو الذي بلغ التوراة: الكتاب السماوي المشتمل على الشريعة، التي لا محيد عنها لكافة الرسل والأنبياء في بني إسرائيل: من بعده - تأكيد لإعلان نقل الرسالة من بني إسرائيل إلى محمد سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم.

ألا وإن اختصاص الصلوات بفرضها من فوق سبع سموات، دون

---

(١) قال النجم الغيطي في المعراج الكبير: في حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار كان موسى أشدهم علي حين مررت به، وخيرهم حين رجعت إليه. وفي حديث أبي سعيد: فأقبلت راجعاً، فررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم.

(٢) رواه الترمذي عن أبي سعيد (ض).

غيرها من التكاليف ـ دليل على عظم فضلها . فالمحافظ عليها يكون عظيم الفضل عند الله ، ولذلك قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(١) واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة وإن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

ولذلك عنى بها المسلمون الصادقون ، وأدوها كاملة فى أول وقتها ، ونصب أعينهم ـ قوله صلى الله عليه وسلم : «(٢) فضل أول الوقت على آخره ـ كفضل الآخرة على الدنيا » ، وقال صلى الله عليه وسلم : «(٣) من فاتته صلاة ـ فكأنما وتر أهله وماله » أى فكأنما فقد أهله جميعاً ، وماله كله ، فأصبح فقيراً لا مال له ، وليس له عون من أهل .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وعظموه تعالى بإدامة طاعته ، واذكروا بذكرى الإسراء والمعراج منزلة نبيكم عند الله : لتزدادوا به إيماناً ، وليكن اتباعكم له ـ دليل إيمانكم ، حتى تكونوا محمديين : خلقاً ، وقولا ، وفعلا واعلموا أن إمامته صلى الله عليه وسلم لجميع الرسل فى ليلة الإسراء والمعراج المباركة ـ إعلان أنه ـ هو وحده الرسول الذى يتبع ، ودينه المختار هو الدين الذى يعتنق لا سواه ، وشريعته فقط هى الشريعة التى يستمسك بها ، وكتابه هو الكتاب الذى به يهتدى ، ولا هدى فى غيره (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

عن عبد الرحمن بن قرط رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم عن ثوبان (ض) .
(٢) رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر (ض) .
(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه عن نوفل بن معاوية (ض) .

عليه وسلم - ليلة أسرى به من المسجد الحرام . إلى المسجد الأقصى : كان بين المقام وزمزم . جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فطارا به ، حتى بلغ السموات السبع ، فلما رجع - قال : سمعت تسبيحاً فى السموات العلى . مع تسبيح كثير : سبحت السموات العلى : من ذى المهابة ، مشفقات لذى العلو . بما علا (سبحان العلى الأعلى . سبحانه وتعالى) . رواه الطبرانى ، وابن ماجه .

٢ – ذكرى الإسراء والمعراج

الحمد لله : إسراؤه ومعراجه بحبيبه وخير خلقه – إعلان لفضله ، وزيادة لنوره . ويقينه : برؤية آياته : تعالى ، وعجائب ملكوته ، وقد قال جل شأنه : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : أرى رسولنا بإسرائه ومعراجه – أنه معه ، وأن صفوة خلقه من أنبياء وملائكة – أحباء له : ليسرى عنه ما أهمه : من عداوة الكفار ، وقال تعالى : (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، القائل : «(١) أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا : لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . الذين آمنوا به ، واتبعوه . ففازوا ، وأفلحوا .

أما بعد : فيابنى الإسلام . ويا أتباع خير الأنام ، الذى فى سبيل دعوته ، الهادية إلى حياة الأمن ، وراحة البال : بذيل الحاجة – قاسى ما قاسى : من الشدائد والآلام .

ولكن ما وهن لما أصابه فى سبيل الله ، وما ضعف . وما استكان

---

(١) رواه الترمذى عن أنس (ض) .

بل تدرع بالصبر : بالصورة التي وصفها لعائشة - بعد زواجه بها ، :
«(١) يا عائشة :

إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد : أي لا تنبغي أن تكون دار ثوابهم ومستقرهم فهي فانية يا عائشة :

إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم ، فقال : (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) :

وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

والصبر — يا قوم — ينير الطرقات المظلمة ، ويفتح الأبواب المغلقة .

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

لذلك — بعد تفاقم بلاء شدائده ﷺ : وآلامه . إذ مات سنده وحاميه عمه أبو طالب ، وكانت ماتت من قبله بنحو شهر بعده - زوجه ﷺ الحنون الودود خديجة ، حتى سمي عام موتهما عام الحزن ، واشتد إيذاء الكفار له ﷺ : بعد موتهما : - ذهب صلى الله عليه وسلم : صبوراً : إلى بلدة الطائف : لعله يجد من أهلها — قبيلة ثقيف — ما يعينه على دعوته ، التي وهبها كل حياته .

فما عاد منها إلا بالإيذاء والإهانة ، وكان يلق حبيبه وصاحبه زيد : هذه الحجارة ، التي كان يرميه بها سفهاء ثقيف ، وغلمانهم ، وما تركوه حتى لجأ إلى بستان عنب لبعض قريش .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم .

وفى واحة صبره الواسعة — نفس صلى الله عليه وسلم عن نفسه بدعائه : «(١) اللهم إليك أشكو ضعف قوتى . وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين : أنت رب المستضعفين وأنت ربى : إلى من تكلنى إلى عدو بعيد يتجهمنى . أم إلى صديق قريب ملكته أمرى ؟ إن لم تكن غضبان على فلا أبالى ، غير أن عافيتك — أوسع لى : أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة - أن ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك ، ولك العتبى(٢) حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك » .

فتفضل الله ، الرحيم الرحمن ، سامع شكوى حبيبه ومصطفاه ، الداعى بإذنه : إلى خير غاية وهدف ، وعزاه أجل تعزية فيما أصابه ، وشرح صدره باتباع صفوة الخلق له ، وإمامته لهم ، وأعلن نقل الرسالة من بيت إسرائيل إلى بيت أبى العرب : إسماعيل ، وأن الهداية - بعد التوراة والكتب المقدسة — أصبحت بالقرآن الكريم ، أقدس الكتب وأقومها وأقواها ، وأجمعها . وأوفاها : بالإصلاح الشامل التام ، وأن الدين المقبول عند الله - هو الإسلام وحده : فأسرى سبحانه : ليلا به صلى الله عليه وسلم : من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث كان الاحتفال ، الذى تجلى فيه فضله صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء ، وعموم رسالته لجميع الأمم : من عرب وعجم فصلوات الله وسلامه عليه - صلى إماماً بجميع الأنبياء : وفيهم أنبياء بنى إسرائيل جميعاً - ركعتين من - صلاة الليل ، التى كانت مفروضة عليه : قبل الإسراء والمعراج : بقوله

---

(١) رواه الطبرانى عن عبد الله بن جعفر (ض) .

(٢) طلب الرضا .

تعالى : (يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) .

وقال صلى الله عليه وسلم : «(١) الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون» وصلاتهم من غير تكليف على سبيل التلذذ والخضوع لله تعالى . ومن المسجد الأقصى كان معراجه صلى الله عليه وسلم : إلى السموات العلا ، وإلى سدرة المنتهى : وهى شجرة نبق فى السماء السابعة . ينتهى إليها ما يهبط من فوقها ، وينتهى ما يصعد من الأرض إليها .

وفى شجرة النبق — ثلاثة أوصاف : طعم لذيذ ، وظل ممدود ، ورائحة ذكية هى : بها - بمنزلة الإيمان ، الذى يجمع النية . والعمل والقول ، فالطعم اللذيذ بمنزلة النية ، والظل الممدود بمنزلة العمل ، والرائحة الذكية بمنزلة القول .

فسدرة المنتهى : شجرة النبق منتهى الصاعد والهابط هى : فى مكانها من السماء - كتمثال للإيمان . أساس رضا المنان .

ورأى صلى الله عليه وسلم : فى السماء السادسة - المنزل عليه التوراة ومبلغها موسى عليه السلام ، وقد نوه بفضله ، واعترف بنبوته . ورسالته ، وفى هذا الاعتراف - تسليم راية الرسالة ، وكفالة المسجد الأقصى - لرسولنا صلى الله عليه وسلم وكم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى إسرائه ومعراجه . من آيات بينات . فيها حقائق . وفيها عظات .

منها — ما روى البزار : من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أتى على قوم يزرعون فى يوم . ويحصدون فى يوم : كلما حصدوا - عاد الزرع

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس (ض) .

كما كان ، فقال : يا جبريل . من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله . تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه .

وإن هذا المثل الرائع - يا قوم - فيه - يشخص الله سبحانه لرسولنا صلى الله عليه وسلم - أجر المجاهدين من أمته ، الذين يجاهدون لإعلاء كلمته ينفقون من أموالهم فى سبيله تعالى - على أنفسهم ، أو على من سواهم من المجاهدين ، أو على العدة والأسلحة . التى بها يقاتلون ولقد تجلى من هذا التشخيص أنه أجر مضاعف غير ممنون . وفى القرآن الكريم : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

ومن سدرة المنتهى — عرج به صلى الله عليه وسلم : إلى مقام أعلى : تحت العرش : لم يبلغه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل : مثل له فيه من فى الدنيا لسانه رطب بذكر الله ، وقلبه معلق بالمساجد ، ولم يتسبب فى سب والديه وفى ذلك المقام - قال عليه الصلاة والسلام : « التحيات(١) لله والصلوات والطيبات » . فقال تعالى : (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) . فرد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ينس المؤمنين قائلا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فعند ذلك - هتف كل من سمع من الملائكة : بشهادة

---

(١) هذا تشهد ابن مسعود رضى الله عنه ، وأخذ به الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد إلا أن عنده لفظ التشهد : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما عند المالكية ويحتمل أن اللفظ : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » : كما هو مذهب الإمام الشافعى ، ويحتمل أن اللفظ « التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله » . وأخذ به الإمام مالك .

الإسلام . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد(١) أن محمداً عبده ورسوله .

ثم تلقى النبى صلى الله عليه وسلم تكليفه وأمته : بالصلاة بدون وساطة جبريل عليه السلام .

وفى ذلك — إعلان علو منزلتها عند الله ، وأنها سبيل لإعلاء القدر عنده : جل علاه .

ولذلك — كان ﷺ : يستريح بأدائها ، وقال : «(٢) وجعلت قرة عينى فى الصلاة » ، وقال : «(٣) واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة » .

أفلا ينتبه المسلم إلى هـــذا الحق . ليحرص على أداء الصلوات فى أوقاتها كل الحرص ، ولا يقصر فيها ، فيفوز ويسلم .

ويا قوم :

فى هذا الوقت الذى تذكر فيه الإسراء والمعراج - تشعل الحسرة نارها فى القلوب : من أجل استيلاء الأعداء على المسجد الأقصى . منتهى الإسراء ، ومبتدأ المعراج .

وليس ديننا دين استسلام ، ولا معنى الصبر فى الإسلام - الرضا بالذل والهوان .

فلنسمع لأجر الجهاد ، الذى أراه الله تعالى لنبينا : فى إسرائه ومعراجه

---

(١) فى التشهد عند الشافعية وأشهد أن محمداً رسول الله .

(٢) رواه الطبرى عن الجندى .

(٣) روى ابن ماجه عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة . ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

بجهاد إسرائيل أعداء الإنسانية ، وتخليص المسجد الأقصى والأراضى العربية : من أيديهم : ليعود لنا مجد شامخ من أمجادنا ، وسبيل من حسناتنا قال صلى الله عليه وسلم «(١) الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واعتبروا بذكرى الإسراء والمعراج . فاذكروا فضل نبيكم باقتدائكم به ، والتخلق بأخلاقه ، والتحلى بآدابه وجاهدوا فى سبيل الله . لا باللسان فقط ، بل ليبذل الغنى من ماله ، وليحمل القوى السلاح مجاهداً بنفسه ، لعاقبة النصر والغنيمة ، أو للشهادة ، وهى مرتبة عليا عند الله تنيل عظيم رضاه ، والجهاد ذروة سنام الإسلام ، ولا يجد الشهيد من ألم القتل إلا كما يجد المرء من مثل قرصة البرغوث ، وازدادوا قوة - اتقوا لتهديد الله : لليهود بقوله : (وإن عدتم عدنا) أى (وإن عدتم) : للإفساد - (عدنا) عليكم : فى الدنيا بالقهر : بأيدى المسلمين - مع ما ندخره لكم فى الآخرة من العذاب الأليم ، ولا تتهاونوا فى الجهاد . ولا تتكاسلوا عنه فيصيبكم ما أصاب غيركم : من تشريد . واضطهاد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » .

واحرصوا - مع هذا الجهاد المقدس - على الصلوات : فى أوقاتها تعلوا عند الله قدراً ، وتفوزوا بالامتياز عن غيركم : بغرة الوجوه وتحميل

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير : عن أبى الدرداء (ض) .
(٢) رواه الطبرانى عن أبى بكر (ض) .

القوائم وبياضها : حلية(١) من وضوئها ، وبنور الوجوه من سجودها ، وبمراقبة الله : سر الصلاح من أدائها ، وبذلك تحوزون القوة(٢) المعنوية بها تنجلي القوة المادية وتنفع ، ولا نفع لها بدونها مهما عظمت واستمعوا منصتين لقوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أمتي يدعون يوم القيامة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » رواه مسلم .

(٢) لما سأل المقوقس عظيم القبط رسله عن صفات الجنود المسلمين - قالوا: رأينا قوماً : الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، فليس لأحدهم رغبة في الدنيا ولا نهمة : إنما جلوسهم في التراب ، وأكلهم على الركب ، وأميرهم كواحد منهم : ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد ، وإذا حضرت الصلاة - لم يتخلف عنها منهم أحد : يغسلون أطرافهم بالمياه ، ويخشعون في صلاتهم .

فقال المقوقس : لو أن هؤلاء - استقبلوا الجبال - لأزالوها ، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد .

غراً محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » رواه البخارى ومسلم : عن أبى هريرة : رضى الله عنه .

وعن ابن مسعود : رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها : قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين : قلت ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » : رواه البخارى ومسلم .

استقبال شهر شعبان المبارك

الحمد لله رب السموات ورب الأرض رب العالمين (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون).

وأشهد أن لا إله إلا الله، العظيم شأنه، القوي سلطانه، الظاهر إحسانه: (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) رب الأنام، والأيام والشهور والأعوام.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، الذي باتباعه ـ ينال رضا الله، القائل: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، الذين اقتدوا به، ونصب أعينهم قول ربهم وربه: (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم).

أما بعد:

فإبراهيم خليل الرحمن: عليه السلام: لما كشف له عن ملكوت السموات والأرض، فرأى ما فيهما ـ أبصر عبداً يزني فدعا عليه، فأهلكه الله تعالى، ثم رأى عبداً يسرق، فدعا عليه، فأهلكه الله تعالى، ثم رأى عبداً على معصية أخرى فأراد أن يدعو عليه، فقال الله تعالى: يا إبراهيم دع عنك عبادي، فإن عبدي بين ثلاث: بين أن يتوب، فأتوب عليه، وبين أن أستخرج له ذرية تعبدني، وبين أن يغلب عليه الشقاء، فمن ورائه جهنم

لحلم الله يثمر إمهال من عصاه ، وليس الإمهال إهمالا ، فعقبى مستمرىء العصيان ـ جهنم : قال تعالى : (وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) .

ومن آثار حلمه تعالى ، المثمر إمهاله رحمة منه لا إهماله ـ انتفاع ثلاثة عصاة بصدقة مخلص صادق النية لعلهم يعتبرون ، فيقلعون عن ذنوبهم ويرجعون إليه تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (١) قال رجل ـ أى من بنى(٢) إسرائيل ـ لأتصدقن ـ أى الليلة(٣) بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ـ أى وهو لا يعلم أنه سارق ، فأصبحوا ـ أى فأصبح القوم من بنى إسرائيل ، الذين فيهم هذا الرجل المتصدق ـ يتحدثون ـ أى وهم متعجبون ، فإن الصدقة مختصة من أهل الحاجات ـ تصدق الليلة على سارق ، فقال ـ أى المتصدق وهو متعجب ـ اللهم لك الحمد : على سارق ، لأتصدقن بصدقة ـ أى أخرى ـ لعلها تصادف من هو أهل لها ، فخرج بصدقته ، فوضعها فى يد زانية . . ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ، لا تصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته ، فوضعها فى يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنى ، فقال ـ أى المتصدق وهو حزين لذلك ـ : اللهم لك الحمد : على سارق ، وزانية ، وغنى . فأتى ـ أى فأتاه آت فى منامه ، وبشره بقبول صدقاته ، وبين له الحكمة فيما اختاره الله ـ فقيل له « (٤) أما صدقتك

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة (ض) .
(٢) جاء ذلك فى رواية .
(٣) كما جاء فى رواية أبى عوانة وتكريرها فى المواضع الثلاثة .
(٤) هذه الزيادة ما بين القوسين رواها مسلم والنسائى ولم يروها البخارى

ـ فقد(١) تقبلت ، ـ أما صدقتك على سارق ـ فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية ـ فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغنى ـ فلعله أن يعتبر ، فينفق مما أعطاه الله عز وجل ـ أى ولا يبخل) .

فياقوم :

إمهال الله لمن عصاه : لتحقيق خير من جهة العاصى : كأن يلد ذرية صالحة تعبد الله ، أو لتحقيق خير لنفس العاصى بتوبته وعبادته ، والله تعالى يقول : (يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

وليست رحمته تعالى لمن عصاه — سوى إمهال لعله يتوب ، فيسلم ، وإن لم يتب — تعرض لعذاب الله ، وهو لايجد عذراً يعتذر به ، وقد قال تعالى : (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وقال جل شأنه : (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها(٢) وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل(٣) يشوى الوجوه بئس الشراب(٤) وساءت مرتفقاً) .

فلا يغر أحداً حلم الله ـ مع عصيانه له ، وليثب إليه من قريب حذراً من فجأة الموت ، وبعده المسئولية الخطيرة ، وخاصة يوم الهول العظيم .

---

(١) هذا فى صدقة التطوع ، وأما الزكاة الواجبة فلاتجزىء ولدافعها استردادها من غير المستحق ، وقال أبو حنيفة : إنها تجزىء .

(٢) ما أحاط بها .

(٣) كعكر الزيت .

(٤) أى قبح مرتفقها ، وهو مقابل لقوله تعالى فى الجنة : (وحسنت مرتفقاً) ، وإلا فأى ارتفاق وانتفاع فى النار .

وقد قال جل شأنه : (فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً) .

ولا يغرن عاصياً رحمة الله له فى الحياة ، وليعجل التوبة ، متنصحاً بقول من قال :

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة
وأنت على سوء من الفعل عاكف
وإياك أن تمضى من الدهر ساعة
ولا لحظة إلا وقلبك واجف
وبادر بأعمال يسرك أن ترى
إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

واعلموا أن ربكم – فى حلمه ورحمته – رقيب عليكم : (إن الله كان عليكم رقيباً) ، وقال تعالى : (ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً) وقال سبحانه : (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) .

وماذا يقول عمال مراقب أعمال : بيده درجاتهم وعلاواتهم ، وهو عادل لا يظلم أحداً .

ومع اطلاعه الدائم على أعمالهم ، وسائر أحوالهم (إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء) – يعلمهم بتحديد أوقات لاطلاعه على أعمالهم . ويعلن لهم مواعيد للتفتيش عليهم ، ويقارب بينها : ليعتادوا أداء العمل بإتقان وإحسان ، ولا يقصروا فيه ولا يغفلوا عنه : بتركه : إهمالا وإعراضاً : حرصاً منهم على كسب رضاه تعالى ، والفوز بما فى يده من خير يرجونه : لا ريب أنهم يقولون : إنه حكيم رحيم .

وأين حكمة هذا المراقب ورحمته ، من حكمة الله ورحمته (وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «(١) قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبى ، فإذا امرأة من السبى - ضاع منها ولدها - فصارت تحلب ثديها - تسقى ولد غيرها : لتخفف عنها حرارة اللبن ، فبينما هى كذلك - إذ وجدت صبياً فى السبى ، فأخذته ، فألصقته ببطنها مظهرة حنينها عليه ، وأرضعته ، فقال لنا النبى صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه طارحة ولدها فى النار ، قلنا : لا . وهى تقدر ألا تطرحه فقال : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

وقد اقتضت حكمته تبارك وتعالى أن تسجل أعمال عباده فى صحائف : يكتبها ملائكة : لتكون حجة لهم أو عليهم : (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) .

ومن رحمته تعالى - عرض هذه الأعمال عليه عرضاً يومياً وأسبوعياً وسنوياً ، مع أنه سبحانه يعلمها قبل وجودها ، ويراها حين عملها ، وحين تسجيل الملائكة لها ، ولا يخفى عليه شىء منها : ليتدارك عباده ما فاتهم ، ويستقبلوا الأزمنة المختلفة لعرض الأعمال : بالتوبة والإنابة ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات ، وهو الجواد الكريم ذو الخير العميم .

وما أكثر مرات العرض فى كل عام : إنها تبلغ ثمان مائة مرة أو تزيد فما أعظم كرم الله بإعطائه فرصاً كثيرة لنا لإصلاح حالنا ، وما أحمق من يخرج من الدنيا مسخطاً لله .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

وفى ذلك العرض ـ قال رسولنا ﷺ : « (١) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون » ، وقال صلى الله عليه وسلم « (٢) ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا من ليل أو نهار ، فيجد الله فى أول الصحيفة وفى آخرها خيراً إلا قال للملائكة أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » .

وقال أسامة بن زيد رضى الله عنهما : «(٣) كان رسول الله ﷺ يصوم الاثنين والخميس ، ويقول : إن هذين اليومين ـ تعرض فيهما الأعمال » ، وقال ﷺ : «(٤) تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس . فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم » .

وقال أسامة بن زيد : رضى الله عنهما : يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ماتصوم من شعبان ؟ قال : « (٥) ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه بين رجب ورمضان . وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى والبيهقى عن أنس رضى الله عنه .

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(٤) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٥) رواه النسائى .

وقال أسامة بن زيد أيضاً : « (١) كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام يسرد ، حتى نقول لا يفطر ، ويفطر الأيام حتى لا يكاد يصوم إلا يومين من الجمعة إن كانا فى صيامه ، وإلا صامهما ، ولم يكن يصوم من الشهور ما يصوم من شعبان ، فقلت : يا رسول الله : إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلا فى صيامك ، وإلا صمتهما ، قال : أى يومين ؟ قال : يوم الاثنين ، ويوم الخميس . قال : ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين ، وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم . قلت : ولم أرك تصوم من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع الأعمال فيه إلى رب العالمين عز وجل ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » : أى حيث يرفع العمل مصحوباً برائحة الصوم ، وهى - عند الله - أطيب من ريح المسك .

والصوم عنوان واضح لصدق العبودية لله ، فلا رياء بحقيقته ، فلا عجب أن أحب أصدق العابدين ﷺ أن يرفع عمله وهو صـــائم ، فإن العمل حينئذ - يكون أرجى أن يقبله الله ، القائل : « (٢) كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » .

مع ما تبين من عظيم فضله ، وصيامه ﷺ شعبان أو أكثره مع غفلة الناس عنه : بترك الصـــيام فيه ونحوه من الطاعات : إهمالا - دليل على استحباب العمارة لأوقات غفلة الناس بالطاعة ، وأن ذلك محبوب لله عز وجل

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائى ، ويمكن الاستغناء بهذا الحديث عن الأحاديث الثلاثة قبله .

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

ولذلك - فضلت صلاة الضحى وذكر الله في الأسواق ، وكان سلفنا الصالح يستحبون الصلاة بين المغرب والعشاء ، حيث غفلة الناس عن الطاعة وشغلهم بطعام العشاء ، وهي المعروفة بصلاة الأوابين الرجاعين لطاعة الله تعالى ، وقد صلاها عمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد المغرب ست ركعات وقال : رأيت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد المغرب ست ركعات وقال : «(١) من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر - أي ماعلا ماءه من قذر ونحوه - » ، وحدث الرسول ﷺ عن ثلاثة لم يغفلوا عن طاعة الله تعالى حين غفل سواهم ، فقال : «(٢) ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ويستبشر بهم - أي يرضى عنهم : الذي إذا انكشفت فئة - أي لظهور العدو عليها ، ففر من فر وقتل من قتل - قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل ، فإما أن يقتل ، وإما أن ينصره الله ، ويكفيه فيقول : أنظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه ، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن ، فيقوم من الليل ، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد ، والذي إذا كان في سفر ، وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا - أي ناموا - فقام من السحر قبيل الفجر في ضراء(٣) وسراء » .

ويا قوم :

بعد أن بين : صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله - فضل شعبان ، الذي كان الناس في غفلة عنه - يليق أن نكون من أولئك الغافلين فيه عن طاعة الله ، فنكون من المحرومين ، وقد استطعنا أن نكون من الفائزين ؟ ولا يليق

---

(١) رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن محمد بن عمار بن ياسر (ض) .

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير عن أبي الدرداء (ض) .

(٣) أي في الحالين ، فلم يمنعه ضر ولا سرور .

أبداً بمسلم أن يكون فيه من العاصين ، فترفع له السيئات بدل الحسنات : لله ذى البطش الشديد (ألم يعلم بأن الله يرى) .

إنا — فى الدنيا — نجد للحرمان من الصحة وسائر الخيرات ـ ألماً شديداً ـ مع عدم انقطاع الأمل ، فكيف نرضى فى الآخرة لنفوسنا الألم الذى لا يطاق : للحرمان من النعيم والملك الكبير ـ مع انقطاع الأمل : لعدم العمل فى الدنيا ، وقد قال تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) .

فليسأل كل منا ربه أن يقيه الغفلة عن طاعته : كما سأل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «(١) اللهم لا تؤمنى مكرك ، ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ، ولا تجعلنى من الغافلين » . وكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو ويقول : « اللهم لا تدعنا فى غمرة شـــدة ـ ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين » . ودعا عمر فقال : « اللهم ارزقنا البركة فى الأوقات وإصلاح الساعات » .

وليجاهد كل منا نفسه ـ مع سؤال الله عدم الغفلة ـ لتنشط فى الطاعة ، فيصوم ما تيسر من شعبان ، ولا أقل من أن يصوم أيام الاثنين والخميس والأيام البيض(٢) الثلاثة التى يكون الجو فيها أبيض منه بنور القمر حتى

---

(١) رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس ، عن ابن عباس : رضى الله عنهما .

(٢) روى النسائى والبيهقى عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر : أيام البيض : صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة » .

يكون بدراً - الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(١) من صام من كل شهر ثلاثة أيام - فذلك صيام الدهر » فأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) : اليوم بعشرة أيام » .

وكم للصوم - ياقوم - من فائدة ، وما أطيب عقبى ثمرته فى إشراق الروح : وإصلاح الجسد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا » .

وفى صوم الشباب - تقواه ، التى بها يمنح نوراً ، يسهل به تحصيل العلم ويوفق للإجابة فى الامتحان ، ويكون النجاح والفلاح .

ولا يثبطن عن الصوم عاقلا حريصاً على الخير قلة الصائمين ، فالمسلم حقاً لا يكون إمعة تابعاً لغيره ، أحسن أو أســـاء ، بل يكون قدوة فى الإحسان وفعل الخير ، والصلاح لغيره : كما جاء فى صفات عباد الرحمن - أنهم يقولون فيما يسألون الله تعالى : (واجعلنا للمتقين إماماً) .

وما أسعد البلاد بصالحى العباد ، ورأى بعض المتقدمين فى منامه من ينشد ويقول :

لولا الذين لهم ورد يصلونا ... وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحراً ... لأنكم قوم سوء ما تطيعونا

ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «(٣) مهلا عن الله مهلا، فلولا

---

(١) رواه الترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه .
(٢) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة (ض) .
(٣) رواه البزار فى مسنده عن أبى هريرة (ض) .

عباد ركع ، وأطفال رضع ، وبهائم رتع ـ لصب عليكم العذاب صباً ، فصدق من قال :

لولا عباد للإله ركع وصبية من اليتامى رضع
ومهملات فى الفلاة رتع صب عليكم العذاب الموجع

فحيا الله من أطاع الله فى رجب ، وداوم عليها فى شعبان ، وفى كل مكان وزمان .

ويا قوم :

الغد ، الذى لا بد منه ، ولحسن الحال فيه ــ كان المسلمون الأولون إذا دخل شعبان ــ انكبوا على المصاحف فقرأوها : تقوية لأرواحهم ، وتنويراً لقلوبهم ، وأخرجوا زكاة أموالهم : إذا لم يكونوا أخرجوها : تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان وهكذا كانوا يهتمون بالطاعة فى شعبان : تمرينا لنفوسهم على أدائها برغبة ونشاط فى رمضان ، وإذا كان قل الاقتداء بمن سبقنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ـ فلا بأس من أن تصبح القلة كثرة : بسعينا إلى ما فيه خيرنا ، وجدنا فى طاعة خالقنا ورب نعمتنا .

فاتقوا الله وجدوا فى طاعته ، فالموت يحل دار كل حى يوماً ، بعد أو قرب ، فانتهزوا الفرصة واستعدوا .

وهل تضمن ـ يا عبد الله ــ دوام الحياة ، إذا اخترت ـ لنفسك ـ غير طاعـــة الله (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) .

مضى رجب وما أحسنت فيه
وهذا شهر شعبان المبارك

تدارك فيـــه ما قد فات قبلا
بحبـك من يحاسبنا تبــارك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النادم ينتظر من الله الرحمة ، والمعجب ينتظر المقت . واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله ، وإنما الأعمال بخواتيمها ، والليل النهار مطيتان ، فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة ، واحذروا التسويف ، فإن الموت يأتى بغتة . ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل . فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله . ثم إقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) رواه الأصبهانى عن ابن عباس (ض) .

وقال أنس : سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الصوم أفضل بعد رمضان ؟ قال : شعبان : لتعظيم رمضان . قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة فى رمضان » رواه الترمذى .

وقالت عائشة : رضى الله عنها : « كان أحب الشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصومه ـ شعبان ؛ ثم يصله برمضان » رواه أبوداود وقالت أيضاً عائشة رضى الله عنها : « ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان : كان يصومه إلا قليلا ؛ بل كان يصومه كله » رواه النسائى والترمذى وغيرهما .

الحث على العمل الصالح فى شهر شعبان

الحمد لله (العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » .

وأشهد أن لا إله إلا الله : (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح للأمة ، ووجهنا إلى صلاح القلوب والأعمال ، فقال : «(1) إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

اللهم صل وسلم على سيدنا ، وعلى آله ، وصحبه ، الذين حرصوا فى حياتهم على إرضاء ربهم ، ففازوا فوزاً عظيماً .

أما بعد :

فمن سلفنا الصالح — توبة بن الصمة — حسب سنه يوماً ، فإذا هو ابن ستين سنة ، فحسب أيامها ، فإذا هى نحو أحد وعشرين ألف يوم . وربع ألف يوم تقريباً ، فتصور هول حساب الله له . وعقابه - على ذنوبه ، مع أنه كان مراقباً لربه . على الدوام ، فصرخ وقال : يا ويلتى . ألقى ربى بأحد وعشرين ألف ذنب ، وربع ألف ذنب . إذا كنت أذنبت فى كل يوم ذنباً واحداً . فكيف إذا كانت ذنوبى لا تحصى . ثم تضرع وتأوه ، وقال : عمرت دنياى ، وخربت أخراى ، وعصيت مولاى الوهاب ، ثم لا أشتهى النقلة من العمران إلى الخراب ، وكيف أقدم يوم الحساب . على الكتاب

---

(1) رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة (ض) .

والعذاب – بلا عمل ولا ثواب ، ثم من شدة تصوره لفظاعة الموقف بين يدى الله ، مع إشعاره نفسه بالتقصير فى طاعة الله نظراً لمقام الله ، وهو – فى الواقع – غير مقصر – شهق شهقة عظيمة ، ووقع على الأرض ، فحركه الناس ، فإذا هو ميت : رحمة الله عليه .

أو لسنا – يا قوم – مثله . عرضة لحساب الله ، مسئولين يوم لقاء الله قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ، وقال عمر رضى الله : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . . . » .

عبد الله

إذا حدد لك ميقات يوم معلوم : لتقف أمام محقق فى شىء نسب إليك أو ليحاسبك على شىء – فماذا تصنع ؟ لا شك أنك تفكر طويلا فى هذا الموقف ، وفيما عسى أن يوجه إليك : من أسئلة ، وكيف تجيب ، وتعمل حساباً لكل احتمال : حرصاً على براءتك مما نسب إليك ، ونهاية محاسبتك بسرورك . مع أن المحقق المحاسب لك – لا يعلم من أمرك إلا ظاهرك ، فكل ما تقول من قول معقول – مقبول ، ولو لم يكن حقاً ، وقد تكون غاية مسئوليتك ضرراً محدوداً فى الدنيا . وكل دنياك محدودة . فما لحى من الخلق دوام : (كل من عليها فان ويبقى وجـــه ربك ذو الجلال والإكرام) .

فلماذا لا تفكر – أيها العاقل فى موقفك أمام ربك ، الذى يحاسبك . ولا يخفى عليه شىء من أمرك : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم) . وعاقبة حسابه فى الآخرة التى لا نهاية لها – إذا أدنت – فضيحة على رءوس الأشهاد : من جميع الأجناس ، وعذاب جد

الجبال . ويخمد الأنفاس ، وقد قال تعالى : (إن لدينا أنكالا(١) وجحيماً وطعاماً ذا(٢) غصة وعذاباً أليماً يوم ترجف(٣) الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً(٤) مهيلا(٥)) .

افتعمل حساباً لحساب المخلوق ، ضعيف البطش ، ولا تعمل حساباً لمحاسبه الخالق . ذى البطش الشديد (والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) . وإذ كنت تخشى صحيفة سوابقك ، التى أثبتت فى الدنيا - وهى عرضة للمحو والنسيان - فماذا تصنع فى صحيفة كتبتها بنفسك ، وسطرتها بعملك ، وشهودها - أعضاؤك ، ورقباؤها - حفظة كرام ، لا يقبلون رشوة . ولا هدية ، ولا يعرفون ملقا ولا نفاقاً (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) . (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) .

واستمع إلى قول رسول الله : يشير إلى أن أعمالنا تسجل فى صحائفنا التى تكتبها الملائكة : لتكون حجة علينا ، وتعرض على العليم الخبير يومياً فى الليل والنهار : قال رسولنا ﷺ : «(٦) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادى ؟

---

(١) جمع نكل : بالكسر ، وهو القيد الشديد يوضع فى الرجل : لمنع الحركة . وسمى القيد نكلا : لأنه ينكل به أى يمنع .
(٢) أى ينشب فى الحلوق ، لا هو نازل ولا هو خارج ، وهو الزقوم .
(٣) تضطرب . (٤) تل الرمل .
(٥) سائلا . متناثراً بعد اجتماعه .
(٦) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، عن أبى هريرة (ض) .

فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون » . ثم إن الأعمال تعرض عرضاً أسبوعياً فى يومى الاثنين والخميس ؛ قال ﷺ : حين سئل عن صومهما : «(١) تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض على وأنا صائم » . ثم تعرض عرضاً سنوياً فى شهر شعبان من كل عام ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يصومه كله أو أكثره ؛ قال أسامة بن زيد رضى الله عنهما قلت : يارسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : «(٢) ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

أى حيث يرفع العمل إلى الله مصحوباً برائحة الصوم ، ـ عند الله ـ أطيب من ريح المسك : إذ الصوم ـ عنوان واضح على صدق العبودية لله فلا رياء فى حقيقته ، فلا عجب أن أحب أصدق العابدين ، أعلم الخلق بالله وأشدهم له خشية ـ أن يرفع عمله وهو صائم .

وهل انتبهت ـ يا عبد الله ـ إلى السبب فى تكرار عرض الأعمال ، حيث تعرض أسبوعياً فسنوياً ، بعد عرضها يومياً ـ على الله ، الذى يراها حين عملها ، وحين تسجيل الملائكة لها ، بل يعلمها قبل وجودها بآلاف السنين .

ذلك : لننتبه ـ إلى أنها ـ منظور إليها ، ولا تنسى ، ولا تمحى ، إلا سيئها ، فيبدله الله حسنة ـ إذا تبت منه : حياء من الله ، وحرصاً على

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة (ض) .

(٢) رواه النسائى .

السلامة من عذابه ، واغتنام ثوابه (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) .

ومن هنا ـ كان سيدنا عمر يقوم من الليل : يتعبد فيه ، ويحرس الرعية وهم نائمون ، ويوجه إلى الخير ، ويبعد عن الشر ، ويقول : لئن نمت الليل ـ لأضيعن نفسى ، ولئن نمت النهار ـ لأضيعن الرعية . فكيف بالنوم بين هاتين .

ومن لم يتب ـ قامت عليه حجة الله قوية واضحة ، وكان العذاب مستحقاً ، ولا عذر له ، وقد علاه الخجل : من كثرة إمهال الله له : بكثرة مرات العرض ؛ مع شدة غفلته عن حساب الله ؛ والمسئولية بين يديه تعالى : كأن الأمر لا يعنيه ، وكأن المسئولية تقع على غيره . والله تعالى يقول : (كل امرىء بما كسب رهين) .

أى كل امرىء ـ مرهون ـ عند الله : بكسبه وعمله ؛ فإن كان عمله صالحاً ـ فك نفسه وخلصها ـ كما يخلص المرهون من يد مرتهنه ؛ وإلا أهلكها .

وكيف يجيب العصاة ـ إذا قال لهم الله : (يا عبادى إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم ـ فذلك لخلل فى إيمانكم . وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم ـ فلماذا تجعلونى أهون الناظرين إليكم) .

فيأيها الإنسان المبصر :

مواسم الله ـ أزمنة النفحات الربانية ، ونسمات رضا الله النقية الذكية ، ومنها شهر شعبان ، مدخل رمضان ، شهر الصيام الذى يعقبه أشهر الحج ، وإنها للأوقات ، التى يحرص العاقل على عمارتها بالطاعات ،

واجتناب الخطيئات : سعياً إلى مضاعفة الحسنات ، ورفع الدرجات ، والسلامة من غضب الله ونقمته .

فلنتق الله — معشر المسلمين — ولنكن فى شعبان العباد الصالحين ، فلنقب إليه تعالى ، ولنحاسب أنفسنا فى كل وقت حتى لا يكون منها إلا ما يرضى الله ، ولنملأ ساعات ذلك الشهر ـ بفعل الخيرات ، عازمين على أن نكون صادقين فى طاعته تعالى على الدوام ، حتى تكون ساعات أعمارنا يوم العرض على الله ، يوم الحساب ـ خزائن أنوار بالطاعات ، ليس فيها خزائن ظلمة بالمعاصى ، ولا خزائن فارغة : لعدم العمل .

أيها المسلمون :

اتقوا الله وتفكروا فى زمن عذابه لا يطاق ، ونعيمه ليس له مثيل فى البهجة فى الدنيا على الإطلاق ، وأن السيئات اليوم ـ سبيل ذلك العذاب ، والحسنات التى تأتونها فى الدنيا وسيلة ذلك النعيم : لتنتهزوا فرصة شعبان فتترسلوا فيه بالصيام ، والصالحات إليه تعالى . مجتنبين لما يسخط الله ، فيقيكم عذابه . الذى لاتقدرون عليه . ولاطاقة لكم به . وقد قال تعالى : (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم) .

روى البخارى ومسلم ، فى صحيحيهما ، عن عائشة رضى‌الله عنها قالت : « لم يكن النبى ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان . فإنه كان يصوم شعبان كله . وكان يقول : خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا وكان أحب الصلاة إلى النبى ﷺ ما دووم عليه . وإن قلت . وكان إذا صلى صلاة داوم عليها) .

وروى الترمذى عن أم سلمة : رضى الله عنها قالت : « ما رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان) .

وروى أبو داود ، عن أم سلمة : أيضاً قالت : « لم يكن النبي : صلى الله عليه وسلم يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان . كان يصله برمضان »(١) .

(١) رواه النسائي بلفظي الترمذي وأبي داود جميعاً .

انتهاز فرصة ليلة النصف من شعبان

لكسب الخير

الحمد لله ، ولى كل تقى ـ وهو سبحانه الغنى العلى ، الذى خزائنه بين الكاف والنون ، وقال : (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا دعانى) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، القائل : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : كان إذا أهمه أمر ـ قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث » ، وقال : « إن سألتم الله حاجة — فابدءوا بالصلاة على النبى : فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين ، فيعطى إحداهما ويرد الأخرى » . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، المهتدين الهداة .

أما بعد : فيا عباد الله ..

مر موسى عليه السلام برجل يدعو الله بتضرع وإلحاح ، فقال موسى : يارب أما استجبت لعبدك ، فأوحى الله إلى موسى أن لو بكى حتى تلفت نفسه ، ورفع يديه ، حتى بلغ عنان السماء ـ ما استجبت له : قال : يارب لم ذلك ؟ قال : لأن فى بطنه الحرام ، وعلى ظهره الحرام ، وفى بيته الحرام .

ولما سأل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعله مستجاب الدعوة ـ قال : « أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده : إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه أربعين يوماً . وأيما عبد نبت لحمه من سحت ـ فالنار أولى به »

وقال: « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

ومثل أكل الحرام فى الحرمان من قبول الدعاء - جميع الذنوب ، التى تقطع الصلة بالمدعو : جل شأنه ، وهو مالك كل شىء ، وقد قال (إنما يتقبل الله من المتقين) .

ولذلك قال بعض السلف : « لا تستبطىء الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصى » ، ورحم الله من قال :

نحن ندعو الإله فى كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو استجابة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب

فيا قوم :

لا يغرن عاصياً قضاء حاجته : وفق طلبه فى بعض الأحيان : كما حصل لإبليس : (قال رب أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين) . فذلك ابتلاء امتحان منه تعالى ، وقد قال جل شأنه : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ، وقال سبحانه : (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين » .

فلا يضل بذلك الامتحان صادق الإيمان ، المؤمن بربه ، الذى يرى أن الوجود كله - يشهد بألوهيته : تعالى ، وأنه لا يليق من عبده إلا طاعته له ، وهى التى تصله به تعالى ، وتحقق استجابته لدعائه دوماً .

ولما مر إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة ، فاجتمع الناس إليه ، وقالوا له : ما لنا ندعو الله فـلا يستجاب لنا — قال : لأن قلوبكم - ماتت بعشرة أشياء :

« عرفتم الله ، فلم تؤدوا حقه ، وزعمتم أنكم تحبون رسول الله وتركتم سنته ، وقرأتم القرآن، فلم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها ، وقلتم إن الشيطان لكم عدو ولم تخالفوه ، وقلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها . وقلتم إن النار حق ولم تهربوا منها ، وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له ، وانتبهتم من النوم ، فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم . ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم » .

فيأيها المؤمنون بأن كل شيء من الله (الله خالق كل شيء) : لا شك أن تحقيق ما تريدون بيد الله ، فادعوه لذلك ، فقد قال رسولنا ﷺ : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » : إذ هو مظهر إحساس العبد بالذل والحاجة إليه تعالى : كالمخ يكون به الإحساس بالماديات : ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » .

وشروط قبول الدعاء ـ تقوى الله ، التي منها أكل الحلال وترك الحرام وطهارة القلب من الحقد والحسد والغل ، والتأدب بآدابه التي منها تيقن الإجابة : حتى يدعى بحضور قلب وانشراح صدر وأمل ورجاء وعدم استبطاء الإجابة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت ، فلم يستجب لي » . وقال ابن عطاء الله رضي الله عنه : « لا يكن تأخر الإجابة موجباً ليأسك فقد ضمن لك الإجابة فيما اختاره . لا فيما اخترته لنفسك » . واعلموا أن انتظار الإجابة ـ حسن ظن بالله ، وثقة به تعالى : تكسب رضاه .

لذلك ـ كان انتظار الإجابة ـ من أعظم أنواع العبادة . قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج » .

ومن هنا قال بعض الصالحين : « إنى أسأل الله حاجة منذ عشرين سنة وما أجابنى وأنا أنتظر الإجابة » .

ومن آداب الدعاء - تحرى الأوقات الفاضلة : كأوقات الليل ، حيث الهدوء ، وبخاصة وقت السحر منها ، وهو قبيل طلوع الفجر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخير ، فيقول : (من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له) وقيل يارسول الله : أى الدعاء أسمع ؟ أى أرجى قبولا ؟ قال : (١) « جوف الليل الآخير ، ودبر الصلوات المكتوبات » ، ولما شـــاهد عمر رجلا ينصرف عقب الصلاة - أقعده : لأنه فى حضرة الإله ، فليتزود ما استطاع من النور والنفحات ، فقال له ﷺ : « أصبت يا بن الخطاب .

كذلك الدعاء أرجى قبولا : فى حال السجود ، وحين يفتتح بكلمات ذكر الله : كيا ذا الجلال والإكرام . قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام » وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إن ملكاً موكلا بمن يقول : يا أرحم الراحمين . فمن قالها ثلاثاً - قال الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل » .

ومن الأوقات التى ينبغى أن ينتهزها المسلم فرصة لدعاء الله جل شأنه ليلة النصف من شعبان . قالت عائشة رضى الله عنها « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى ، فأطال السجود ، حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك - قمت حتى حركت إبهامه ، فتحرك ، فرجعت ، فسمعته يقول

---

(١) رواه البيهقى ، (٢) رواه الترمذى : عن أنس (ض) .

فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناء عليك : أنت كما أثنيت على نفسك. فلما رفع رأسه من السجود ، وفرغ من صلاته ـ قال : يا عائشة : أظننت أن النبى ﷺ قد خاس بك ـ أى غدر بك ، ولم يوفك حقك . وذهب فى ليلتك إلى غيرك ـ قلت : لا والله يارسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت ، لطول سجودك . فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذه ليلة النصف من شعبان . إن الله : عز وجل ـ يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ، ويؤخر أهل الحقد كما هم » .

فهل انتبهت يا مؤمن : لحرمان الحقود من نظر العزيز الحميد فى هذه الليلة المباركة ، فإن الحقد ـ وهو إضمار السوء ، والتحفز للإيذاء ـ يقطع الصلات ، ويملأ القلوب ظلمات ، فلا يستحق صاحبه رحمة قيوم الأرض والسموات .

فياسعد المؤمن القائم ، الذى صافى من خاصمه ، ووصل رحمه ، إذا شهد ليلة النصف من شعبان ، فرفع كفيه إلى السماء قبلة الدعاء ، وسأل الله من فضله : لخير دنياه وآخرته ، وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم « إن الله ليطلع إلى خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن وقاتل نفس » .

والمشاحن هو المخاصم الذى يضمر الحقد لأخيه ، وإنه لهو المحروم من المغفرة فى جميع الأوقات . قال صلى الله عليه وسلم : « تفتح الجنة يوم الاثنين والخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واستقبلوا ليلة النصف من شعبان بتوبة خالصة من الخاصمة لغير الله وسائر المعاصى ، وقم ليلها بذكر الله وما تيسر من صلاة وقراءة ودعاء ، وأفضله ما ورد فى القرآن . وعلى لسان رسوله ، وصوموا نهارها فهو اليوم الخامس عشر من شعبان : آخر الأيام البيض ، وأضيفوا إليه اليومين السـابقين . فهذه الأيام من صامها — فكأنما صام الشهر كله ، فالحسنة بعشر أمثالها ، وادعوا الله فيها بما تحبون لكم وللمؤمنين ، بذلة وخشوع ، وثقة بالمجيب السميع ، الذى لا ينفد ما عنده ، وقد أوحى الله إلى آدم عليه السلام — أن جماع الخير كله — فى أربع : قال له : واحدة لى وواحدة لك ، وواحدة فيما بينى وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين الناس : أما التى لى — فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً ، وأما التى لك — فاعمل ما شئت فإنى أجزيك به ، وأما التى بينى وبينك — فعليك الدعاء وعلى الإجابة ، وأما التى بينك وبين الناس ، فكن لهم كما تحب أن يكونوا لك .

وكان يحيى بن معاذ يقول : « سبحان من أذل العبد بالذنب ، وأذل الذنب بالعفو ، إلهى : إن عفوت ـ فخير راحم ، وإن عذبت فغير ظالم ، إلهى : إن كنت لا ترضى إلا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون ، وإن كان لا يرجوك إلا أهل وفائك ـ فبمن يستغيث المستغيثون » . فلا تقنطكم المعاصى السابقة عن مكاسب الدعاء ، واستغفروه تعالى ، وصلوا على نبيه فى بدء دعائكم وختامه — يستجب الله لكم بفضله وإكرامه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته . وإما أن يدخرها له فى الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها : قالوا : إذاً نكثر ، قال : الله أكثر » : رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والحاكم ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ،

الحث على سلامة الصدر من الحقد

بمناسبة ليلة النصف من شعبان

الحمد لله: (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور). (يعلم السر وأخفى).

وأشهد أن لا إله إلا الله (نور السموات والأرض)، (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، طاهر النفس، السيد النبيل، ذو القلب الشكور، واللسان الذكور، المخاطب بقول ربه العلي الكبير: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد).

أما بعد فيا عباد الله:

((1) الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم).

أعلن هذا الحق - سيد الخلق، حبيب الله ومصطفاه ﷺ: لنكون - إن شاء الله تعالى - بالاستغفار، ورحمة الخلق: بقلوب كأفئدة الطير: عامرة بالعطف والحنان - في ليلة النصف من شعبان - من أهل الغفران، السعداء برحمة الرحيم الرحمن.

وأولئك السعداء - قد سلمت قلوبهم من الحقد وإضمار السوء للمسلمين، ومن التحفز لإيذائهم.

---

(1) رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها.

فهم يريدون الخير للمسلمين لا الشر ، ويسعون إلى سرورهم لا إلى تكديرهم ، ويحبون لهم مايحبون لأنفسهم،فهم من المؤمنين ، الذين وصفهم الله تعالى بأنهم يقولون : (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) .

ولهناءة المسلمين بأولئك المؤمنين — كانوا من أهل الجنة الموصوفين بقوله تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) .

وفى مسند الإمام أحمد — أن النبى ﷺ قال لأصحابه ثلاثة أيام : (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فيطلع رجل واحد ، فاستضافه عبد الله بن عمرو ، فنام عنده ثلاثاً : لينظر عمله . فلم ير له فى بيته كبير عمل ، فأخبره بالحال ، فقال له : هو ما ترى إلا أنى أبيت وليس فى قلبى شىء : أى من الحقد على أحد من المسلمين ، فقال عبد الله : هذا بلغ مابلغ) .

ويا قوم :

ليس أشرح للصدر ، ولا أروح للنفس ، ولا أطرد لهموم المرء ، ولا أقر لعينه — من أن يعيش سليم القلب ، مبرأ من آثار الضغينة ، وكراهية المسلمين فإذا رأى نعمة : أسبغها الله تعالى على أحد — رضيها له ، وسر لسروره ، وأحس فضل الله فيها ، وحاجة عباده إليها ، وذكر قول رسول الله : «(١) اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك . فلك الحمد ولك الشكر » .

وإذا رأى أذى يلحق مسلماً — رق له ، وسأل الله أن يفرج كربه ، ويغفر ذنبه ، وذكر مناشدة رسول الله لربه .

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند عن أنس (ض) .

إن تغفر اللهم تغفر جماً ... وأى عبـــد لك ما ألمـا

وهكذا يحيا المسلم مبتسماً للحياة . راضياً عن الله . فيرضى عنه تعالى ـ إذا استراحت نفسه من نار الحقد الأعمى .

وإن فساد القلب بالضغائن داء عياء : به ـ يصبح القلب كالإناء المثقب الذى لا يحفظ الماء ، ولا سائلا مفيداً ، فيكون قلباً مظلماً . أسود من نور الإيمان محروماً . فلا يرحم ، ولا يدعو إلى خير ، ويفسد الأعمال الصالحة ، ويعكر صفوها .

أما القلب المشرق بالصفاء والنقاء من البغضاء ـ فإن الله تعالى يبارك فيه ، وهو ـ إليه ـ بكل خير ـ أسرع ، وقد سئل رسول الله ﷺ : أى الناس أفضل ؟ قال «(١) كل مخموم القلب صدوق اللسان . قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : هو التقى النقى . الذى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد » .

وكثيراً ما تطيش الخصومة والحقد بألباب ذويها . فتدفعهم إلى غيبة الخصم . والنم والكذب وإيغار الصـــدور ، وتغيير النفوس عليه ـ وهو برىء .

وذلك نقص فى الدين أو تبديد له : قال رسول الله ﷺ : «(٢) ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة : قالوا بلى . قال : إصلاح ذات البين . فإن فساد ذات البين هى الحالقة » : «(٣) لا أقول : تحلق الشعر . ولكن تحلق الدين » .

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ـ
(٢) رواه أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء (ض) .
(٣) روى هذه الزيادة الترمذى .

وربما عجز الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم ، ولكنه — وهو الحريص على إغواء الإنسان ، وإبعاده عن الصراط المستقيم ، وإيراده المهالك — لن يعجز عن المباعدة بينه وبين ربه ، حتى يجهل حقوقه تعالى أشد مما يجهلها الوثني الخرف ، وإنه ليحتال — لذلك — بإيقاد نيران العداوة في القلوب ، واشتعالها — متعته ، ورؤيتها — وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم — قرة عينه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «(١) إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم » .

ولا شك أن ذلك الشر — إذا تمكن من الأفئدة . فتنافر ودها . فكانت كالزجاجة لا يجبر كسرها — صار الناس في حال من القسوة والعناء ، حتى يقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدوا في الأرض (أولئك هم الخاسرون) .

والإسلام دين الإصلاح التام — نبه للبعد عن أسباب الجفاء والقطيعة ، واتقاء بوادر ذلك ، ولاحقها بالعلاج إذا لم يسعد المرء بتوقيها ، قبل أن تستفحل ، وتصير إلى عداوة ؛ قال ﷺ : «(٢) لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً » وقال صلوات الله وسلامه عليه : «(٣) لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . وهذه الفترة الموقوتة — تهدأ فيها الحدة . ثم يلزم أن يواصل المسلم أخاه فإن مرت الثلاث — فخيرهما الذي يبدأ بالسلام ، وإن كان الراد أيضاً مأجوراً ، وإن لم يرد من سلم عليه — كان آثماً ، وخرج المسلم من إثم الهجر .

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى عن جابر (ض) .

(٢) رواه مالك والبخارى عن أنس (ض) .

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى أيوب (ض) .

ويطلب هجر العصاة المصرين على المعصية للسلامة من ضرهم ، ومن تضييع الأوقات سدى فى جدالهم وتكديرهم ، ومن إغضاب الله بصحبتهم: كما هجر صلى الله عليه وسلم الثلاثة المسلمين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، حتى تاب الله عليهم .

ألا وإن الإسلام - يتعهد النفوس بين الحين والحين : ليغسلها من أدران الحقد الذميم : فى كل يوم ، وفى كل أسبوع ، وفى كل عام . فيجعل النفوس تمر من آداب الإسلام وتعاليمه - فى مصفاة تلو مصفاة : تحجز الأكدار وتنقى العيوب ، ولا تبقى بالأفئدة المؤمنة - أثارة من ضغينة .

أما تعهد الإسلام فى كل يوم - فقد أعلن أن الصلوات المكتوبات لاينال ثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس ، وفراغه من الخصومات قال صلى الله عليه وسلم : «(١) ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رءوسهم شبراً : رجـــل أم قوماً وهم له كارهون وإخوان متصارمان . وامرأة نامت . وزوجها عليها ساخط » .

ويتجلى تعهد الإسلام للنفوس فى كل أسبوع : من العرض لما يعمله المسلم فى كل أسبوع عليه ولا يفلح وينجو غير سليم الصدر : قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس . فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئاً إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء(٣). فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا » .

وأما تعهد الإسلام للنفوس فى كل عام - فقد بين - بعد تراخى الليالى

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عباس (ض) .
(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة (ض) .
(٣) الشحناء : هى حقد المسلم على أخيه .

وامتداد الأيام . حيث لا ينبغى أن يبقى المسلم حبيساً فى سجن القذارة - مغلولا فى قيود البغضاء - أن لله فى دنيا الناس نفحات : لا يظفر بخيرها إلا الأصفياء . أنقياء القلوب من البغض والحقد : قال ﷺ : «(١) إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان . فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » فمن مات بعد هذه المصائب المتتابعة . والحقد حشو قلبه . والبغضاء ملء نفسه - فهو جدير بحر النار ، فمن لم يتطهر بتعاليم الإسلام النقية - طهرته النار الحامية (وما ربك بظلام للعبيد) .

أيها المسلمون :

كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومن مؤمل غداً لا يدركه . إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره - لأبغضتم الأمل وغروره . فاتقوا الله . وطهروا قلوبكم من الحقد والبغضاء . وانتهزوا فرصة ليلة النصف من شعبان فقوموها للفوز برحمة الله وغفرانه وإحسانه : بإكثاركم من الاستغفار وتصدقكم وعطفكم على المحتاجين . وبذكر الله بما تيسر من صلاة وقراءة ودعاء . وأفضله ما ورد فى القرآن وعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلم . وصوموا نهارها وهو اليوم الخامس عشر من شعبان : آخر الأيام البيض . وأضيفوا إليه اليومين السابقين عليه . فصيام هذه الأيام الثلاثة البيض : كصيام الشهر كله . فالحسنة بعشر أمثالها .

أخىّ لقد نصحتك فاستمع لى ... وبالله استعنت على قبولك
ألست ترى المنايا كل حين ... تصيبك فى أخيك وفى خليلك

(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبى موسى رضى الله عنه .

قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : «(١) إذا كان ليلة نصف شعبان ، فقوموا ليلها . وصوموا نهارها . فإن الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا . فيقول ألا مستغفر فأغفر له . ألا مسترزق فأرزقه . ألا مبتلى فأعافيه . ألا كذا ألا كذا . حتى يطلع الفجر ، رواه ابن ماجه عن علىّ رضى الله عنه .

(١) إسناد الحديث ضعيف ، ولكنه يعمل به . فإنه فى عمل فاضل .

استقبال شهر رمضان المعظم

الحمد لله، العليم الحكيم، القائل فى الحديث القدسى: «(١) كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به».

ويا له من جزاء، يسلمه لمستحقيه ذو الجلال والإكرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله: قال تعالى لموسى عليه السلام: «(٢) إنى أعطيت أمة محمد نورين لكيلا يضرهم ظلمتان، فقال موسى: ما النوران يا رب؟ فقال تعالى: نور رمضـــان، ونور القرآن، فقال موسى: وما الظلمتان يا رب؟ فقال: ظلمة القبر. وظلمة يوم القيامة».

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، بين أن الصوم — شرع: تهذيباً للنفوس، وتذكيراً بالنعم، وصحة للأبدان، وقال: «(٣) والصيام جنة - وقاية من المعاصى والنـــار - فإذا كان يوم صوم أحدكم - فلا يرفث - ولا يفحش فى الكلام - ولا يصخب، ولا يصح، ولا يرفع صوته بالهذيان والخصام، فإن سابه أحد أو قاتله - فليقل: إنى صائم إنى صائم». فليقل ذلك بقلبه: بأن يتفكر فى كونه صائماً: لترتدع نفسه عن سيء القول، ويقوى على كظم الغيظ، وبلسانه: مسمعاً شاتمه ومقاتله بلية وعظه ودفعه بالتى هى أحسن.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه.

(٢) ذكره الشيخ الكردى فى مرشد العوام لأحكام الصيام.

(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحه عقب الحديث القدسى المذكور أولا - عن أبى هريرة (ض) عنه ﷺ.

وفى ذلك القول ـ سلامة ثواب الصوم من الحبط والبطلان .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، القائل : «(١) والذى نفس محمد بيده لخلوف(٢) فم الصائم ـ أى تغير رائحته من الصوم أطيب عند الله من ريح المسك : للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

فمن سلفنا الصالح ـ عبد الله بن المبارك رضى الله عنه : كان عنده فرس فجاءه ضيف ، فذبحه له . ولم يأكل أيضاً أكل لحمه عند بعض الأئمة المشاهير ، فخاصمته زوجته من أجل ذلك ، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم — قال : « (٣) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ، فطلقها رضى الله عنه ، ثم جاءه رجل ، فقال له : إن لى بنتاً جميلة ، فزوجه إياها ، وأرسل معها عشرة من الخيل . فرأى عبدالله فى منامه قائلا يقول له : إنك طلقت لأجلنا عجوزاً ، فقد زوجناك بكراً ، وذبحت لنا فرساً ، فقد أعطيناك عشراً .

وهكذا من أكرم الضيف ، واقتدى برسول الله ـ أكرمه الله .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحه عقب الحديث القدسى المذكور أولا ـ عن أبى هريرة (ض) عنه ﷺ :

(٢) أى تغير رائحته من الصوم .

(٣) روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

ويا قوم :

يأتيكم فى الأسبوع الآتى ضيف ، معه الهدايا النفيسة ، فاسمعوا وعوا لتحسنوا استقباله ، فتكسبوا حاله ومآله . قال رسولنا مبيناً هذا الضيف وقدره : « (١)سيد الشهور رمضان » ، وقال ﷺ فى بيـــان هداياه : «(٢) أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبى قبلى : أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان - ينظر الله عز وجل إليهم - أى ينظر بالرضا إلى المتهيئين المستعدين لاستقباله : بإكرامه ، وتقدير هداياه - ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً ، وأما الثانيـة — فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة — فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة ، وأما الرابعة — فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدى ، وتزينى لعبادى: أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى ، وأما الخامسة — فإنه إذا كان آخر ليلة — غفر الله لهم جميعاً ، فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر ؟ فقال : لا . ألم تر إلى العمال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم — وفوا أجورهم » .

ومن نفائس هدايا شهر رمضان - مضاعفة الحسنات فيه ، قال ﷺ : « (٣) من تقرب فيـه بخصلة من خصال الخير — كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة — كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » .

---

(١) تمامة : وأعظمها حرمة ذو الحجة . رواه البزار والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى (ض) .

(٢) رواه البيهقى عن جابر بن عبد الله (ض) .

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه عن سلمان الفارسى (ض) .

وسئل صلى الله عليه وسلم : أى الصدقة أفضل ؟ قال : «(١) صدقة فى رمضان » وقال ﷺ : «(٢) عمرة فى رمضان تعدل حجة » ، وفى رواية «(٣) تعدل حجة معى » .

ومن نفائس هدايا هذا الشهر المبارك محو السيئات ، واستجابة الدعوات قال ﷺ : «(٤) ذاكر القرآن فى رمضان مغفور له ، وسائل الله فيه لا يخيب » .

ومن فضل هذا الشهر وعلو قدره ـ إنزال القرآن فيه ، واختصاصه بفرض صيامه ، أحد أركان الإسلام . قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

لذلك ـ بقدوم هذا الضيف الكريم ، ودخول ذلك الشهر العظيم الذى تحلى بليلة القدر المباركة — تفرح الملائكة ، وتزين الجنة . قال ﷺ : « إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول : لدخول شهر رمضان ، فإذا كان أول ليلة من رمضان — هبت ريح من تحت العرش : يقال لها : المثيرة تصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع ، فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتبرز الحور العين حتى يقفن على شرف الجنة ،

---

(١) رواه الترمذى عن أنس (ض) .
(٢) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، عن ابن عباس (ض) .
(٣) رواها سمويه ، عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم .
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى والأصبهانى .

فينادين : هل من خاطب ؟ ثم يقلن : يا رضوان : ما هذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية ـ أى يقول : لبيكن : إجابة لكن بعد إجابة ـ فيقول : يا خيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان »(١) :

وكان السلف الصالح يفرحون بالضيف ، ويعدون ليلة قدومه ليلة عيد ويزدادون فرحاً به ، وإكراماً له ـ بقدر منزلته وإعزازه ، ونصب أعينهم قوله صلى الله عليه وسلم : « (٢)إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

ولقد كان رمضان ـ عند سلفنا الصالح ـ مكرماً ، وفرحهم به ـ عظيماً اقتداء برسولنا صلى الله عليه وسلم ، الذى عرف قدره ، وأعلنه بقوله وعمله « (٣)فكان ﷺ ـ إذا دخل رجب ـ يقول : اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان » ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « (٤) كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ يلقاه جبريل ـ أجود بالخير من الريح المرسلة » وكان سلفنا الصالح ـ يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم .

وبعد : فكيف يكون استقبالكم لرمضان وإكرامكم له ، وفرحكم به أبإعداد أطايب الطعام والشراب ، وإبراز السبح ، ونحو ذلك من المظاهر ؟

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب ، وابن خزيمة .
(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما .
(٣) رواه الطبرانى ، عن أنس رضى الله عنه .
(٤) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .

لا . لا ، أيها العقلاء :

استقبلوه بطاعة الله مخلصين ، وأكرموه بصلاة التراويح خاشعين ، وبالعبادة صادقين ، واعلموا - كما علم صالحو سلفكم : اهتداء بهدى نبيكم - أن الصوم ما قصد به - مجرد أن يجوع الإنسان ويظمأ ، وإنما قصد أن يكون الجوع والظمأ - وسيلة إلى تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق ، ورفع مستوى الإنسان - فى الفضل والكمال - بصيام الجوارح فى جميع أوقات رمضان عما يغضب الكبير المتعال : كصيام البطن والفرج فيه من الفجر إلى غروب الشمس عن تناول الحلال والأكل والشراب . فصوم العين عن النظر إلى المحرمات ، والله تعالى يقول : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون) .

وفى هذه الآية - مع قصرها - ثلاث معان : تأديب وتنبيه ، وتهديد ، فأما التأديب - فقوله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ، ولا بد للعبد من امتثال أمر السيد ، والتأدب بآدابه ، وإلا كان سيء الأدب مستحقاً للحرمان من رضاه ، وأما التنبيه - فقوله تعالى : (ذلك أزكى لهم) أى أطهر لقلوبهم ، وأنمى لخيرهم ، وقد قال عيسى عليه السلام : « إياكم والنظرة فإنها تزرع فى القلب الشهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة » ، وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(١) ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رفعة ثم يغض بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » . وأما التهديد - فقوله تعالى : (إن الله خبير بما يصنعون) ، وذلك الخبير على الجزاء - قدير ، فليعمل الرشيد على ما يجزى به خيراً ، لا شراً يغض

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير ، عن أبى أمامة (ض) .

البصر عما حرم الله ، وسئل الجنيد إمام الصوفية رضى الله عنه : بم يستعان على غض البصر ؟ فقال : « بعلمك أن نظر الله إليك ـ أسبق من نظرك إلى ما تنظره » .

وتصوم الأذن عن سماع القبيح والمحرم : كالغيبة ، وذكر عيوب الناس . وقد قال أبو قلابة : من كبار التابعين : « إن فى الغيبة خراب القلب من الهدى » . ومن النصائح الكريمة .

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عنــد استماع القبيــح شريك لقـــائله فانتبـــه

ويصوم اللسان عن الفحش، والسباب والكذب ، ونحو ذلك من سيئات اللسان ، وقد قال سفيان ، أحد علماء سلفنا الصالح ناصحاً: « لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك » .

وتصوم اليد عن تناول محرم : كالتطفيف فى الكيل ، والوزن والسرقة والرشوة ، ولعب الطاولة والدومنو ونحوهما من أنواع لعب القمار، وكلمس الأجنبية ، وكتابة ما فيه الأذى والضرر .

وتصوم الرجل عن المشى إلى ما يحرم كالمشى فى وشاية بمسلم إلى الحاكم ، وكمشى المرأة إلى مأتم فيه اللطم ونحوه .

ومن هنا — يا قوم — كان الصوم وقاية من المعاصى ، ومثمر التقوى الله ، الشاملة لجميع أنواع طاعته جل علاه . قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

ولذلك كان الصوم سبيلا إلى غيره من العبادات . قال صلى الله عليه وسلم: «(١) لكل شىء باب ، وباب العبادة الصوم » .

---

(١) رواه ابن المبارك فى الزهد .

ومن كان فى رمضان متبعاً لهواه عاكفاً على معصية مولاه — فليعلم أنه لم يصم رمضان ، وإنما هو جائع عطشان . وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « (١)رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » . وقال صلوات الله وسلامه عليه : « (٢) من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » . وصدق من قال :

إذا لم يكن فى السمع منى تصامم وفى مقلتى غض . وفى منطقى صمت
فحظى إذاً من صومى الجوع والظما وإن قلت : إنى صمت يوماً فما صمت

وما أفظع خسارة من لم يفز بالطاعة واجتناب المعصية فى رمضان : حيث إعانة الله على الفوز بذلك لمن أقبل إلى الطاعة . وبعد عن المعصية بتوفيقه لما أقبل إليه . وبحبس مردة الشياطين ، عتاة الجن ، وتقييدهم فى رمضان ، فلا يقدرون على الوسوسة بترك الطاعة وارتكاب المعصية .

وما أعظم جزاء الفائزين ، السعداء الموفقين ، الذين يزدادون بمرور أيام شهر رمضان عليهم هدى وتقوى .

وفى ذلك يقول رسولنا ﷺ : «(٣)إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان ، فلم يغلق منها باب واحد الشهر كله ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب الشهر كله ، وغلت عتاة الجن ، ونادى مناد من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح : يا باغى الخير يمم وأبشر ، ويا باغى الشر

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائى وغيرهما عن أبى هريرة (ض) .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة (ض) .
(٣) رواه البيهقى عن عبدالله بن مسعود (ض) .

أقصر ، وأبصر . هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من تائب يتوب عليه ؟ هل من داع يستجاب له ؟ هل من سائل يعطى سؤاله ؟ ولله عز وجل . عند كل فطر من شهر رمضان . كل ليلة - عتقاء من النار : ستون ألفاً ، فإذا كان يوم الفطر - أعتق الله مثل ما أعتق فى جميع الشهر : ثلاثين مرة : ستين ألفاً . ستين ألفاً ... » .

أيها المسلم : وقد وعيت ما بين لك :

من لم يربح فى شهر رمضان - ففى أى وقت يربح ، ومن لم يقرب فيه من مولاه - فمتى يقرب ؟ ولذلك دعا جبريل ، ورسولنا يصعد المنبر ، فقال: يا محمد . من أدرك رمضان، فلم يغفر له ، فأبعده الله ، فقال ﷺ : «(١)آمين» : استجب يا الله .

فلتربح فى هذا الشهر الكريم ، وتقرب منه تعالى ويرضى عنك ،فيفرج همك ، ويجيب دعوتك ، ويجزل ثوابك ، وتكون فى نهار رمضان الصائم الصابر ، وفى ليله : الطاعم الشاكر — اتق الله فيه ، وصم بجوارحك عن المحارم ، وبقلبك عن الحقد ونحوه من المآثم ، واجعل نطقك ذكراً ،

---

(١) روى ابن حبان فى صحيحه عن الحسن بن مالك بن الحويرث عن أبيه عن جده قال : « صعد رسول الله ﷺ المنبر فلما رقى عتبة - قال : آمين . ثم رقى أخرى ، فقال : آمين . ثم رقى عتبة ثالثة ، فقال : آمين . ثم قال : أتانى جبريل فقال : يا محمد من أدرك رمضان ، فلم يغفر له ، فأبعده الله ، فقلت : آمين . قال : ومن أدرك والديه أو أحدهما ، فدخل النار ، فأبعده الله ، فقلت : آمين . قال: ومن ذكرت عنده ، فلم يصل عليك فأبعده الله ، فقلت : آمين » .

وسكوتك فكراً ، واقطع يوم صومك مجاهداً نفسك ، حتى لا تضعف بالعصيان فى رمضان بوسوسة صغار الشياطين ، واقض ليلك عابداً ربك ونق سريرتك من الهوى ، وطهر(١) روحك وقوها بكثرة الإحسان ، وتلاوة القرآن ، وتمسك بالإخلاص فإنه سفينة الخلاص . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « (٢) من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » . وقال : « (٣)من قام رمضان إيماناً واحتساباً ـ غفر له ما تقدم من ذنبه » .

أيها المؤمن الكيس الفطن الحذر :

إذا رمضـــان أتى مقبلا فأقبل . فبالخير يستقبل
لعلك تخطئه قابـــلا وتأتى بعذر ، فلا يقبـل

كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومؤمل غداً لا يدركه ؛ وكم من أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله ؛ فصار إلى ظلمة القبر قبله .

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا وزادك فاتخذه فى المعاد
فمن زرع الحبوب وماسقاها تأوه نادماً يوم الحصاد

وادع عند فطرك دعوة عبد الله بن عمرو بن العاص عند فطره : « اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى ذنوبى » ، فقد

---

(١) لذلك قال الإمام مالك رضى الله عنه فى بيان منهاج رمضان : « إنه صيام وقيام وصدقة وقرآن » .

(٢ ، ٣) رواهما البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة (ض) .

روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «(١) إن للصائم عند فطرة - لدعوة ما ترد» .

وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى آخر يوم من شعبان ، قال : « يأيها الناس : قد أظلكم شهر عظيم مبارك : شهر فيه ليلة القدر : خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير - كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة — كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة . وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه . من فطر فيه صائماً - كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء . قالوا : يارسول الله : ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة . أو شربة ماء . أو مذقة لبن - أى شربة لبن ، ممذوق أى مخلوط بالماء - وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار . من خفف عن مملوكه فيه - وكذا الخادم - غفر الله له ، وأعتقه من النار - فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غنى لكم عنهما . أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم - فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما - فتسألون ربكم الجنة ، وتعوذون به من النار . ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة ، رواه ابن خزيمة : فى صحيحه .

---

(١) رواه البيهقى ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . وفيه قال ابن مليكة : سمعت عبد الله يقول عند فطره : اللهم إنى أسألك برحمتك ... الخ .

إرشاد الصائم فى رمضان

الحمد لله : يضاعف أجر الصائم أضعافاً كثيرة لا يعلمها إلا هو ، وقد قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : أعلن عظيم كرمه ، وكريم حلمه : إذ أعان فى رمضان على طاعته ، فسلسل الشياطين ، وفتح أبواب جنته للصائمين الصابرين ، القائمين الخاشعين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، الذى لذ له الصيام وطاب ، حتى كان يواصل فى أيامه .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذى صانوا صيامهم عن كل حرام وزور ، فاستنارت منهم القلوب . وانشرحت الصدور .

أما بعد : فياعباد الله :

جعفر الصادق ، أحد كبار الفقهاء من أهل البيت : قال مرشداً إلى الفوز بثواب المعروف كاملا : « لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وستره » .

أما تعجيل المعروف . وهو فعل الخير ، ونفع المسلمين — فهو تعجيل بإدخال السرور عليهم ، وربما كان إغاثة ملهوف :

ومن أغاث البائس الملهوفا أغاثه الله إذا أخيفـــا

وتصغير المعروف — هو أن يعده فاعله صغيراً : لمقام من يتقرب به

إليه : جل شأنه ، فيزيد لذلك قدره ما استطاع ، فيزيد الله فى حسناته (والله واسع عليم) .

وستر المعروف — عمل صالح : مراعاة لشعور من صنع المعروف معه ، وحرصا على السلامة من الرياء المحبط لثواب العمل ، ولذلك قال رسولنا ﷺ «(١) كل معروف صدقة» ، (٢)وعد ﷺ من تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ، وقال تعالى : (إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) .

وما أطيب ثمرة المعروف . وما أجلها : فالزكاة حصن المال : فإخراج ربع عشر ماله الذى بلغ مائتى درهم فضة أو عشرين مثقالا : من الذهب . أو قيمة ذلك من النقد المتداول — حفظ لماله من الضياع ، وكم من مريض شفى بإطعام جائع ، أو كسوة عار . أو إنفاق على أرملة . أو يتيم . أو مواساة محتاج ، وما إلى ذلك من الصدقات . قال ﷺ : «(٣)وحصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء» وقال صلوات الله وسلامه عليه : «(٤)صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة» .

ومن المعروف — صلة الرحم ، وهى سبب فى إقبال الله على الواصل ،

---

(١) رواه البخارى عن جابر (ض) ومسلم عن حذيفة (ض) .
(٢) روى حديث ذلك البخارى فى صحيحه .
(٣) رواه أبو داود : فى مراسيله : عن الحسن البصرى (ض) مرسلا
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة (ض) .

وقطعيتها سبب فى الحرمان من ذلك ، وفى صلتهم بالإحسان . وإن كانوا يسيئون ، وبالحلم عليهم ولو كانوا يجهلون : قال رسول الله ﷺ : « (١) إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى وأحلم عنهم ويجهلون على فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ — أى تطعمهم الرماد الحار — ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك » ، وقال رجل لابنه يوصيه : « يا بنى لا تقطع الرحم القريب وإن أساء . فإن المرء لا يأكل لحمه إذا جاع » .

وكل طاعة لله معروف . وفعل خير ، وشهر رمضان خير موسم : لكثرة رصيدنا من المعروف واسمعوا قوله ﷺ : « (٢) أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء : ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » .

لنسمع لهذا الحق ، ولننشط فى شهرنا هذا المبارك — لهذا الصدق ، ولنقل كما قال ابن مسعود : رضى الله عنه : (مرحباً بالشتاء تنزل فيه البركة . ويطول فيه الليل للقيام ، ويقصر فيه النهار للصيام) ، ولا يقل خائف من البرد : كيف أقوم فى الليل ، وأغادر المنزل ، وأسعى إلى المسجد فى هذا البرد الشديد ، فليذكر زمهرير جهنم وبردها ، وأين بردنا فى الدنيا من بردها ، وليذكر حذيفة بن اليمان ، صاحب رسول الله : إذ أطاع رضى الله عنه الرسول ﷺ : بالذهاب لكشف حال الأعداء ، وكان

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة (ض) .
(٢) رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت : (ض) .

البرد قارساً فى ليلة مظلمة ، ومع ذلك ما شعر حذيفة به ، وقال : كنت كأنى أمشى فى حمام : فما كان فى حرارة حمام ، ولكنه كان مملوءاً بحرارة الإيمان .

ومن القيام فى ليالى رمضان بطاعته تعالى — صلاة التراويح ، وإحياء تلك الليالى بتلاوة القرآن ومدارسته ، ونحو ذلك من طاعة الله تعالى :

وما أعظم قيام الليل فى شهر رمضان الذى يضاعف فيه الثواب وتمحى الذنوب ، وقال فيه ﷺ «(١) لو يعلم العباد ما فى هذا الشهر من الخيرات لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها» .

وقد دخل أحمد بن أبى الحوارى على شيخه أبى سليمان الدارانى من سلفنا الصالح فوجده يبكى ، فقال له : ما الذى أبكاك ؟ فقال : يا أحمد : إذا جن الليل على المحبين . وصفوا أقدامهم . وأجروا دموعهم على خدودهم — أشرق الجليل عز وجل عليهم . ونادى جبريل وقال له بعينى(٢) من تلذذ بكلامى . واستراح إلى مناجاتى . وأنا المطلع عليهم :

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) فى كتاب طهارة القلوب للديرينى : أوحى الله إلى بعض الأنبياء . فقال : «إن لى عباداً من عبادى يحبونى وأحبهم . ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم . ويذكرونى وأذكرهم . وينظرون إلى وأنظر إليهم : قال : يارب . وماعلامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب . وإذا جنهم الليل واختلط الظلام . وفرشت الفرش . ونصبت الأسرة . وخلا كل حبيب بحبيبه — نصبوا الأقدام . وافترشوا إلى وجوههم . وناجونى=

أجمع حينئذ ، فنادهم : ما هذا الجزع الذى أراه بكم ؟ هل أخبركم مخبر أن حبيباً يعذب حبيبه ؟ فبعزتى حلفت لأجمان هديتى لهم إذا وردوا على يوم القيامة أن أكشف لهم عن وجهى الكريم . ثم أنظر إليهم وينظروا إلى أفتلومنى يا أحمد إذا بكيت لتخلفى عن هؤلاء القوم) ولكن ليس ثواب القائمين لمن يغتاب الناس أو يستمع لمغتاب لهم ، فهو شريكه : دخل أحد الصالحين مسجداً ، فرأى جماعة يغتابون شخصاً فنهاهم ، وبعد أن خاضوا فى حديث ـ غيره عادوا إلى ما كانوا عليه ـ فأنصت ، ثم نام ، فرأى رجلا أحضر إليه طبقاً فيه لحم منتن ، فقال له : كل ما كنت تأكل : من لحم أخيك ، فقال : إنى لم أقل شيئاً ، فقيل له : ولكنك سمعت ورضيت . فأنت شريك لهم ، ثم أخذ قطعة من اللحم ودسها فى فمه ، فاستيقظ ذلك الرجل ، وقال : والله ما أكلت طعاماً . ولا شربت شراباً أربعين يوماً إلا وجدت نتن هذه الجيفة فى فمى .

ويا قوم :

كان الرسول ﷺ يصلى يوماً فتقدم ثم تأخر ، إذ امتلأت له الجنة ، فأراد أن يقطف من ثمرها لصحبه ، فذكر أنه مدخر لهم فى الآخرة فامتنع .

= بكلامى ، وتملقوا إلى بإنعامى . فبين صارخ وباك . ومتأوه وشاك ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد : بعينى ما يتحملون من أجلى . وبسمعى ما يشتكون من حبى : أول ما أعطيهم ثلاث : أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى ، والثانية : لو كانت السموات والأرض ومافيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم ، والثالثة : أقبل بوجهى عليهم . أفترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه) .

ألا وإن من ذاق شيئاً من الجنة لم يسغ كل ما فى الحياة من نعيم ، وكل نعيم فى الدنيا لا يحمل من نظيره فى الجنة إلا الاسم .

فلنتق الله ، ولنجدد اليوم عهدنا لله : لنواظب على العمل للفوز بالجنة والنجاة من النار .

وفى ليلة الإسراء والمعراج — رأى صلى الله عليه وسلم النار ، ولسان حالها يقول : هذه سلاسلى . وذرعها سبعون ذراعاً ، وهـــذه أغلالى إلى الأعناق . وهذا مائى وسعيرى يشوى الوجوه . بئس الشراب ، وهذا زفيرى وشهيقى . وبكاء أهلى وعويلهم — ورأى الجنة ، ولسان حالها يقول : هذه أشجـــارى قطوفها دانية . وثمارها متدلية : تجرى من تحتها الأنهار وهذه قصورى يرى ظاهرها من باطنها . وهذه حورى كأنهن اللؤلؤ المكنون . وهذه ولدانى إذا رأيتهن حسبتهن لؤلؤا منثوراً : فما أسعد الصائمين يوم يقال لهم وهم فى نعيمها : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) .

أيها الصائمون . القائمون :

أتقوا الله . وأكثروا من المعروف فى شهر رمضان ، واحذروا الغيبة والغضب فيه ، فلا يليق ذلك بمن صام إذ الصوم يصلح النفوس . ويجملها بمكارم الأخلاق ، ولذلك كان رمضان مكفر السابق العصيان .

قال ﷺ : « الصلوات الخمس . والجمعة إلى الجمعة . ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه

ذكرى غزوة بدر

الحمد لله . الذى جعل فى حوادث الأيام عبراً وقال : (فاعتبروا يا أولى الأبصار) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : صـــدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . وقال : (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : دعا إلى سبيل ربه كما أدبه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادل المعاندين بالتى هى أحسن . وقاتل المقاتلين الظالمين : بإذنه تعالى . فنصره نصراً مبيناً وأنزل عليه قوله : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، غيوث الندى ، وليوث الردى . الهداة المصلحين ، والقادة المنصورين .

أما بعد : فيا عباد الله :

هو يوم ارتفع فيه لواء الإسلام ، وغلب الحق الباطل ، وانهزم الشرك ، وانتصر التوحيد ـ ذلكم اليوم : هو يوم السابع عشر من شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة . وقد فرض الصيام ، الذى يقوى فى النفوس العزائم ، ويضاعف الهمم . وتلك هى القوى المعنوية ، التى تفوق القوى المادية فى إحراز النصر . ولذلك قال تعالى : (يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) . ومن تحريضه ﷺ : المؤمنين فى ذلك اليوم أن قال لهم : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً

محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، ، وقد دارت المعركة في ذلك اليوم بين الإيمان وبين الكفر ، في موضع : يسمى بدراً ـ بين مكة والمدينة ، حيث التقى الجمعان : جمع المسلمين وجمع المشركين . ولم تكن قوة الجمعين المادية متكافئة : لجمع المشركين ـ كان نحو ألف رجل : معهم أسلحتهم كاملة ، وجمع المسلمين ثلثمائة رجل يزيد قليلا : قلت أسلحتهم ومئونتهم . ولكنهم أقبلوا على العدو بالإيمان وقد نماه الصيام ، وزاده إشراقاً القرآن . والإيمان يجعل العزائم قوية ، والهمم فتية ، والحق ختاراً ، والقرآن الذى يحيى القلوب . ويقوى الأرواح ويجعل الإسلام مرفوع اللواء : بأيدى حماته الرحماء بينهم الأشداء على الأعداء : من أمثال أبطال بدر : كسعد بن معاذ . الذى قال رضى الله عنه : يخاطب النبى ﷺ : قبل الوصول إلى المعركة : « قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ـ ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً : إنا لصبر عند الحرب . صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله » فقال ﷺ : زائداً القوة المعنوية لصحابته : ليزدادوا بسالة وإقداماً : « سيروا وأبشروا والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم » .

يا قوم :

سار المسلمون إلى بدر ، والعزة بالله والثقة به ـ ملء نفوسهم . والرجاء فى الله نور سبيلهم . وعناية الله تعالى تحفهم . والإخلاص لله يحدوهم . ولسان حال كل منهم يقول :

لى من الله رعاية ... أنا منهـا فى عناية
قد جعلت الصدق دأبى ... والتوكل لى وقاية
وإذا رام عـدوى ... بى شراً أو نـكاية
حلته سراً على الله ... وفى الله الكفـاية

وبينما المعركة حامية الوطيس كان النبى ﷺ فى عريش بجوارها يلح فى الدعاء بالنصر، ويقول: «اللهم أنجز لى ما وعدتنى. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض». وما زال ﷺ يهتف بربه داعياً حتى سقط رداؤه عن منكبيه فتناوله أبو بكر، وألقاه عليهما وقال له: «يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك. فإنه سينجز لك ما وعدك». فنعس الرسول قليلا، فرأى فى نعاسه البشرى بنصر الله. فانتبه مستبشراً: قائلا: «يا أبا بكر أتاك نصر الله». وازداد الرسول ﷺ اطمئناناً بقول الله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر). وتقدم صلى الله عليه وسلم بحفنة — ملء الكفين — من حصى ورمى بها القوم قائلا: شاهت — قبحت — الوجوه والله تعالى يقول: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

وتأملوا صنيع ربكم الذى بيده وحده النصر: أمد سبحانه المسلمين بالملائكة يقوونهم قال تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين — أى متتابعين —).

وجعل سبحانه إبليس مع المشركين. وكان صورة سراقة بن مالك الذى كان حينئذ على شركه لم يعلم إسلامه: يغريهم ويعدهم ويمنيهم، ويزين لهم أعمالهم. ثم فر، فأوقع الهزيمة فيهم: قال تعالى: (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم

فلما تراءت الفئتان) - أى واجه الجمع الجمع ، ورأى إبليس الملائكة - (نكص على عقبيه) - أى فر خوفاً على نفسه من الهلاك . (وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب) .

وهكذا تبارك وتعالى الذى كتب النصر ببدر لجيش الحق بقيادة سيد الخلق - هيأ أسبابه - .

وما هو إلا أن تزاحف الجيشان . ففر الشيطان ، وسقط سبعون مشركاً قتلى : فيهم كثير من صناديد قريش وأشرافهم ، والمستهزئين - الذين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه : رضى الله عنهم ، وكان الأسرى كذلك سبعين مشركاً ، وولى بقية المشركين الأدبار : خشعاً من الذل أبصارهم لا يكاد أحدهم يلتقى نظره بنظر صاحبه حتى يوارى وجهه خجلا من سوء ما حل بهم .

وعن تلك النتيجة الزاهرة ، وذلك النجاح الباهر ونصر المسلمين المبين أسفرت غزوة بدر . وسجل القرآن الكريم ذلك قال تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة — أى قليلون عدداً مع ضعف العدد — فاتقوا الله لعلكم تشكرون) .

أيها المسلمون :

انتصر أسلافكم المسلمون ببدر : لأنهم نصروا دين الله . فهم حملته العاملون به ، وهم حماته المدافعون عنه ، وهم هداته الدالون عليه . وما كان صومهم إلا صوماً كاملا . فأنجز الله لهم وعده : كما قال تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقال جل شأنه : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

فاتقوا الله ، واسعوا إلى نصره تعالى لكم بنصر دينه ، والوقوف عند حدوده ، وليكن لكم في هذه الذكرى — عظة وعبرة ، وتقربوا إلى الله بكل ما تستطيعون : من أنواع جهاد النفس ، وقصرها على الطاعات وحبسها عن المعاصي والمنكرات ، وبخاصة في هذه الأيام المباركة . فتلك الذخيرة المعنوية — يجب أن تسبق ملء المخازن بالذخيرة المادية ولذلك — لما رجع صلى الله عليه وسلم من إحـــدى الغزوات — قال لأصحابه : «(١) قدمتم خير مقدم . وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : مجاهدة العبد هواه .

فإذا دعتكم النفس إلى النظرة المحرمة — فاذكروا أن نظر الله أسبق من نظركم إلى ما تنظرون إليه ، وإذا هويتم محرماً — فلا تتبعوا الهوى ، واذكروا قدرة الله وعذابه ، ومن سابه أحد أو شاتمه — فليقل : إني صائم . إني صائم : كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال عيسى : ليحيى عليهما السلام : « إني معلمك علماً نافعاً: لا تغضب ، فقال : وكيف لي لا أغضب ؟ قال : ليحيى إذا ما قيل لك ما فيك — فقل : ذنب . ذكرته واستغفر الله منه ، وإن قيل لك ما ليس فيك — فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به ، وهي حسنة سيقت إليك » ، (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلع الله على أهل بدر — أي فعلم أنهم لا يرغبون إلا في الخير — فقال : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » أو : « فقد وجبت لكم الجنة » رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) رواه الخطيب في تاريخه عن جابر (ض) :

أيضاً : يخطب بها فى استقبال ليلة القدر

الحمد لله : يسعى الصائمون الصابرون إلى طاعته ، أملا فى عظيم رحمته والله تعالى يقول : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)

وأشهد أن لا إله إلا الله : من الخيرات من عطائه ممنوحة ، وأبواب جوده للراغبين مفتوحة ، والذى شرع ما أفاد ونفع ، وهو الحكيم العليم .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أفضل من صام وقام وأرضى الواحد العلام وقال : «(١) إن الصائمين يخرجون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم فإن ريح أفواههم أطيب من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، من كانت صدورهم بالإيمان متروحة ، ورأوا طاعة الله روضتهم الفسيحة (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) .

أما بعد : فيا عباد الله :

فى حديقة الحيوان . بإحدى البلاد الأجنبية – ضب ، وهو حيوان قريب الشبه : « بالبرص » . ولكنه يحل أكله .

ذلك الضب : عمره اليوم : نيف ومائة عام ، ويناهز طوله أربعة

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أنس (ض) .

أمتار ، وقد اعتاد أن يترك الطعام والشراب طول النهار : كما يصوم المسلم مدة أربعة أشهر : يبدؤها بشهر ديسمبر ويختمها بمارس .

وفى إلهام ذلك الضب الإمساك عن الطعام والشراب : كذلك . حتى كان صحيح الجسم — دليل على أن الصوم يلائم الفطرة : الخلقة — كسائر تعاليم الإسلام ، التى كلف الله تعالى بها الإنسان : لعقله دون الحيوان ، الذى لم يمنحه عقلا ، وقال سبحانه : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وقد قال ﷺ : «(١) اغزوا تغنموا . وصوموا تصحوا . وسافروا تستغنوا) — وكما يصح الصوم الجسم بتنقيته من الرواسب الضارة ونحو ذلك من آثاره الصحية بالجسم — يصح الروح : بتخلى القلب : للفكر والذكر .

فبالصيام : بترك ما تشتهيه النفس من الطعام والشراب والجماع ومايبعد عن الله تسكن وساوس الشيطان الضعيف ، إذ هو مسلسل فى رمضان وتنكسر حدة الشهوة والغضب . ويتنور القلب . فيفكر صاحبه فيما يزيد الإيمان ، ويذكر بالواحد الديان . القائل : (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا) . ويقرأ القرآن متدبراً . فتنشرح صدره معانيه ، ويهتدى إلى صراط مستقيم ، ويعتبر بما انكشف له فى ملك الله من أحوال واعظة ، وحوادث مذكرة ، ولا يكون كمن قال الله فيهم (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) .

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة (رض) .

فالصائم إذاً — كالسائح الذى تتكشف له بسياحته أحوال البلدان ، ولذلك لما سئل النبى ﷺ عن السائحين ؟ قال : «(١) هم الصائمون » ، وقالت عائشة رضى الله عنها : « سياحة هذه الأمة الصيام » .

فيا قوم :

انتبهوا لقول جابر صاحب رسول الله ﷺ قال : رضى الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك . ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

ألا وإن الصوم والإمساك عن الطعام والشراب — قد يكون من الحيوان الأعجم الذى لا يعقل : كما كان من الضب الذى ذكر ، فلا بد أن يثبت الإنسان العاقل المدرك فضلا : بصومه الكامل ، الذى أرشد إليه : صلى الله عليه وسلم — بقوله : «(٢) ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل . إنى صائم . إنى صائم » .

والمسلم المؤمن بأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً — لا يليق منه — أن يصوم إلا ذلك الصوم الكامل : شكراً لربه الكبير المتعال ، الذى تفضل بإنزال القرآن الكريم فى رمضان ، فرفع بذلك قدره ، وقال : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى

---

(١) رواه ابن جرير عن عبيد بن عمير رضى الله عنه : وهذا مرسل جيد : إذ سقط منه الصحابى .

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما عن أبى هريرة (ض) .

والفرقان) ، وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(١) سيد الشهور رمضان » : ذلك الشهر الذى ينظر الله من أوله لمتقيه بعين رحمته وفضله وإحسانه : ليغتنم العاقل ذلك الخير : بتلقى رمضان بطاعة الله وتقواه ، وجزاء ذلك غفران الذنوب ، ومن غفر ذنبه — نجا من النار .

ولذلك — كان أول رمضان رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتقاً من النار .

وإذا كان رمضان شهر نزول القرآن — كان حرياً بإحياء أوقاته : بتلاوة القرآن ومدارسته ، مع التأدب بآدابه ، والوقوف عند حدوده وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) إنكم لا ترجعون إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه : يعنى القرآن » .

وإذا كان الحرام مطلوب الترك على الدوام ، وقبيحاً فى جميع الأيام — كان فى رمضان شهر الصيام والقرآن — أشد قبحاً ، وكان تركه أوجب وأكثر طلباً ، فلا يليق صيام ولا قراءة قرآن مع أكل حرام . أو تبرج أو سوء خلق ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(٣) رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » .

وقال صلى الله عليه وسلم : «(٤) من لم يدع قول الزور والعمل به — فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ، وقال عليه الصلاة والسلام :

(١) رواه البزار والبيهقى .
(٢) رواه الحاكم عن أبى ذر (ض) .
(٣) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة (ض) .
(٤) رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة (ض) .

«(١) لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله » .

وليلة القدر من بين أوقات رمضان — حرية بمزيد الطاعة فيها إذ الطاعة فيها خير من الطاعة فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «(٢) من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ربكم ، واحرصوا على سلامة صومكم باجتناب ما حرم الله ليشفع الصوم لكم يوم لقاء الله واعمروا أوقات رمضان ، وأحيوا لياليه بتلاوة القرآن ، وتدارسه ، لتفوزوا بشفـــاعته (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته من الطعام والشهوة فشفعنى فيه . ويقول القرآن . منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان» رواه الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .

---

(١) روى الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج : النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه لا ينبغى لصاحب .... الخ » .

(٢) رواه البخارى وغيره .

التذكير بفتح مكة المكرمة

الحمد لله : فتح القلوب الغلف المغطاة — بفتح مكة بالإسلام ، دين الحياة ، وملأها - بعد البغض - حباً لرسول الله ، وقال له : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله(١) ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : أوحى إلى رسوله عند الهجرة من مكة إلى المدينة : لتحمل أعبائها ، وتقوية الرجاء فى أثرها — قوله سبحانه : (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : اضطر إلى الهجرة من وطنه مكة فى سبيل الله ، فصبر وهاجر ، فجزاه الله خيراً ، واستجاب دعاءه ، فعاد إلى وطنه منصوراً ، فشكر لله نعمته ، فتواضع . ولم يتكبر ولم يتجبر ، وذكر ناصره العلى الأكبر ، فقال : « لا إله إلا الله وحده . صدق وعده . ونصر عبده . وأعز جنده . وهزم الأحزاب وحده » .

---

(١) هو ما كان من قتل المشركين المحاربين لله ولرسوله وللإسلام ، ومن اغتنام أموالهم ، فقد غفر الله ذلك ومحا بغض أهليهم له صلى الله عليه وسلم — بسبب ذلك - إذ أسلموا ، فأحبوه ﷺ ، ورأوا أن كل تصرفه حسن — فهو لله ، وما أثره إلا المصلحة العامة ، وكل ما يعجب المحبوب محبوب ، فما كان ذنب رسول الله - معصية لله ، حاشاه .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن سلك مسلكه واهتدى بهديه .

أما بعد :

فبينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى مسجد المدينة . وحوله أصحابه إذ أقبل إليه عمرو بن ســـالم الخزاعى : يقص عليه نبأ ما حل بقومه ـ خزاعة ـ حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلفاء قريش . قبيلة بنى بكر : هاجموهم ، فانحازوا إلى الحرم ، حيث لا يجوز قتـــال ، إذ لم يكونوا متأهبين لملاقاتهم ، فتبعهم بنو بكر يقتـــلونهم ، وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغى فى غير مبالاة بالمعاهدة بينهم وبين رسول الله ، ولا بحرمة الحرم .

قال عمرو ... :

يا رب إنى ناشـــد محمداً   حلف أبينا وأبيه الأتلدا(١)
قد كنتم ولداً وكنا والداً   ثمت أسلمنا ، فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا(٢)   وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رســـول الله قد تجردا   أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن سيم(٣) خسفاً وجهه تربدا(٤)   فى فيلق(٥) كالبحر يجرى مزبدا(٦)
إن قريشاً أخلفوك الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء(٧) رصدا(٨)   وزعموا أن لست أدعو أحدا

---

(١) الأقدم   (٢) أعد   (٣) أوليه وأريد عليه .
(٤) تغير   (٥) جيش   (٦) مائجاً يقذف بالزبد .
(٧) أعلى مكة   (٨) راقباً

وهم أذل وأقـــل عـــددا هم بيتونا بالوتير(١) هجدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله : نصرت يا عمرو بن سالم .

وأحست قريش خطأها ، فخرج أبو سفيان بن حرب إلى المدينة : ليصلح ما أفسده قومه ، ويحاول أن يعيد المعاهدة بينهم وبين رسول الله كيانها ، وذهب حين بلغ المدينة إلى ابنته أم حبيبة ، زوج رسول الله : صلى الله عليه وسلم وأراد أن يجلس على الفراش ، فطوته دونه ، فقال : يا بنية ما أدرى . أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ فالتفتت إليه ونصب عينيها قوله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) ، فقالت معلنة عدم ودها له - مع أبوته - ردها عليه : بل هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك نجس . قال : لقد أصابك بعدى شر ، ثم خرج . حتى أتى رسول الله فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، وما قبل من قصده أن يشفع له عنده ، فرجع إلى قومه وأخبرهم بما لقى من صدود ، فساد مكة القلق .

وأمر النبي المسلمين بالاستعداد - بسرعة - للذهاب إلى مكة ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » .

استمع المسلمون لأمره ﷺ ، وأخذوا يجمعون القوى للساعة الفاصلة مع أهل مكة ، عداة الإسلام ورسوله .

---

(١) ما بين عرفة إلى أدام .

وفى هذه الفترة ـ وقع حادث مستغرب : ذلك أن حاطب بن أبى بلتعة صاحب رسول الله ـ كتب إلى ناس من المشركين بمكة : يخبرهم ببعض أمر رسول الله ، وأرسل الكتاب مع مغنية . كانت هاجرت من مكة ، حين ضاق عيشها بها ـ إلى المدينة : لا لتعيش من الغناء ، بل من الإحسان إلى الفقراء ، فلا مجال للكسب من الغناء — حينئذ — فى هذه الأرجاء ، فأعلم الله نبيه ذلك السر ، فأرسل علياً والزبير والمقداد للإتيان بالكتاب منها ، ولما أنكرته — قالوا لها : لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها — أى من تحت ضفائرها المضمومة — فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا حاطب . ما هذا ؟ فقال . يارسول الله . لا تعجل على . إنى كنت امرأ ملصقاً فى قريش : كنت حليفاً لها ، ولم أكن من صميمها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات . يحمون بها أهليهم وأموالهم . فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً : يحمون بها قرابتى . ولم أفعله : ارتداداً عن دينى ؛ ولا رضا بالكفر بعد الإسلام . وأطلع الله النبى على خبيئة حاطب . فعرف أنه لم يكذبه فى اعتذاره . ولا شك أن حاطباً مخطىء فيما فكر فيه وما ذهب إليه ، فإن المشركين — لم يذكروا فى عداوة الإسلام — رحماً ولا أهلا . فما ينبغى أن يكون لهم ود عند مسلم قد خاصمهم فى الله . وعاهده تعالى على بذل الأنفس والأموال فى قتالهم . فكيف يتخذ عندهم يداً : بعمل : هو خيانة عظمى فادحة الضرر بالإسلام وأهله .

ولكن شفع لحاطب كريم ماضيه . فوجه النبى أصحابه إلى فضله : قال صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقكم . فقال عمر يا رسول الله : دعنى

---

(١) جمع عقيصة : وهى شعر المرأة الذى يلوى ويدخل أطرافه فى أصوله

أضرب عنق هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم : إنه قد شهد بدراً .
وما يدريك ؟ لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً . فقال : اعملوا ما شئتم
فقد غفرت لكم .

وبهذا التقدير السمح — علمنا رسول الله أن خطأ من أصاب قبل —
لا يليق أن ينسى سابق الحسنات والفضائل ، ونزل قول الله تعالى :
(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله
ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيل وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة
وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

وبعد أن تجهز المسلمون — سار جيشهم — بقيادة رسول الله مسرعاً
إلى مكة ، وهم صائمون : لأن الوقت كان شهر رمضان ـ على رأس ثمان سنين
ونصف من تقدمه المدينة . ثم أفطر صلى الله عليه وسلم هو وصحبه فى الطريق
حتى نزل بمر الظهران ، موضع قريب من مكة ، عشاء . فنصبت الخيام
وأوقدت النيران فى معسكر يضم عشرة آلاف مقاتل : أضاء منها الوادى .

وخرج أبو سفيان فيمن خرج من مكة : يتعرف الأخبار ، وهو سيد
مكة المتبوع ، فأسلم واحتجزه العباس عم رسول الله : بأمره ﷺ فى مضيق
الوادى ، حتى يستعرض الجيش كله ، فلا يبقى فى نفسه أثر لمقاومة . فقال
للعباس بعد الاستعراض : ما لأحد بهؤلاء من قبل . ولا طاقة ، والله
يا أبا الفضل : لقد أصبح ملك ابن أخيك . الغداة ـ عظيماً . قال العباس :
يا أبا سفيان : إنها النبوة . قال : فنعم إذاً ..

---

(١) كان الإفطار عند الكديد ، وهو ماء بين عسفان : قرية كبيرة على
مرحلتين بين مكة وبين قديد القرية منها .

وأعطى صلى الله عليه وسلم الأمان لقريش ، فقال : ـ وهو الرحيم ؛ جبراً لكسر أبى سفيان إذ زالت رياسته : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . ودخل بعد أبو سفيان مكة مبهوراً مذعوراً ، ثم قال : «(١) يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان — فهو آمن ، فقالوا له ، ولم يبالوا حينئذ بسيادته : كما هى عادة الناس ، حين يذهب الجاه قاتلك الله . وما تغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه — فهو آمن ، ومن دخل المسجد — فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

ودخل ﷺ مكة من أعلاها ، وخالد بن الوليد من أسفلها ، وسائر فرق الجيش من أنحاء مكة الأخرى ، وقد أمر ﷺ قادة الجيش ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم : محافظة على حرمة الحرم .

وبذلك الأمر ، الذى راعى فيه صلى الله عليه وسلم من حاربوا الله ورسوله ، وهو صلى الله عليه وسلم بيده القوة الظاهرة ، فى ذلك اليوم — تبين أن القتال فى الإســلام — دفاع ، لا اعتداء ، والله تعالى يقول : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين).

واستسلم سادة مكة وأهلها : لقوة الإسلام : إلا نفراً من قريش غاظهم هذا الاستسلام ، فتجمعوا بقيادة عكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ،

---

(١) شدهت لذلك امرأته هند بنت عتبة ، فوثبت إليه ، وأخذت بشاربه تلويه وصاحت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمش — أى هذا الزق المنتفخ ـ قبحت من طليعة قوم ، ولم يكترث أبو سفيان لسباب امرأته ، فعاود تحذيره لقومه ، فقالوا له ما ذكر ..

وصفوان بن أمية ، عند الخندمة — فحمل عليهم حملا ، حتى لاذوا بالفرار وأسلم قادتهم بعد .

وكان من الفارين حماس بن خالد : من قبيلة بنى بكر : كانت امرأته تقول له : إذا رأته يصلح سلاحاً: لماذا تعد ما أرى ؟ فيقول: لمحمد وأصحابه فقالت له يوماً : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، فقال : والله لأرجو أن أخدمك بعضهم ، فلما لاذ بالفرار يوم الفتح ، حتى بلغ بيته ، فقال لها : أغلقى على الباب ، فقالت له : فأين ما كنت تقول — قال : يعتذر لها :

إنك لو شهدت يوم الخندمة (١) — إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة (٢) — واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة — ضربا . فلا يسمع إلا غمغمة (٣)
لهم نهيت (٤) خلفنا وهمهمة (٥) — لم تنطقى باللوم أدنى كلمة

ولقد هدأت مكة ، وعلت كلمة الله فى أرجائها ، فقام رسول الله ﷺ يطوف بالبيت العتيق ، ويكسر الأصنام المرصوصة حوله وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ، حتى إذا طهر المسجد من الأوثان — أقبل على قريش ، وهم صفوف صفوف : يرقبون حكمه فيهم ، وقد نصره الله عليهم ، ومكنه منهم ، فأمسك بعضادتى باب الكعبة ، وهم تحته .. ثم قال : يا معشر قريش . ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً

---

(١) جبل بمكة — (٢) كالاسطوانة .
(٣) صوت الأبطال فى القتال . — (٤) زئير وزحير .
(٥) ترديد الصوت فى الصدر .

أخ كريم . وابن أخ كريم . قال: « فإني أقول لكم ماقال يوسف لإخوته: « لا تثريب(١) عليكم اليوم ... » ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ..

وصعد بلال ، مؤذن رسول الله ، فوق ظهر الكعبة ، فأذن الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر - أى الله أكبر من أن يقاس به سواه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وهل يستطيع عاقل — أمام هذا الحق المؤكد المبين — إلا الإيمان : إحساناً لنفسه أى إحسان ، فلا بد أن يقر بالحقيقة المؤكدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله .

فالمسلم موحد : لا يعرف إلا الله رباً ، ولا يرى غيره ملجأ .

ومن لاذ بسواه تعالى - فهو ضعيف يلوذ بضعيف ، وصدق الله العظيم إذ قال : (ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب - ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز) .

ولكن من أسوتنا - معشر الموحدين ، ومن إمامنا المقتدى به ، فى ذلك الإقرار ؟

ألا إنه — من يقر كل منا برسالته ، عقب إقرار الألوهية ، فيقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . ذلكم المثل الكامل لكل من يبغى الحياة الطيبة الفاضلة ، ويستهدف الغاية الشريفة الكاملة ، وهو الهادى إلى الصراط المستقيم ، والداعى إلى الإقبال على الخير ، ومن

---

(١) لا لوم .

أول الخير — أداء عبادة الصلاة ، ولذلك — فى عقب كلمة الإقرار برسالته صلى الله عليه وسلم - حثنا الأذان على ذلك فقال : حى على الصلاة ، حى على الصلاة - أى أقبلوا على الصلاة ، أقبلوا على الصلاة .

والصلاة هى المآب كلما انحرف الإنسان عن الصواب إذا أخذته الدنيا إلى أية ناحية من نواحيها - صلى ، فأقبل إلى الله إذ انتبه إلى مراقبته ، ما دام قد خشع فى صلاته . والله تعالى يقول : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) .

ثم يحثنا الأذان على الإقبال على الفلاح وتجنب الخيبة فى جميع شئوننا فيقول : حى على الفلاح حى على الفلاح .

والخيبة إنما تكون فى الجهد الضائع سدى : فى العمل الخطأ أداء أو قصداً : كمن يصلى رياء — قصد مدح الناس لا قصد رضا الله ، أو يصلى لغير القبلة .

ويفلح من كان عمله صحيحاً صورة ونية ولو كان من خالص أعمال الدنيا كمن يتقن ما يصنع إرضاء لله .

ولذلك أمر الله سبحانه قدوتنا نبيه : صلى الله عليه وسلم : أن يجعل شئون حياته — بعد صلاته . ونسكه : وسائر عبادته — خالصة لله ، وأن يبلغنا ذلك . قال تعالى : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

وإنما يجعل الإنسان جميع أعماله الدنيوية والأخروية خالصة لله — إذا صغر عنده كل ما عدا رضا الله : من غايات فى الحياة ، وكان صادق الإيمان فى أنه تعالى لا يقاس به سواه ، والتزم — دائماً أبداً — توحيده جل علاه .

ومن هنا كان ختام الأذان كبدئه : تقريراً لتلك الغاية ، وذلك المنهج : غاية رضا الله ، ومنهج توحيده ، وأنه لا يقاس به سواه .

الله أكبر . الله أكبر ، لا إله إلا الله . فكلمات الأذان تمثل الخطوط العريضة ، والعناوين البارزة — لرسالة الإسلام ، رسالة الإصلاح الكبرى لجميع الأنام . ولذلك : كانت بمثابة خطبة ترسم الخطة التي يسير عليها الناس بمكة في عهدهم الجديد . عهد النور والتوحيد ، وجاء في السنة الثابتة أن المسلم — عندما يسمعها — يقول : « اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة . وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته . إنك لا تخلف الميعاد » .

وهذا القول الكريم هو الوسيلة في قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة — صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » .

وظل رسول الله بمكة سائر شهر رمضان من عام الفتح — يقصر الصلاة ، ويفطر : لأنه لم ينو الإقامة بها ولما استقر الأمر — شرع صلى الله عليه وسلم : يبايع الناس على الإسلام ، فجاءه الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، فيما استطاعوا .

وبايع صلى الله عليه وسلم النساء : بأخذ الميثاق والعهد عليهن كلاماً من غير مصافحة ، وقالت عائشة رضى الله عنها : « لا والله ما مست يد رسول

---

(١) رواه مسلم في صحيحه وغيره عن عبد الله بن عمرو (ض) .

الله يد امرأة قط ، أى أجنبية منه ، وإنه احتياط : يسعد به من اقتدى به صلى الله عليه وسلم .

وبفتح مكة — ظل لواء الإسلام — مرفوعاً ، وأخذ نوره يظهر بين العرب ساطعاً ، حتى نزلت بمنى فى حجة الوداع سورة النصر ، عليه صلى الله عليه وسلم ، مسجلة دخول الناس فى الإسلام أفواجاً : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً (١) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واذكروا حادث فتح مكة فى رمضان : لتزدادوا إيماناً بأن النصر من عند الله ، وأن الله ينصر من ينصر دينه ، ويستمسك بتعاليمه ، وأنه تعالى فى رمضان — يتجلى على المؤمنين بالنفحات والبركات فتقبلوا إلى الله . مكثرين من تقواه ، وأنتم مطمئنون لبلوغ الآمال ، وتبديد الهموم ، وتنفيس الكروب ، وكسب رضاه تعالى : واستمعوا وأنصتوا للأذان متدبرين ، متأدبين بآدابه . وانتهزوا فرصة الصوم . واقتدوا برسولكم فى العفو عمن أساء ، وازدادوا إقبالا على الله . كلما قرب رمضان من الانتهاء (والله ذو فضل عظيم) .

روى الترمذى عن الحارث بن مالك رضى الله عنه . قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم : يقول يوم فتح مكة : « لا تغزى هذه — يعنى مكة — بعد اليوم إلى يوم القيامة » أى لا تغزى مكة غزواً دينياً على كفرها ، بل تبقى إسلاماً (٢) . حتى ينقرض الإسلام .

---

(١) جماعات : جماعات . (٢) وكذلك المدينة . فهما آخر البلاد إسلاماً .

توجيه إلى الكفارات والدرجات

فى شهر رمضان

الحمد لله ، الذى كرم بنى آدم ، وشرفهم بعبادته ، وهو الغنى الكريم .

وأشهد أن لا إله إلا الله : ينشر رائحة على أهل الجنة — بعد استقرارهم فيها — فيقولون : ما شممنا رائحة أطيب من هذه الرائحة ، فيقال لهم : هذه رائحة أفواه الصائمين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، القائل : «(١) والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، البررة الكرام .

أما بعد : فيا عباد الله :

أخبر معاذ بن جبل رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج سريعاً : لصلاة الصبح يوماً : ـ ليدركها فى وقتها ، قبل طلوع الشمس .

ولما سلم من الصلاة — حدث المصلين بمنامه ، الذى كان سبب تأخره عن الخروج للصلاة : فى الوقت المعتاد ، فذكر أنه نام ، وهو فى صلاته : بالليل ، ورأى فى نومه ربه عز وجل : كما يراه المؤمنون فى الجنة (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم — حينئذ فى أحسن صورة : فى هيئة

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (ض) .

تليق برب الجمال . والكمال . والجلال ، فقال : تبارك وتعالى له : يا محمد . أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ : — أى فيم يختلف الملائكة الكرام — فقال : صلى الله عليه وسلم : لا أدرى يارب ، فعرفه الله سبحانه وتعالى — ما يختلف الملائكة فيه ، وقال له : ليظهر أنه عرف ذلك : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ : قال فى الكفارات ، والدرجات قال : وما الكفارات ؟ أى وما الأشياء التى تكفر بها السيئات ؟ قال : نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس فى المساجد : بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات : قال : وما الدرجات ؟ أى وما الأشياء التى تنال بها الدرجات ، والرتب العالية عند الله ؟ قال : إطعام الطعام . ولين الكلام ، والصلاة : والناس نيام : ثم قال : سبحانه له ﷺ : ســـل فقال : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى ، وترحمنى ، وإذا أردت فتنة بقوم — فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك » .

والفتنة التى تطلب السلامة منها ، والتوفى غير مفتون بها : كتحليل الكسب من حرام : كالرشوة ، والربا ، ونحوهما مما حرم الله تعالى .

وبعد أن فرغ صلى الله عليه وسلم : من حديثه — حث على تعلم تلك الكفارات ، وهذه الدرجات ، وهذا الدعاء : للعمل بها : للفوز بالخير العظيم .

وتصوروا مبلغ الخير ، الذى تثمره الأشياء التى يختصم الملأ الأعلى : الملائكة الكرام فيها ، ويتجادلون : أيها أفضل ، وأكثر ثواباً .

وإذا كانت كفارات الذنوب خيراً ، وما به تنال الدرجات عند الله

— فلا داعى للبحث . واختلاف الرأى فى أفضلية بعضها من بعض ، وزيادة ثواب البعض على البعض : وعلينا العمل ، والله تعالى هو المسئول لنيل الجزاء ، الذى قدره وهو الجواد العليم .

وإن تلك الكفارات ، وهذه الدرجات — جديرة بالاستمساك بها ، والمحافظة عليها : فى كل زمان ، وبخاصة فى شهر رمضان . شهر الصيام . المطهر للنفوس . والتراويح ، التى عليها طلاوة ، ولها حلاوة . ومن ذاق عرف ، وفيه الحسنات مضاعفة ، وطرق الطاعة مسهلة ، والدعاء مستجاب قال صلى الله عليه وسلم : «(١) نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف ، وذنبه مغفور » .

ولا يليق برمضان ، الشهر الذى أنزل فيه القرآن — أن تكون شعائره ، وعلامات المسلم فيه سوى تلك الكفارات ، وهذه الدرجات ، وما إليها من الصالحات .

ويا قوم :

غلبة النوم للرسول صلى الله عليه وسلم : فى صلاته بالليل — دليل بشريته والله تعالى يقول: (قل إنما أنا بشر مثلكم) وبتلك البشرية المحمدية التى أعلنها ﷺ ، وأعلنها ربه تعالى — اطمأن أتباعه — مستيقنين — إلى أنه عبد الله ، مع ما كمله به الله : بما اختصه به . دون سواه من إخوانه المرسلين ومنامه ﷺ بالعين فقط : كما قال : «(١) إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا ، ولذلك — رؤياهم وحى لا ينكر ، ورحم

---

(١) رواه البيهقى والديلمى ، وابن النجار .

(٢) رواه ابن سعد عن عطاء : مرسلا : أى سقط واسمده الصحابى

الله البوصيرى إذ قال فى حقه : صلى الله عليه وسلم :

لا تنكر الوحى من رؤياه إن له
قلباً إذا نامت العينان لم ينم

وما أعظم ما أوحاه سبحانه إليه : صلى الله عليه وسلم فى رؤيا منامه هذا : إنه الطهر ، وعز الدنيا والآخرة .

واسمعوا حديث الله القدسى : ((١) أنا العزيز من أراد عز الدارين فليطع العزيز) .

فيأيها الصائم(٢) القائم :

تطهر من أدناس ذنوبك بالسعى إلى المساجد ، التى ليس كمثلها فى الراحة بها ، بيوت لصلاة الجماعة التى هى أفضل من صلاة المرء وحده بخمس عشرين درجة أو سبع وعشرين درجة ولرغبة فى الجلوس فى المساجد : بعد الصلوات فإن المساجد روضات الجنات ، والملائكة تدعو للجالسين فيها بالغفران والرحمات ، وهل استمع ، فاغتنم هذا الخير من يجلس فى المقاهى الساعات ، ولا يمل ، ويفر عقب الصلوات : من المساجد كالطير : فتح باب قفصه المحبوس فيه .

وانتبه : لتطهرك من ذنبك — أيها الحريص على الكسب الكريم — بإكمال وضوئك : والماء بارد ، فزمهرير القيامة — أشد برداً ، واحرص

(١) رواه الخطيب البغدادى : عن أنس (ض) : عنه ﷺ : فيما يرويه عن ربه عز وجل .

(٢) إذا كانت الخطبة فى غير رمضان قال الخطيب : فيأيها المسلم كما يفهم من الخطبة كل ما يناسب رمضان .

كل الحرص على علو رتبتك عند الله ، بإطعام الطعام ، و بذل القم — بمنع النقم ، وبه المحبة والائتلاف ، وبلين الكلام ، فالكلام اللين ، الذى لا شدة فيه — يجذب النفوس ، ويملك القلوب . فيعيش الناس فى صفاء وسلام .

ومن الكلام اللين — قولك : إنى صائم : لمن شتمك أو خاصمك ، وفى ذلك السلامة من الشر الذى تثمره مجاراة الشاتم المخاصم ، والذى — من أجله — نصح سفيان ، وهو من علماء سلفنا ، فقال : « لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك » .

وانظر إلى علو الرتبة عند الله تعالى ، الذى هو أعلى جاه ، بل لا جاه سواه : لتقبل إلى صلاة الليل بهمة ونشاط ، وتسارع إلى طرح غطاء نومك . مضحياً براحة النوم ، مستريحاً بصلاة التهجد ، التى ينور بها وجهك ، وقالت عائشة رضى الله عنها : «(١) كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل حتى تنفطر(٢) قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال أفلا أكون عبداً شكوراً » .

أيها المسلمون :

الفرصة سانحة الآن : لتبديل سيئاتكم حسنات ، والفوز العظيم بالدرجات عند ربكم ، فأنتم فى شهر البركات ، وموسم الإحسان . وعظيم النفحات — رمضان —

فاتقوا الله ، واسعوا إلى المساجد : مهبط الرحمات : لتلاوة كلام الله واستماعه ، وذكر الله تعالى والصلاة له ، وأفشوا السلام بينكم ، وتصدقوا ما استطعتم ، وتخلقوا بمكارم الأخلاق ، وادعوا لتكسبوا خيراً كثيراً

---

(١) رواه البخارى ومسلم .   (٢) تتشقق .

بما دعا به ﷺ وهو فى منامه : فى حضرة ربه : « إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفرلى ، وترحمنى .

وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك . وحب من يحبك . وحب عمل يقربنى إلى حبك » .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

قال رسول الله ﷺ : « أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

خطبة الجمعة فى عقب رمضان

الحمد لله ، المنفرد بالخلق والاختيار ، الذى تساوى فى علمه الجهر والإسرار (فإنه يعلم السر وأخفى) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الدائم الباقى ، الذى بمشيئته — تصاريف الأقدار (وربك يخلق ما يشاء ويختار) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من أطاع الله ، وأوضح معالم الإيمان . وأنار ، سيد الأتقياء (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، الطاهرين الأخيار .

أما بعد : فيا عباد الله :

مر بعض الصالحين على شباب يلعبون يوم الفطر ، فقال : يا هؤلاء إن كان صومكم قد قبل — فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان صومكم لم يقبل فما هذا فعل المحزونين : فالمحزون لا يلعب فوقع كلامه فى قلوبهم ، وتركوا لهوهم ، ولعبهم : معلنين اعتبارهم بما سمعوا وكل من صام رمضان كذلك :

لا يدرى أقبل صومه أم لا .

فلا يليق أن يلهو عن طاعته تعالى : بعد رمضان بل يشكر لله ، الذى وفقه لطاعته ، ويستمسك بالصبر ، الذى أثمره الصيام ، وينتهز فرصة الحياة

بعد رمضان : يعوض فيها ما فاته فى رمضان ، أو قصر فيه من حق الله تعالى .

فيا مؤمناً بالله ، الذى كتب الموت على كل من أحياه ، وبأنه لا يفيد — بعد الموت — غير طاعة الله تعالى وتقواه :

برهن على إيمانك ، فكن شاكراً ، وصابراً لله : بإدامة طاعته ، وتقواه : ما استطعت : فى كل زمان ، واخش الذنوب : من ترك فرض أو تأخيره عن وقته ، أو خيانة أحد : فى عرضه ، أو ماله ، أو تضييع حق من حقوقه ، فتراكم الذنوب على بعضها : من غير توبة — يؤدى إلى سوء الخاتمة : قال ﷺ : «(١) إن العبد إذا أذنب ذنباً — كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب منها — صقل قلبه ، وإن زاد زادت) : فذلك قول الله تعالى : (كلا بل ران(٢) على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

وما قدر الدنيا كلها بجميع خيرها ومتاعها : مع سوء الخاتمة ، الذى به — الخلود فى النار ، والحرمان من كل خير فى الآخرة ، ولذلك كان سلفنا الصالح : مع الاجتهاد فى الطاعة على الدوام يتضرعون إلى الله تعالى : لحفظ دينهم : ليزيدهم هدى وتوفيقاً ، وقد رئى سفيان الثورى ، أحد أئمة الإسلام المشاهير : فى ليلة : بكى الليل أجمع ، فسئل ، فقال : إنما أخشى أن يسلبنى الله الإسلام : والعياذ بالله ، وقد سأل الصديق يوسف : عليه السلام ربه ، فقال ما حكاه تعالى : (فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

فجدير بالمسلم — أن يؤكد عهد الله ، الذى عاهده عليه فى رمضان ، بالتزام الإنابة إليه تعالى ، والرغبة فى رحمته وثوابه ، والخوف من نقمته

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة (ض) . (٢) : غلب .

وهداه : بالمحافظة على أداء الصلوات : فى الجماعات . والتزام ورد من القرآن فى كل يوم ، وصلة الأرحام ، والعطف على البائسين . والأيتام ، ودوام حب الخير وأهله ، وكره الشر وأهله : ليعيش دائماً فى كنف الله : متمتعاً برضاه معدوداً من حزبه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

ولا يليق بمن اتصل بالله فى رمضان - أن يقطع صلته به بعد رمضان .

وكيف يقطع العاقل صلته بالله ، ولا غنى له عنه ، وليس له غيره ، ولا يقاس به فى الجود والكرم والإحسان سواه ، وهو سبحانه عظيم الإقبال إلى من أقبل إليه ، ويعامله بنيته قبل عمله (وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد) . (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) .

ومقبول — يا قوم — أن يهتدى المرء بعد ضلال ، فيخرج من الظلمات إلى النور .

ولكن ليس بمقبول أن يضل بعد هدى والضلال بعد الهدى . إنما يكون من الطاعة للشيطان ، الذى قال الله تعالى فيه : (إنه ليس له سلطان(١) على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه(٢) والذين هم به مشركون) .

ولماذا يطيع الشيطان من عصاه فى رمضان ، فيبخل بعد كرم ، ويغضب بعد حلم ، ويعود إلى مرارة العصيان ، بعد ذوق حلاوة الطاعة : أوجد الشيطان أولى بالمحبة من المنان ، الوهاب ، الحنان الذى لا مالك للخير سواه ، وبيده الجنة والنيران ، وقد قال للشيطان : (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)

---

(١) أى ليس له تسلط . (٢) يحبونه ويطيعونه .

ولذلك سلطان الشيطان على غير عباد الرحمن أقوياء الإيمان ، ألا إن طاعة الشيطان ، وبخاصة بعد عصيانه — نكث لعهد الله ، ونقض له والله تعالى يقول : (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) .

فطوبى لعبد أوفى بما عاهد عليه الله فى رمضان ، وواصل تقوى الله ، وعمر سائر أوقات عامه : بطاعة الله ، فصلحت دنياه وحسنت أخراه ، وسئل الإمام الشبلى أحد صالحى هذه الأمة المشاهير ، أيهما أفضل : رجب أم شعبان ؟ فقال لسائله : كن ربانياً ، ولا تكن رجبياً ولا شعبانياً أى أطع الله فى كل زمان .

فيأيها المسلمون :

اتقوا الله ، وحافظوا على إيمانكم ، أساس حسن حالكم فى دنياكم وآخرتكم : بإدامة طاعة ربكم التى شرفتم بها فى رمضان ، واحفظوا من الذنوب قلوبكم وجميع أعضائكم ، وقولوا : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

قال رسول الله ﷺ : « ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلا ، ولا تعصه فتسمى جاهلا » رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة وأبى سعيد (ض) .

الدعوة إلى الحج

الحمد لله ، الذى تستريح بزيارة بيته نفوس محبيه ، وتنصرف عنه وفى القلوب شوق إليه ، وقد قال تعالى : (ومن دخله كان آمناً) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : جعل فى حج بيته ـ غفران الذنوب ، ونيل المرغوب ، وقال نبيه ﷺ : « (١) الحجاج والعمار وفد الله : عز وجل : إن دعوه ـ أجابهم ، وإن استغفروه ـ غفر لهم » .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أعظم عزيز يزار : زيارته شرف ورحمة ، وعز وبركة ، وقد قال : « من زار قبرى ـ وجبت له شفاعتى » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله ، وصحبه ، الذين حجوا ، واعتمروا ، وزاروا قبر نبيهم ، فسعدوا وأفلحوا .

أما بعد : فيا عباد الله :

قال العالم الراوية : الأصمعى ، أحد مشاهير ذوى الفضل فى عهد العباسيين : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فبينما أطوف بالليل ، وكانت ليلة قمراء إذا أنا بصوت حزين من شاب حسن الوجه ، عليه أثر الخير ، وهو متعلق بأستار الكعبة ، ويقول : «إلهى غلقت الملوك أبوابها وقامت عليها حجابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، وهأنذا سائل ببابك ، مذنب فقير مسكين : جئت أنتظر رحمتك يا كريم يا رحيم :

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

---

(١) رواه النسائى ، وابن ماجه : عن أبى هريرة (ض) .

قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حى يا قيــــوم لم تنم
أدعــــوك ربى حزيناً راجياً فرجاً
فارحم بكائى بحـق البيت والحرم
أنت الغفور فجد لى منــــك مغفرة
واعطف على أياذا الجود والكرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو خطر
فمن يجود على العاصــــين بالنعم

ثم رفع رأسه ، فدنوت منه ، فإذا هو زين العابدين بن الحسين : من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ثم قال : إلهى هب توبة — أنل بها رضاك يا أرحم الراحمين . وحقاً : صدق من قال :

فى البيت أنواع فضل لست أحصرها
وصاحب البيت أدرى بالذى فيه
من جاءه تائباً من عظم زلتــــه
فإن للبيت رباً ســــوف يحميه

إى وربى : فى البيت الحرام أول بيت وضع للعبادة فى الأرض — فضائل : لا أقوى على حصرها ، بل من الذى يقوى على حصر فضائل بيت من وسع كرسيه السموات والأرض ، ومن أحاط بكل شىء علماً ، ومن له الدنيا والآخرة ، وهو على كل شىء قدير .

عبد الله : وأنت مؤمن بذلك الحق ، الذى سمعت : إذا دعاك عظيم أو ذو جاه : لزيارة بيته — سارعت إلى الإجابة ولبيت الدعوة : مفاخراً بما نالك : من شرف المقابلة ، وكريم الضيافة .

فكيف إذا دعاك رب العظمة والكرم ، من بيده ملكوت كل شيء : (له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

دعاك سبحانه إلى بيته : ليغفر ذنبك ، ويشرح صدرك ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً ، ويأجرك أجراً عظيماً .

دعاك الذى يرى ولا يرى : لتطوف بيته العتيق : لتشهد منافع لك ، ولتشاهد الأنوار القدسية ، والرحمات الربانية : فى ذلك المكان . الذى اختصه الله بمزيد من النظر والإقبال — ومن ذاق عرف — : قال صلى الله عليه وسلم : «(١) ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين ، وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين » .

دعاك جل شأنه : لتسعد بالصلاة ، التى قال فيها صلى الله عليه وسلم : «(٢) صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه : إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » .

وفى البيت الحرام — يتضلع المسلم من خير ماء على وجه الأرض : من شرب : لإذهاب عطشه — أذهبه ، ومن شربه : لشبعه — شبع ، ومن شربه للشفاء — شفاه الله : قال صلى الله عليه وسلم : «(٣) ماء زمزم لما شرب له » .

وحسبنا من مزايا الحج أن يجتمع المسلمون من جميع أنحاء الأرض حول بيته الحرام : فى مكان واحد : على اختلاف درجاتهم . وألسنتهم .

---

(١) رواه البيهقى : بإسناد حسن : عن ابن عباس (ض) .

(٢) رواه أحمد : بسند صحيح : عن جابر (ض) .

(٣) رواه أحمد : بسند صحيح ، والبيهقى : عن جابر (ض) .

ولغاتهم : ليتعارفوا ويتآلفوا . وبتدارسوا شئونهم ، وحل مشاكلهم ، وليؤكدوا التعاون . على البر والتقوى والتآخى فى الله ، وليقفوا بين يدى رحمته فى خير رحاب لرضاه تعالى : مهللين مكبرين مستغفرين : كل يرجو المأمول . وحسن القبول . فى البيت المطهر للطائفين والعاكفين والركع السجود .

هناك تسكب العبرات ، وتستجاب الدعوات ، ويتضرع الحاج مناجياً مولاه يقول : وقفت ببابك : يا رب أرجو الكرم والجود .

وهناك : فى موقف عرفة — يذكر الناس يوم حشرهم وهم واقفون بين يدى مليكهم : مالكهم والذى لا محاسب غيره ولا قاضى سواه .

هنالك — تتلاشى الفوارق ، فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأمير على حقير ، ولا لسيد على عبده : الكل أمام الله سواء ، وقد حرموا ما حرم الله ، وأحرموا : مخلصين لله ، وقد ائتزروا بإزار : هو أشبه بأكفان الموتى : ليذكروا أن زخرف الدنيا باطل ، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

وليذكروا يوم خروجهم من الأجداث سراعا (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

والناس فى عرفات ، وقد نسوا همومهم وأموالهم وأولادهم ، وخلت قلوبهم من كل ما يغضب الله : معرضين عن كل لغو ورفث وجدال : هدفهم جميعاً . رضا الله . أعينهم باكية ، وقلوبهم خاشعة ، ونفوسهم ملؤها الأمل فى رحمة الله تعالى — تنتظم أصواتهم بلحن واحد : يعودون إيقاعه على أوتار قلوبهم للواحد الصمد قائلين : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك ، والملك : لا شريك لك .

هنالك — تنصت الأرض ، وتصغى السماء ، ويقوم فى فم الدنيا من وحى السماء — قول مالك الملك ذى الجلال والإكرام (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) : وكأنى به : تعالى يقول :

يا عبادى قد استجبت لكم بما استجبتم لى ، ووضعت عنكم أوزاركم ، التى أثقلت ظهوركم . فعودوا إلى بلادكم كيوم ولدتكم أمهاتكم : أطهاراً . أبراراً : أخياراً .

وإن لحظة رضاه تعالى — حينئذ — لمتعة ساعة : يقل لها عمر الدنيا ثمناً ، وما ظنكم بساعة يشعر كل حاج فيها : كأن الحق يقول له : أسمع كلامك ، وأرى مكانك ، وأنظر إليك : سل ما تريد ، فأنا أقرب إليك من حبل الوريد . وعند ذلك يباهى الله بالحجاج ملائكته ويقول : (انظروا إلى عبادى أتونى شعثاً غبراً أشهدكم أنى قد غفرت لهم ذنوبهم) .

يا قوم :

تجىء أيام الحج ، فتتأجج نيران الأشواق بالقلب : لمواطن الوحى والكعبة ، وزيارة رسولنا بطيبة ، ويفوز بالراحة منها من حج وزار ، وتمتع فى تلك المواطن بالأسرار والأنوار ، وكان أهلا للجزاء العظيم ، المعد للحجاج والزوار .

وما أحسن مناجاة المسلم الحاج بمكة والمدينة : يقول ابن عطاء الله السكندرى : « إلهى أخرجنى من ذل نفسى ، وطهرنى من شكى وشركى : قبل حلول رمسى : بك أستنصر فانصرنى ، وعليك أتوكل فلا تكلنى ، وإياك أسأل فلا تخيبنى ، وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ، ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى . وببابك أقف فلا تطردنى .

ويا قوم : وأنتم تستقبلون الكعبة فى كل يوم خمس مرات على الأقل فى صلواتكم . وهكذا سائر المسلمين : لا شك أن نفوسكم جميعاً تصبو إلى رؤيتها : إلى رؤية تلك الجامعة لوحدتنا : حتى نكون كالجسم الواحد يألم كله لألم بعضه ، ويستريح كله ما دام كله سليماً .

وقد تجلت مزايا تلك الرؤية ، وما يناله الطائف بها ، وما إلى ذلك من عطايا يهبها الغنى لمن حج بيته فلنتق الله ، بالحج ما استطعنا . ومن لم يسعده الحظ — كفاه ثواب نيته وسعيه « وإنما لكل امرىء ما نوى » .

عباد الله :

اتقوا الله ولا تحرموا أنفسكم من الخير . فاشغلوا أنفسكم بنية الحج إلى بيت الله ، وزيارة قبر نبيه ، ومن لم يتم له مرامه فى عامه — فلا يأس من رحمة ربه ، وتحقيق رجائه فى عام آخر . وبذلك لا يغيب عنا أبداً هذا الركن العظيم من أركان الإسلام . ولا زيارة قبر نبينا عليه الصلاة والسلام قال رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان » رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب : رضى الله عنهما ، وروى الطبرانى : فى معجميه : الكبير ، والصغير عن ابن عمر أيضاً — أن النبى ﷺ — قال : « من حج ، فزار قبرى : فى مماتى — كان كمن زارنى فى حياتى » . وعن ابن عمر أيضاً : عن النبى ﷺ قال : « من زار قبرى — وجبت له شفاعتى » رواه البزار .

التذكير بيوم عرفة

الحمد لله العزيز الحميد ، الأقرب إلى من دعا في يوم عرفة من حبل الوريد ولذلك - كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكثر فيه من الدعاء بقوله : «(١)اللهم أعتق رقبتي من النار ، وأوسع لي من الرزق الحلال ، واصرف عني فسقة الجن والإنس » .

وأشهد أن لا إله إلا الله : من عامله - ربح ، ومن التجأ إليه - فرح ونجح (والله ذو فضل عظيم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من تذلل لمولاه ، وفي عشية عرفة دعاه «(٢)اللهم إنك ترى مكاني ، وتسمع كلامي ، وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري . أنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المعترف بذنبه . أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته . وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً . وكن بي رءوفاً رحيماً . يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

اللهم صل وسلم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين حرصوا على طاعة ربهم ، ففازوا بوده وحبه .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

أما بعد :

فيأيها المسلمون :

بعث الله تعالى الرسول بينه وبين رسله بالوحى - جبريل عليه السلام- إلى إبراهيم عليه السلام ، فحج به .

وبذلك — عرف ابراهيم مناسك الحج وعبـــاداته ، وقال إبراهيم : عرفت . عرفت .

ولذلك سمى هذا الموضع الذى قال فيه ذلك القول : عرفات .

ويوم الوقفة به - هو يوم عرفة ، اليوم التاسع من ذى الحجة ، الذى يعرف الله فيه برضاه - من عرفه بتقواه ، ويشهد للمهتدى بالفضل ، وتشهده الملائكة ، ولذلك - شرف بالقسم فى الكتاب المجيد - بقوله تعـــالى : ((١) وشاهد ومشهود) .

ويا قوم :

فى السنة العاشرة من الهجرة - حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع .

وفى يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة - نزل قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

---

(١) أقسم سبحانه بالشاهد والمشهود : مطلقين غير مقيدين وغير معينين ومن أعم المعانى فى هذا القسم - أنه الرائى والمرئى ، وماذكر فيه مقيداً فهو على وجه التمثيل ، ولذلك ساغ هنا ما ذكرنا من أن يوم عرفة شاهد : لتنزيله منزلة الرائى لما يقع فيه ، ومشهود : تشهده الملائكة وتحضره تنويهاً به ، ولخير أهل الفضل فيه .

وعندما سمع ذلك القول ـ عمر رضي الله عنه ـ بكى ، فقيل له : ما يبكيك؟ قال : إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان ، وكأنه استشعر وفاته ﷺ .

وقد اتضحت مشاعر توديعه ﷺ للحياة والأحياء — بما ورد على لسانه صلى الله عليه وسلم ، في بدء خطبته الجامعة ، في ذلك اليوم العظيم ، إذ قال ﷺ ـ داعياً للانتباه إليها : « أيها الناس : اسمعوا قولي . فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً » .

وقد بين صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة العظيمة — من المبادىء والتعاليم — ما به صلاح الفرد والجماعة ، والعزة في الدنيا والآخرة ، وبها كملت دعوته إلى الله ، وفيها قال صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلغت » .

وإنكم — يا قوم — ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، فانتهزوا فرصة يوم عرفة : للصلح عليه تعالى ، والفوز برضاه فيها ، فانتهزوا إنه يوم كتب الله فيه المغفرة لكل من وقف بعرفات قبل أن يخلق عرفات بآلاف السنين ، يوم يجتمع فيه الحجاج ، وقد خلصت قلوبهم من الأكدار وتوجهوا بأجسامهم وأرواحهم للواحد القهار ، متطلعين إلى رحمته تعالى وهو العزيز الغفار ، مرتفعة أصواتهم معلنة الامتثال والخضوع لأحكم الحاكمين العظيم الجبار ، مرددة ذلك النشيد السماوى ، الذى تبصر به القلوب طريق العزة والسداد : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

ألا وإن يوم عرفة يوم عتق من النار لمن وقف بعرفة ، ومن لم يقف

بها ، وحفظ فيه سمعه وبصره ولسانه من الكذب ، ومايغضب الله . وصامه فأرضى ربه ، فغفر له ما سبق من ذنبه ، وحبب إليه فى مستقبله - طاعته ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان . قال صلى الله عليه وسلم : «(١) صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله ، والتى بعده » ألا وإن آمال الحجاج ، وعاقبتهم - كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(٢) إن الله تطول على أهل عرفات ، يباهى بهم ملائكته ، يقول: ياملائكتى أنظروا إلى عبادى شعثاً غبراً : أقبلوا إلى من كل فج عميق ، فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، وأجبت دعاءهم ، وشفعت رغيبهم ، ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت لمحسنيهم جميع ماسألونى ، غير التبعات التى بينهم ، فإذا أفاض القوم إلى جمع — أى مزدلفة — ووقفوا وعادوا فى الرغبة والطلب إلى الله . فيقول : يا ملائكتى : عبادى وقفوا وعادوا فى الرغبة والطلب ، فأشهدكم أنى قد أجبت دعاءهم ، وكفلت عنهم التبعات التى بينهم — أى المظالم التى لم يستطيعوا فى الدنيا التخلص منها » .

وكذلك الآمال والعاقبة : يوم عرفة - لكل مؤمن يعمل الصالحات قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(٢) إذا كان يوم عرفة لم يبق أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له ، قيل له : ألمعرف - أى الواقف بعرفة - خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : بل للناس عامة » .

وعما قليل — يقف الحجاج فى هذا اليوم بعرفة - فاتق الله أيها المسلم وشارك الحجاج فى الإقبال إلى الله فى هذا اليوم ، واحذر أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، وصم هذا اليوم وأنت منتبه لقول رسول الله

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى قتادة (ض) .
(٢) رواه أبو داود عن ابن عمر (ض) .

صلى الله عليه وسلم : «(١)من حفظ لسانه وسمعه وبصره يوم عرفة ، غفر له من عرفة إلى عرفة » .

واذكر ربك فيه كثيراً ، وأكثر فيه من الدعاء بما تحب ، والجأ إليه مستجيراً ، فهو جار المستجيرين ، وإليه فتضرع ، فهو يحب المتضرعين ، وأكثر من الدعوة الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ، واسأل الله للإسلام عزاً ، وللمسلمين نصراً وتوفيقاً .

وحقق عند دعائك ، فى نفسك — ما طلب من شعيب عليه السلام ، إذ أوحى الله إليه : « هب لى من رقبتك الخضوع ، ومن قلبك الخشوع ، ومن عينك الدموع ، وادعنى فإنى قريب » . قال رسول الله ﷺ : « خير الدعاء — دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت : أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » : رواه الترمذى والطبرانى عن على . وابن عمر رضى الله عنهم .

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن الفضل (ض) .

الحث على الوفاء بالمعاهدة بين العبد وبين ربه
كسباً لمزايا يوم عرفة

الحمد لله : بيده الخير والشر ، والنفع والضر ، وقال : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : يمتحننا فى الحياة بالخير والشر ، فكما يمتحننا بالعسر ، والنجاح فيه لمن صبر — يمتحننا باليسر والنجاح فيه لمن شكر : قال تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من عرف الله ، وذكر بأيام خيره التى فيها كسب رضاه ، وقد قال : «(١) ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين أطاعوا ربهم على الدوام ، فأفلحوا .

---

(١) رواه مسلم والنسائى . وابن ماجه : عن عائشة : رضى الله عنها ؛ وفى آخره : «وإنه أى الله تبارك وتعالى — ليدنو — أى يقرب إلى عبيده : برحمته . ومغفرته . وفضله — ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ؟» أى من إقبالهم بالطاعة إليه تعالى : أكثر من دنوه تعالى إليهم ، وهو غاية الغايات وزاد رزين فى جامعه : فى هذا الحديث: «اشهدوا ملائكتى أنى قد غفرت لهم» .

أما بعد :

فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — ثابت بن قيس رضى الله عنه ، وكان من عادته — أن يرفع صوته فى حديثه : مع غيره : لصمم أذنيه فكان يرفع صوته مع النبى صلى الله عليه وسلم : جريا على عادته ، لا لإساءة أدب منه له ، فنزل قوله : تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) ، فاعتكف عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فافتقده ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علم تخلفه عن مجلسك ، فأتاه الرجل ، فوجده جالساً فى بيته : منكساً رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ قال ثابت : شر : كان يرفع صوته فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد حبط عمله ، وبطل ثوابه ، وهو من أهـــل النار ، فأتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بمـا قال ثابت ، فقال : صلى الله عليه وسلم : اذهب إليه ، فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكن من أهل الجنة ، فبشره الرجل بهذه البشارة العظيمة .

وهكذا — يا قوم — ليس الخير والشر — فى الحقيقة — بناء على تقديرنا وحكمنا : وفق شعورنا وإحساسنا الطبيعى ، بل الخير ما كان به رضا الله ، والشر ما أسخطه . وأغضبه : جل علاه .

فالمـال : فى يد الشاكر لربه : خير ، وفى يد البخيل أو الذى يعصى الله به : شر ، وليس شرا فقر الصابر العابد لربه ، القائل : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) .

ولنلتفت لصورة المعاهدة بين العبد وبين ربه ، التى يحوز بهـا العبد ،

الذى يوفى بها الخير كله ، ويوقى الشر كله : روى(١) أن الله تعالى — أوحى إلى آدم عليه السلام : « جماع الخير كله : فى أربع : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين الناس : فأما التى لى : فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً ، وأما التى لك — فاعمل ماشئت : فإنى أجزيك به ، وأما التى بينى وبينك — فعليك الدعاء ، وعلى(٢) الإجابة ، وأما التى بينك وبين الناس فكن لهم : كما تحب أن يكونوا لك » .

(١) ذكر ذلك الإمام الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك ، وروى أبو نعيم ، وأبو يعلى الموصلى — عن أنس : رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : يقول الله : عز وجل : « أربع خصال : واحدة فيما بينى وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادى ، وواحدة لى ، وواحدة لك ، فأما التى لى : فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً ، وأما التى لك : فما عملت : من خير جزيتك به ، وأما التى بينى وبينك — فمنك الدعاء ، وعلى الإجابة ، وأما التى بينك وبين عبادى : ترضى لهم ما ترضى لنفسك » والعبادة : هى غاية التذلل ، والخضوع : لمن يعتقد العابد : باختياره — له — أوصاف الربوبية ، وهو من له غاية الأفضال ، وهو الله تعالى ، الكبير المتعال ، القائل : (يأيها الناس اعبدوا ربكم) وقد قال : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) ومعنى الخصلة الثانية فى هذا اللفظ : أن الله تعالى يجزى العبد على ما عمل : من الخير ، وأما ما عمل من الشر فأمره موكول إلى ربه : إن شاء حاسبه عليه وعاقبه عدلا ، وإن شاء غفر له وسامحه فضلا . فما أحلم ربى وما أرأفه بعبده المذنب .

(٢) فدعاء المسلم — لا يهمل ، بل يعطى المسلم سؤله : بفضل الله : عز وجل : بإحدى الثلاث المذكورة : فى حديث بيان الإجابة : « ما من مسلم يدعو الله .

لتتدبر هذه الخصال ، أو المواد الأربعة لخير معاهدة : إذ هي مع الله (والله هو الغني الحميد) . (والله غالب على أمره) . (ومن أوفى بعهده من الله) .

فأولاها : هو عبادة النـــاس لله وحده ، وعدم إشراك شيء به : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

وليسمع أهل الرياء ، وهو الشرك الخفي ، فهو أخفى من دبيب النمل ، وهو قصد الشخص بفعل الخير رؤية الناس له ، ومدحهم إياه ، ولذلك — لا يقصد فعل الخير سراً . قال ﷺ : «(١) من صام يرائي فقد أشرك ، ومن صلى يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك» . وقال صلوات الله وسلامه عليه «(٢)من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأساءها حيث يخلو ـ فتلك استهانة : استهان بها ربه تبارك وتعالى» .

وفي الحديث القدسي — قال تعالى : «(٣) أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برىء وهو الذي أشرك(٤)» .

أي فهو عمل باطل ولا خير فيه ، فلا يملك الشريك شيئاً ، والأمر كله في الدنيا والآخرة لله وحده : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) .

---

(١) رواه البيهقي عن شداد بن أوس (ض) .

(٢) رواه عبد الرزاق وأبو يعلى عن ابن مسعود (ض) .

(٣) رواه ابن ماجه عن أبي هريرة (ض) عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل .

(٤) أي أشركه : أو هو بضم الهمزة بالبناء للمفعول .

والخصلة أو المادة الثانية فى المعاهدة الإلهية : هى أن العادل فى جزائه جل شأنه — يجزيك ياعبدالله — بعملك الذى اخترته : إن خيراً فخير وإن شراً فشر . قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

ومن عمل الخير — صيام يوم عرفة لغير الحاج . قال ﷺ : «(١) من صام يوم عرفة غفر له ذنب سنتين متتابعتين » . وقال الشافعى : فأما الحاج فأحب إلى أن يفطر لتقويته على الدعاء ، ولذلك - رسول الله صلى الله عليه وسلم : «(٢) نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » .

وقال أحمد بن حنبل : إن قدر على أن يصوم — صام ، وإن أفطر — فذلك يوم يحتاج فيه إلى القوة .

وقال صلى الله عليه وسلم : «(٣) من حفظ لسانه وسمعه وبصره : يوم عرفة - غفر له من عرفة إلى عرفة » .

ويا عبد الله :

ثالث مواد المعاهدة : بينك وبين الله : أن تدعوه تعالى وأنت تقى طاهر موقن بالإجابة ، فيستجيب لك : (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) وقال صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطعية رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن

---

(١) رواه أبو يعلى عن سهل بن سعد (ض) :

(٢) رواه أبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه عن أبى هريرة (ض) والطبرانى فى الأوسط عن عائشة (ض) .

(٣) رواه البيهقى عن الفضل بن عباس رضى الله عنهما .

يدخرها له في الآخرة . وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها(١) » .

ويوم عرفة : حيث تجلى الله تعالى على العباد بالرحمة والمغفرة هو وقت للدعاء عظيم . قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) خير الدعاء يوم عرفة » ، وقال : «(٣) خير الدعاء الاستغفار » .

وأما رابع خصال الخير ، أو المادة الرابعة للمعاهدة بينك وبين الله : فيأيها المسلم اليقظ : هي التي بينك وبين الناس بأن تكون لهم كما تحب أن يكونوا لك ، فتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به ، وأن تحسن خلقك معهم كما تحب ذلك منهم ، وأن تتخذ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة في حجة الوداع - دستوراً لك ، وقانوناً تسير عليه ، والمنهاج الذي لا تحيد عنه ، تلك الخطبة الجامعة ، التي ضمنها نبي الرحمة ، رسولنا صلى الله عليه وسلم — جماع النصح النافع ، ودواء النفوس الناجع . ولذلك نزل في يومها قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

في تلك الخطبة — أعلن صلى الله عليه وسلم أن المسلمين نواب عنه في تحمل رسالة الإسلام . قال : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » : كما أعلن صلى الله عليه وسلم حقوق الحرية والإخاء والمساواة ، وقال : « كلكم لآدم

---

(١) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم عن أبي سعيد الخدري (ض) وفي آخره « قالوا إذاً نكثر ، قال : الله أكثر » أي فضله تعالى أكثر .

(٢) رواه الترمذي عن ابن عمرو (ض) وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

(٣) رواه الحاكم في تاريخه عن علي (ض) .

وآدم من تراب» : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ودعا : صلى الله عليه وسلم إلى المحافظة على النفس والمال . والعرض ، وأكد حرمه الربا والخيانة والظلم ، وأكل المال بالباطل ، وأوصى بالنساء خيرا ، وحث الأزواج على المحافظة على الحقوق بينهم ، وأيقظ النفوس : للسلامة من مداخل الشيطان ، ولفت إلى إحسان العمل : بصورة توجب الانتباه ، فقال : «وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم» ، ثم أرشد إلى الاستمساك بجامعى البيان ، الهاديين إلى كل خير ، العاصمين من كل شر ، المقيمين لخير بجتمع صالح ، فقال : صلى الله عليه وسلم : «وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به — فلن تضلوا أبداً : أمراً بيناً : كتاب الله ، وسنة نبيه» .

أيها المسلمون ، ويأيها الحريصون على الخير : فى دنياكم وآخرتكم :

اتقوا الله ، وأوفوا بالمعاهدة بينكم وبينه تعالى ، واعلموا أنه يعلم السر وأخفى ، وأن عطاءه وافر : لمن أوفى بعهده «ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه الله أجراً عظيما» ، فأخلصوا له : تعالى العمل ، ولا تقصدوا بصالحاتكم غير رضاه : لتدوم لكم ، وتعمر بها أوقاتكم ، وصوموا يوم عرفة صوماً كاملا ، فلا يراكم الله حيث نهاكم ، ولا يفقدكم حيث أمركم ، وليستعن على ذلك من استطاع الاعتكاف فى المسجد ، وفى ذلك اليوم استغفروا الله ما استطعتم ، وتوبوا إلى ربكم ، وصلوا صلاة التوبة ، وهى ركعتان : بنية التوبة ، وسلوه تعالى : لخير دنياكم وآخرتكم ، وصلوا صلاة الحاجة : لأنفسكم : ولنصرة أوطانكم والمسلمين جميعاً ، وليجعل كل منا نفسه ميزاناً فيما بينه وبين غيره ، فليحب لغيره ما يحب لنفسه وليكره له ما يكره لنفسه : بذلك — يا عبد الله ننال الخير ، ونوقى الشر ، ونعيش سعداء أحياء ، ونفوز بخير الجزاء يوم اللقاء : (يوم تجد كل نفس ما عملت

من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم عرفة لم يبق أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له : قيل له : ألأهل عرفة خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : بل للناس عامة » : أى إذا كانوا متشبهين بأهل عرفة فى الاستقامة ، والسعى إلى إرضاء الله تعالى : بفعل الخيرات رواه الحافظ ابن رجب فى لطائف المعارف : من طريق نقيع أبى داود : عن ابن عمر : رضى الله عنهما .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من رجل يذنب ذنبا ، ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له . ثم قرأ هذه الآية : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) » . رواه الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه والبيهقى عن أبى بكر رضى الله عنه .

وقال ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة أو إلى واحد من بنى آدم — فليتوضأ وليحسن الوضوء ، وليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله ، وليصل على النبى ﷺ : ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم . سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين : أسألك موجبات(١) رحمتك ،

(١) أى أفعالا وخصالا أو كلمات تتسبب لرحمتك ، وتقتضيها بوعدك فإنه لا يجوز التخلف فيه ، وإلا فالحق سبحانه لا يجب عليه شىء .

وعزائم(١) مغفرتك ، والغنيمة من كل بر(٢) والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنبا إلا غفرته يا أرحم الراحمين ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » : رواه الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما ، ورواه ابن ماجه ، وزاد بعد قوله : « يا أرحم الراحمين » « ثم يسأل من أمر الدنيا والآخرة ما شاء ، فإنه يقدر » .

(١) أي موجباتها : جمع عزيمة : قيل أي خصالا تتعزم وتتأكد بها مغفرتك .

(٢) أي من كل خير .

الحث على الاستعداد لسؤال الله تعالى يوم القيامة

بتوديع العام الماضى واستقبال العام الجديد بطاعة الله

الحمد لله ، القائم على كل نفس بما كسبت ، ويجازيها بما فعلت وقال : (من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) .

وأشهد أن لا إله إلا الله يحصى أعمال عباده فى دنياه ، ويسألهم عن قليلها وكثيرها فى أخراه ، وقال : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من أمضى عمره فى طاعة الله ونية الإستعداد ليوم الحساب . وسؤال الله فقال : « (١) ما منكم أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، ولو بكلمة طيبة » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين لم تشغلهم دنياهم عن أخراهم ، ولا حاضرهم عن مستقبلهم ، بل كانوا كما قالوا : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

أما بعد :

فيا من يودعون عاماً ، ويستقبلون آخر : استيقظوا لتحسنوا وداع الماضى ، واستقبال الحاضر ، وتجدوهما شاهدين لكم بإحسان الأعمال وإرضاء الله ، لا عليكم بإساءة الأعمال وإغضاب الله : (يوم تبلى السرائر) وتظهر مخبوءات القلوب من نيات وعقائد ، وتنكشف الضمائر ، وترفع الستائر ، وجاء الذنب مكشوف الغطاء : (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

اسمعوا ، وعوا ، وانتفعوا :

« خرج رسول الله ﷺ على أصحابه : أجمع ما كانوا ، فقال : إنى رأيت الليلة منازلكم فى الجنة ، وقرب منازلكم ، ثم قال لأبى بكر : إنى لأعرف رجلا : أعرف اسمه ، واسم أبيه وأمه : لا يأتى باباً من أبواب الجنة إلا قالوا : مرحباً . مرحباً . فقال سلمان : إن هذا لمرتفع شأنه . فمن هو ؟ قال : فهو أبو بكر ، ثم أقبل على عمر ، فقال : ياعمر . لقد رأيت فى الجنة قصراً من درة بيضاء : لؤلؤ أبيض ، مشيد بالياقوت ، فقلت: لمن هذا ؟ فقيل : لفتى من قريش ، فظننت أنه لى ، فذهبت لأدخله ، فقيل : يا محمد : هذا لعمر بن الخطاب . فما منعنى من دخوله إلا غيرتك يا أبا حفص فبكى عمر ، وقال : بأبى أنت وأمى عليك أغار يا رسول الله ؟ ثم أقبل على عثمان ، فقال : يا عثمان إن لكل نبى رفيقاً فى الجنة ، وأنت رفيقى فى الجنة ، ثم أخذ بيد على ، فقال : يا على . أو ما ترضى أن يكون منزلك فى الجنة مقابل منزلى ، ثم أقبل على طلحة والزبير ، فقال لهما : إن لكل نبى[1] حوارياً

---

(١) ناصراً .

وأنتما حواريى ، ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف ، فقال : لقد بطأ بك غناك من بين أصحابى حتى خشيت أن تكون هلكت وعرقت عرقاً شديداً فقلت : ما بطأ بك ؟ فقلت : من كثرة مالى ـ ما زلت موقوفاً محاسباً أسأل عن مالى : من أين اكتسبته ، وفيم أنفقته ؟ فبكى عبد الرحمن ، وقال : هذه مائة راحلة جاءتنى الليلة من تجارة مصر ، فإنى أشهدك أنها على فقراء أهل المدينة وأيتامهم ، لعل الله يخفف عنى اليوم » .

ألا لنتنبه يا قوم : فنعمل اليوم ليوم ـ عن السؤال ما يكون به جوابنا الصدق مرضياً لله الحق .

فوالله . إن سؤال الله لعباده ـ جد لا هزل . قال تعالى : (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) .

وإن أحدنا إذا حدد له ميقات يوم معلوم ، ليقف أمام حاكم يسأله عن شىء أو يحاسبه عليه ـ فكر طويلا فى هذا الأمر : كيف يقابله ؟ وماهى الأسئلة التى سيسألها ، وكيف يجيب عليها بما فيه خير له وهل يوفق أو يخذل وربما استشار أهل الذكر والمعرفة بمثل موقفه ، وأعد للموقف عدته : ليخلص من همه ، الذى أزعجه ، وأسهر ليله وشغل نهاره ، وأقبل إلى الله متضرعاً ، لينصره : (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

هذا حال العبد فى موقفه للسؤال بين يدى مخلوق مثله ، قد تنطلى عليه الحيلة ، ويجوز عليه الغش والخداع ، ويفيد معه الجدل والمراء .

فكيف يكون تقدير موقفه للسؤال بين يدى من يعلم الغيب والشهادة (يعلم السر وأخفى) (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) ، مذل الجبابرة ومهلك القياصرة ، ملك الملوك ، وسيد كل مالك ومملوك ، العزيز الجبار ،

الواحد القهار ، القوى المتين ، أحكم الحاكمين ، الذى أحصى جميع أعمال العباد ، وسجل عمل كل عبد فى كتاب ، ويقول له يوم سؤاله : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) ، فيقرؤه خائفاً وجلا ، فيجده لكل ما قدم حافلا : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) .

وحينئذ يسأل الله العبد عما قدمت يداه : ليتجلى عدل الله وفضله عليه باعترافه وإقراره بلا أدنى اشتباه : كما وصف نفسه ، فقال : (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) .

ومما يسأل عنه العبد أربع خصال : ائتمنه عليها فى دنياه ، فمن قام فيها بما يجب — كان حافظاً لجميع الأمانات التى طلب منه حفظها ، وسيسأل تفصيلا عن كل أمانة منها ولا يحصيها إلا هو سبحانه ، ومن لم يقم فيها بما يجب — كان مضيعاً لكل ما اؤتمن عليه ، وان يغادر الموقف بين يديه تعالى إلى الجنة أو إلى النار ، حتى يسأل عن هذه الخصال الأربع ، أو تلك الأمانات : فمن كان قد حفظها من الضياع — فاز وكانت الجنة مأواه ، وإلا خاب وخسر ، وكانت النار مثواه . قال رسولنا ﷺ «(١) لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟» . هل عمل بما علم فأفلح أو لم يعمل بما علم وتعدى حدود الله

---

(١) رواه البزار والطبرانى عن معاذ بن جبل (ض) .

(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) .

فاعلم يا عبد الله — أن جزاء تضييع هذه الأمانات أو تبديدها — ليس ردها إلى أهلها ، ولا الحبس أياماً معدودة فى سجن فيه المستساغ من الطعام والشراب ، وإنما الجزاء - سجن جهنم ، الذى طعامه الضريع والزقوم وشرابه الغساق والحميم ، وسجانوه : (ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

والمقصود جو سجن جهنم بقوله ﷺ : «(١)لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ، ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » .

فالمؤمن ليق نفسه سجن جهنم الذى لا يطاق — لا يدع لحظة من عمره تمضى فى غير ما يرضى الله لخير دنياه وأخراه ، وهو منتبه لذلك النصح .

دقات قلب المــــرء قائلة له	إن الحيـــاة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها	فالذكــر للإنسان عمر ثان

ومن دعاء إبراهيم عليه السلام — قوله المحكى فى القرآن (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ذكراً حسناً ، وقد استجاب الله له ، وأعلن أن كل من أحسن العمل — يمنحه الله ذلك الذكر الحسن ، الذى ينفعه فى حياته وبعد وفاته : يثمر الدعاء بالخير لصاحبه والاقتداء به ، فيكون له مثل أجره من به اقتدى . قال تعالى : (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين) .

فبالذكر الحسن - يطول العمر - مهما قصر ، والأعمار لا يقاس طولها

---

(١) رواه البزار عن أبى هريرة (ض) .

بكثرة الأيام والليال ، بل بجلائل الأعمال ، التى ترضى الكبير المتعال ، ولذلك قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : « (١) خير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله » .

والشباب من العمر : هو مدة القوة فيه ، والقدرة على الطاعة والعمل والكسب والإنتاج .

فالمؤمن الحريص على السلامة من سجن جهنم — لا يضيع شبابه فى الملاهى وغير مفيد ، ولا يبدده فى ارتكاب المحرمات ، وإغضاب الله ذى البطش الشديد ، بل يمضيه فى الجد فى طاعته تعالى ، وكل عمل حميد كصيام الأيام البيض ، ويومى الاثنين والخميس ، ويمتثل قوله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء(٢)» أى وقاية من غائلة الشهوة . وبذلك يكون الشاب الذى نشأ فى عبادة ربه ، ولا صبوة له ، ولا ميل إلى الفسق ، وأثنى عليه رسولنا بقوله : « يعجب ربك من الشاب الذى لا صبوة له » ، وأثر عجبه تعالى - إكرامه لمن عجب منه ، وقد بشره ﷺ برعاية الله ، وإظلاله بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

وحسب ذلك الشاب - أن يكتب له فى شيخوخته — مثل ما كان(٣) يعمل من الخير فى صحته .

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن أبى بكرة (ض) .

(٢) رواه البخارى ، ومسلم : عن ابن مسعود (ض) .

(٣) روى الترمذى عن عثمان بن عفان (ض) عن رسول الله ﷺ قال قال الله تبارك وتعالى : «إذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث: من الجنون والجذام والبرص . وإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً =

وقد جعل الله المال لتدبير شئون الحياة، وقضاء حاجتها، ووضع لكسبه وإنفاقه نظاماً : من خالفه — كان عاصياً، مرتكباً للحرام، مسخطاً لله فى دنياه، مستحقاً لسجن جهنم فى عقباه .

لذلك - لا يكسب المؤمن المال من الحرام، ويحذر إنفاقه فى الحرام: مشروباً أو مأكولا، أو ملبوساً، أو شهوة، وينفقه فى سبيل الله : لخير الفرد والجماعة، متبعاً لقوله تعالى : (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) .

والعلم فضيلة - قال تعالى : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)، وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(١) طلب العلم فريضة على كل مسلم» .

فعلى كل مسلم وكذلك على كل مسلمة - يجب تعلم العلم الدينى، الذى بالعمل به - تحسن العلاقة بالخلق والخالق، وتصلح الأحوال، ويحسن المآل ومن لم يعمل بما علم منه - حرم تلك الآثار .

وهل انتبه لذلك من يسمع المواعظ، فلم يعمل بها، ولم يتعظ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال : «أيما عبد جاءته موعظة من الله فى

= وإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الإنابة وإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة . وإذا بلغ ثمانين كتبت حسناته وألقيت سيئاته وإذا بلغ تسعين قالت الملائكة أسير الله فى أرضه فغفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فإذا بلغ أرذل العمر كتب الله له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير وإن عمل سيئة لم تكتب» .

(١) رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب عن أنس (ض) .

دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه ، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه : ليزداد بها إثماً ، ويزداد الله عليه بها سخطاً) ، وقال ﷺ : « (١) من ازداد علماً ولم يزدد فى الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً » .

فيأيها المسلم :

اتق الله وتصور أنك فارقت الحياة ، وأن القيامة قد قامت ، وأنك أمام الله ، الذى هو أكبر من أن يقاس به سواه : يسألك عن عمرك : فيم أفنيته ؟ وعن شبابك فيم أبليته ؟ وعن مالك من أين اكتسبته ، وفيم أنفقته ؟ وعن عملك ماذا عملت فيه ، فتأمل أجوبتك حينئذ عن هذه الأسئلة من عملك : فى الحياة ، فإن كان صالحاً — فاحمد الله ، واستمر على صلاحك ، وازدد طاعة لمن بيده أمرك ، وسله تعالى توفيقاً على الدوام ، وإن كان سيئاً — فتب إليه تعالى من فورك : من قبل أن يفجأك أجلك ، فتبعد عن أملك ، واستحى من محاسبك « من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » .

أيها المسلمون :

للسلامة يوم السؤال — صامت امرأة ستين سنة ، تقول فى كل ليلة لعل أجلى يأتينى اليوم فألقى الله وأنا صائمة ، فإذا كان اليوم التالى حدثت نفسها مثل ذلك ، حتى أتمت ستين سنة ، وماتت وهى صائمة .

فاتقوا الله ، وجدوا فى طاعة الله ، ولا تشغلكم الدنيا عن الآخرة ، واستعدوا لسؤاله تعالى يوم لقائه بما يرضيه — تفوزوا بجنته ، وتنجوا من ناره ، وودعوا عامكم المنصرم ، مستقبلين العام الجديد بالتوبة ، ونصب

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن على (ض) .

أعينكم قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) .

قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة ـ دعا الله تعالى بعبد من عبيده ، فيقف بين يديه ، فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله » رواه الخطيب فى التاريخ عن ابن عمر (رض) .

١ – ذكرى الهجرة

الحمد لله : لا يحب إلا المؤمنين ، وقد كتب لهم النصر المبين ، وقال : جل شأنه : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : لا يذل من والاه ، ولا يعز من عاداه ، واتبع هواه ، وقال : «(١) من رجا غيرى – لم يعرفنى ، ومن لم يعرفنى لم يعبدنى . ومن لم يعبدنى فقد استوجب سخطى ، ومن خاف غيرى – حلت به نقمتى) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : خير من هاجر لله ، وهجر ما يسخطه جل علاه ، وأحسن معاملة خلق الله ، فنصره الله بذلك ، وصبره ، وثباته وتوكله على ربه ، وقال : «(١) حسبى الله ونعم الوكيل : أمان لكل خائف » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الذين هجروا الرذائل وتحلوا بالفضائل ، فأفلحوا ، وفازوا .

أما بعد :

فعلى توالى السنين – تتجدد ذكرى هجرة رسولنا من مكة المكرمة : إلى المدينة المنورة : تلك الذكرى الماثلة أمامنا : فى التاريخ : إذا حررنا خطاباً ، أو سطرنا كتاباً .

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن شداد بن أوس (ض) .

وتجدد تلك الذكرى : عند رأس كل سنة هجرية : بالاحتفالات ، والخطب ، وتحرير المقالات ونظم الأشعار ، والتغنى بأمجاد المهاجر — يجب أن يكون إيقاظاً لتجدد تلك الذكرى : فى معاملتنا للخلق والخالق ، وفى سيرنا وسلوكنا : فى الحياة حتى نكتب فى المهاجرين الذين قال فيهم رب العالمين : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) .

وإن ذلك التجدد الأبعد أثراً ، الذى يجعل العمل أعظم أجراً - يجعل كلامنا - المهاجر الذى بينه : ﷺ بقوله : « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

إن المهاجر الأول ﷺ - آمن بربه ، وبتعاليم دينه - إيماناً هون عليه فراق وطنه ، وكل مشقة فى سبيل نشر هذه التعاليم .

وكذلك الإيمان - يا قوم - هو الذى جعل صحابته - يفتدون عقيدتهم : بالنفس ، والأهل . والولد والمال ، فهاجروا - مع قائدهم الأعلى ، سيد ولد آدم ، رسولنا محمد ﷺ : ليكونوا حوله ، وخلفه فى الجهاد فى الله ونشر تعاليم الإسلام ، نور الحياة وسرها : (ذلك الدين القيم) ، (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

ويا قوم :

بالإيمان - ترك أولئك الأصحاب وطنهم العزيز عليهم : التزاماً لمصاحبة الأعز عليهم . المؤمن الأول صلى الله عليه وسلم ، الذى بالإيمان وصل هو

وصاحبه أبو بكر - إلى المدينة بسلام ، بعناية الله ذى الجلال والإكرام .

ذلك الإيمان ، الذى أشرقت به نفوس الصحابة ؛ مستمد النور من ضوء شمس الإيمان المحمدى هو الذى به - تمت الهجرة بنجاح ، وانتشرت أنوار الإسلام فى الآفاق ، وهو روح الهجرة القلبية ، وهى انتقال القلوب من اتباع الشيطان والنفس . والهوى : إلى الإخلاص لله : فى طاعته : تعالى ، وقد أشار إليها الرسول ﷺ - بالجهاد والنية فى قوله : «(١) لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» ، فلولا أن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة - كانت مبنية على هجرة القلوب ، مقصوداً بها وجه الله ورضاه - لما نظر الله إليها ، ولا زكاها ، ولا أنجح أصحابها ، ولا حكم لها بالفلاح .

ولذلك - لم يقبل هجرة من هاجروا : للدنيا وأغراضها ، ومتاعها القليل الفانى : كمهاجر أم قيس ، الذى أراد بهجرته - أن يتزوجها ، وفيه وفى أمثاله - أعلن ﷺ : عدم المبالاة بهم ، وحرمانهم من الثواب فقال : «(٢) إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله(٣) ورسوله - فهجرته(٤) إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» ، أى لا ثواب له عند ربه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عائشة (رض) .
(٢) رواه البخارى ومسلم عن عمر (رض) .
(٣) أى لله ورسوله : قصداً .
(٤) أى جزاءاً وأجراً .

فكم من أمثال فينا لمهاجر أم قيس : وقانا الله حالهم : يصلون كثيراً ويتصدقون ، ويصومون . ويتظاهرون بفعل الخير : ليقول الناس فعلوا لا يريدون وجه الله . وإنما يريدون الجاه عند الناس : طمعاً فيما عندهم وفى أعراض الدنيا الزائلة . التى يرون أنها تنال بتقديرهم . والله تعالى يقول : (قل متاع الدنيا قليل) .

فالهجرة القلبية ، وهى الهجرة التى يجب أن يقوم بها على الدوام كل مسلم : هى الهجرة الباقية إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها ، وهى الهجرة التى يجب أن تتجدد بها ذكرى الهجرة ، حتى نكون أطهاراً فى معاشرتنا : كراماً فى معاملتنا . أعزاء فى أوطاننا . أتقياء لربنا .

ومن هاجر تلك الهجرة القلبية ، ونوى بقلبه وجه ربه فى تصرفاته ـ كان رفيقاً بالإنسان والحيوان ، وصبغ شعر رأسه ولحيته : بغير السواد ، ونصب عينه قوله ﷺ : «(١)غيروا الشيب ، ولا تشبهوا باليهود» : أى بتغيير الشعر الأبيض بصفرة أو حمرة لقوله ﷺ : «(٢)غيروا الشيب ولا تقربوه السواد» .

ومن هاجر : بقلبه إلى ربه ـ لا يجهض : الهوى ـ حاملا ، وبخاصة : بعد نفخ الروح فى الجنين : اجتناباً لما حرم الله تعالى .

ومن هاجر كذلك ـ لا يستعمل ذهباً فى غير التحلى للنساء ، ولا فضة فى غير حلية النساء . وفى غير الخاتم للرجال والنساء ، ولا يلعب قماراً ، ولا يتعاطى مخدراً ، ولا يلعن إنساناً ولا حيواناً : وهو معتبر بقوله صلى الله عليه وسلم : «(٣) إن العبد إذا لعن شيئاً ـ صعدت اللعنة إلى السماء .

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائى عن الزبير .
(٢) رواه الإمام أحمد : عن أنس (ض) .
(٣) رواه أبو داود عن أبى الدرداء (ض) .

فتغلق أبواب السماء دونها . ثم تهبط إلى الأرض . فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالا . فإذا لم تجد مساغاً(١) رجعت إلى الذى لعن . فإن كان أهلا لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها » .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وليهاجر كل مسلم بقلبه : بهجر الشهوات والمنكرات والإقبال إلى الطاعات ، وترك اتباع هواه ـ إلى عبادة مولاه جل علاه ، وليخل كل منا بنفسه . ليهاجر تلك الهجرة القلبية متسائلا : هل ذكر الموت . والوقوف بين يدى الله للحساب ، وهل أعد الجواب النافع : لسؤاله عن أداء الصلوات كاملة فى أوقاتها ، وهل قضى ما فاته منها ، فدين الله أحق بالقضاء ، وهل أدى زكاة ماله ، وزكاة جاهه ، وهل أعان بشفاعته ـ الضعيف والمظلوم ، وهل نفس عن مؤمن كربة ، أو يسر على معسر ، وهل ستر مسلماً ؛ وهل كف عن غيبته واجتنبوا ـ يا قوم ـ ابتغاء وجه الله تعالى ـ كل ما نهى الله عنه ؛ وافعلوا له تعالى ـ كل ما دعا سبحانه ـ إلى فعله ـ تكونوا مهاجرين حقاً لله ؛ ومجددين حقاً لذكرى هجرة رسول الله : (والله ذو فضل عظيم) .

الا إن زيادة الإيمان ، وهجرتنا القلبية إلى الديان ـ دليل اعتبارنا بالهجرة النبوية ، التى حمل عليها الإيمان بالله ، والحرص على رضاه .

وفى ذلك — تزكية نفوسنا وحسن حالنا ومآلنا ، والعدة القوية : لنصرنا على عدونا ، وكسب عزنا وسعدنا ، وحسن الجزاء فى دار السلام .

---

(١) مدخلا وطريقاً .

وهل كان مجد أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان الصوام ، وعلى الشجاع البطل المجاهد فى سبيل الله : إلا بزيادة الإيمان ، والهجرة القلبية إلى الله ، القوى العزيز .

ولقد سار على دربهم من بعدهم ، لحازوا المجد ، ولهم حسن المآب ، الذى أعده الله تعالى للمحسنين الأتقياء .

ومن سار على الدرب وصل ، فاتقوا الله ، وكونوا مثلهم (والله بصير بالعباد) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وابن حبان عن أبى هريرة (ض) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) رواه البخارى وأبو داود والنسائى عن ابن عمرو (ض) .

٢ – ذكرى الهجرة النبوية

الحمد لله : يحب من هاجر إليه ، فهجر المعاصى وداوم على طاعته ، وقد قال سبحانه : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : لا يعطى الخير ، ويصرف الشر - سواه ؛ وقد سعد وعز من والاه ، وشقى وذل من عاداه واتبع هواه ، وقال تعالى : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب بما نسوا يوم الحساب) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من هاجر فى سبيل الله ، ولم يعمل سوى ما يحبه الله ويرضاه ، فنصره جل علاه ، وقال : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، المهاجرين المجاهدين (وأولئك هم الفائزون) .

أما بعد : فيا عباد الله :

الذى خلقنا . فهدانا ، والذى يطعمنا ويسقينا ، والذى يكسونا . ويقينا الحر والبرد . ويمتعنا ، والذى يشفينا إذا مرضنا ، ونلجأ إليه لنصرنا ، والذى يميتنا ثم يحيينا ليحاسبنا . ويجزينا - هو الذى قصر المؤمنون قبلنا - أعمالهم على إرضائه : اتباعاً لإيمانهم به ، فوجدوا مشقة الطاعة راحة (كذلك يجزى الله المتقين) .

ولذلك - انطلق حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يتعرف أحوال

المشركين ، فى غزوة الخندق ، فى ليلة شديدة البرودة ، وهو يقول عن نفسه : كأنما أسير فى حمام . والحمام بدفء بحرارته ، إلا أن هذه الحرارة التى أحسها حذيفة — هى حرارة الايمان بالله تعالى : غمرته بدفئها ، وجعلته يسهر فى وسط الليل البارد لمصلحة الإسلام والمسلمين — كأنه سهم مسدد .

وكذلك — الإيمان — ياقوم — هو الذى جعل الصحابة — يفتدون عقيدتهم بالنفس . والأهل . والولد . والمال ، فيهاجرون من مكة إلى المدينة بعد أن افتن المشركون فى تعذيبهم ، وإيذائهم : (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) .

وسعياً إلى الهداية للايمان به تعالى : وحرصاً على سعادة الناس — به : صلى الله عليه وسلم ، وقد نظر إلى مكة حين خروجه ، متأثراً لفراق وطنه قائلا : « والله إنك لأحب أرض الله إلى . وإنك — لأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن أهلك — أخرجونى منك — ما خرجت » .

وإذ كان صلى الله عليه وسلم يرى دعاءه لربه — سلاحاً ماضياً ، لابد من التسليح به ، فى مواجهة الحياة للنصر والنجاح — قال حين خرج من مكة مهاجراً : ((١) الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئاً . اللهم اصحبنى فى سفرى ، واخلفنى فى أهلى ، وبارك لى فيما رزقتنى ، ولك فذللنى ، وعلى صالح خلقى فقومنى ، وإليك رب فحببنى ، وإلى الناس فلا تكلنى ، رب المستضعفين . وأنت ربى . أعوذ بوجهك الكريم ، الذى أشرقت له السموات والأرض وكشفت به الظلمات . وصلح عليه أمر الأولين والآخرين — أن تحل على غضبك ، وتنزل بى سخطك ، وأعوذ بك من زوال نعمتك . وفجأة نقمتك ،

(١) رواه أبو نعيم .

وتحول عافيتك . وجميع سخطك . لك العتبى(١) عندى : خير ما استطعت ولا حول . ولا قوة إلا بك) .

وما زال : صلى الله عليه وسلم — تلحظه العناية الإلهية ، حتى وصل هو . وصاحبه : أبو بكر — إلى المدينة — بسلام . ورد الله كيد قريش فى نحرها ، وأنزل قوله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

ولقد انتشر نور الإسلام ، الذى به — صلاح الدنيا والآخرة — من المدينة ، حيث استقر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير هاد - إلى الحياة الطيبة . وحسن العاقبة .

وأعلن ذلك . . فضل هجرته ، التى جعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه - مبدأ لتاريخ الإسلام : تؤرخ به السنوات العربية تذكيراً بها على الدوام .

وإذا كان - يا قوم - تذكر هذه الهجرة البدنية - حتماً : لعظم شأنها ، والاعتبار بعبرها — كان — حتماً — تذكر أساس نجاحها وفلاحها : ألا . وهو — الهجرة القلبية .

وما هى الهجرة القلبية ؟

هى — يا قوم — انتقال القلوب من اتباع الشيطان ، والنفس ، والهوى — إلى الإخلاص لله فى طاعته تعالى : فلولا أن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة — كانت مبنية على هجرة القلوب ، مقصوداً بها وجه الله ، ويبتغى بها رضاه — لما نظر الله إليها ، ولا زكاها ، ولا أنجح أصحابها ، وحكم لهم بالفلاح .

(١) الاسترضاء .

ولذلك — لم يقبل الله هجرة من هاجروا للدنيا. وأغراضها، ومتاعها القليل الفاني : كمهاجر أم قيس، الذى أراد بهجرته — أن يتزوجها .

وفيه، وفى أمثاله — أعلن صلى الله عليه وسلم — عدم المبالاة بهم، وحرمانهم من الثواب فقال : «(١) إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله - أى نية وقصداً لرضا الله ورسوله - فهجرته إلى الله ورسوله - أى جزاء وأجراً - ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأه ينكحها - أى يتزوجها - فهجرته إلى ما هاجر إليه - أى فلا ثواب له عند ربه ».

وبأيها المؤمنون بفتح مكة، فى السنة الثانية من الهجرة - انتهت فضيلة الهجرة البدنية : من مكة إلى المدينة، وبقيت فضيلة الهجرة الأساسية، الهجرة القلبية، التى أشار إليها الرسول بالجهاد والنية فى قوله «(٢) لا هجرة بعد الفتح. ولكن جهاد ونية»، وذكرها صلى الله عليه وسلم فى وصف المهاجر، إذ قال : «(٣) والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

فمن انتقل قلبه من ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن الغواية إلى الهداية، ومن الشر إلى الخير، ومن الجهل إلى الحلم - كان مهاجراً هجرة قلبية، وكان عمله صالحاً، ومعاملته حسنة، وخلقه كريماً .

فالهجرة القلبية، وهى الهجرة التى يجب أن يقوم بها - على الدوام

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن سيدنا عمر بن الخطاب : رضى الله عنه .

(٢) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عائشة رضى الله عنها .

(٣) جزء من حديث رواه البخارى وغيره ...

- كل مسلم - هى الهجرة الباقية إلى أن تقوم الساعة ، ويرث الله الأرض ومن عليها .

فليهاجر كل مسلم بقلبه ، ونفسه - من الشهوات إلى الطاعات ، ومن عبادة هواه إلى عبادة ربه ومولاه .

فهاجر — أيها المسلم — من الباطل إلى الحق ، ومن الفساد إلى الصلاح ، ومن الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن البخل إلى الجود ، ومن القسوة إلى الرحمة ، ومن الغش إلى النصح ، ومن الكذب إلى الصدق ، ومن الغدر إلى الوفاء ، ومن الملق إلى الصراحة ، ومن الذل إلى العز ، ومن الرياء والنفاق إلى الإخلاص لله ، ومن الإيذاء باللسان بالسباب والشتم . وشهادة الزور ، ونحو ذلك ، ومن الإيذاء باليد : بالسرقة ونحوها — إلى إلقاء السلام . والمصافحة . والإرشاد إلى الخير ، ونحو ذلك .

ومن هاجر كذلك — هجر ما حرم الله . فلم يشرب خمراً ، ولم يلعب قاراً ، ولم يلبس ذهباً ، ولو فتخة خطبة — أى ولو كان الذهب — دبلة خطوبة - إذ لم يحل التحلى بالذهب لغير النساء ، ولم يأكل أحد . ولم يشرب : ذكراً كان أو أنثى فى آنية الذهب والفضة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «(١) إن الذى يأكل أو يشرب فى إناء الذهب والفضة — إنما يجرجر(٢) فى بطنه — نار جهنم » .

والمعنى : كأنما تجرع نار جهنم .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أم سلمة رضى الله عنها ، وهذا اللفظ لمسلم .

(٢) الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرته إذا هاج ، فجعل =

أيها المسلم :

اتق الله ، وهاجر إلى الله ، فاهجر كل ما يغضب الله — إلى ما يحبه ويرضاه ، واهجر الشقاق . والخصام — إلى الوفاق . والوئام ، ولا تتبع ما لا علم لك به من قول . وفعل ، ولا تقل للناس . وفى الناس — ما لا علم لك به (ولا تقف (١) ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، وأنزل عليه : (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صـــدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) » . رواه الترمذى .

= صوت جرع الإنسان الماء فى هذه الأوانى المخصوصة . لوقوع النهى عنها . واستحقاق العقاب عليها . ذلك الصوت المشبه بالجرجرة — كجرجرة نار جهنم فى بطنه على طريق المجاز . والمعنى : كأنما تجرع نار جهنم .

(١) ولا تتبع .

١ – ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله : رفع ذكر رسولنا فى الدنيا والآخرة ، فليس خطيب . ولا متشهد . ولا صاحب صـــلاة إلا يشهد له : تعالى — بالألوهية ، وله ﷺ — بالرسالة ، وقال تعالى : (ورفعنا لك ذكرك) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : اختص نبينا بقدر لم ينله أحد من الأنبياء حتى قال سيد الملائكة ، جبريل عليه السلام «(١) قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم » .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير أمين بعث بخير دين ، وقال : «(٢) إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه الهداة .

أما بعد : فيا عباد الله :

قال معرض اليمامى رضى الله عنه : « حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، فدخلت داراً بمكة . فرأيته صلى الله عليه فيها . ووجهه مثل دارة البدر . ورأيت منه عجباً : جاء رجل من أهل اليمامة بغلام

---

(١) روى أبو نعيم . والطبرانى : عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم : عن جبريل عليه السلام : قال قلبت . . . الخ قال الحافظ ابن حجر : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن .

(٢) رواه البخارى فى التاريخ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

يوم ولد ، وقد لفه فى خرقة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام من أنا ؟ قال : أنت رسول الله . قال صدقت . بارك الله فيك ، ثم إن الغلام — لم يتكلم بعد ذلك . حتى شب ، فكنا نسميه مبارك اليمامة(١) » .

فكما أنطق(٢) الله عيسى وهو صبى . فأيده . وبرأ أمه — أنطق الله غلام اليمامة قبل أن يبلغ سن الكلام : تأييداً لرسولنا ، فشهد برسالته عليه الصلاة والسلام وبما أيد الله به رسولنا وقواه ، ونشر به فضله . ورفع ذكره وأعلاه — تبشير عيسى عليه السلام به صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) .

وليتنبه السامع لهذا النداء من عيسى لبنى إسرائيل : فقد قيد عليه السلام رسالته بالتبشير بقدوم رسولنا حبيب الله . ومصطفاه . وما يبشر إلا بالمهم ، الذى تعنى به النفوس وتهتم ، فتبشير عيسى برسولنا تعظيم له ، وتنويه بجاهه الكبير الذى دونه كل جاه ، وما فوقه إلا جاه مولاه جل علاه (رفيع الدرجات ذو العرش) .

وقد قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : «(٣) إن لى أسماء : أنا أحمد ،

---

(١) رواه البيهقى . والدارقطنى . والحاكم . والخطيب البغدادى : قال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى . قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق . فهو حديث حسن .

(٢) (قال إنى عبد الله آتانى الكتاب ...) الخ .

(٣) رواه البخارى .

وأنا محمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى » .

فلماذا يا قوم — اختار سيدنا عيسى عليه السلام فى ندائه .

من أسمائه صلى الله عليه وسلم — اسمه أحمد(١) الدال على أنه صلى الله عليه وسلم أكثر حمداً لله من سائر خلق الله ، وأنه يحمد بما فيه من الإخلاص . والأخلاق الحسنة أكثر مما يحمد سواه ؟

ذلك : لإعلان أن رسولنا صلى الله عليه وسلم — أحمد الحامدين ، وأعظم المحمودين . من الأنبياء والمرسلين . ولذلك — خص بلواء الحمد وبالمقام المحمود . قال تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) . قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) المقام المحمود الشفاعة » ، وقال صلى الله عليه وسلم : «(٣) أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ، ولا فخر ، وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » .

---

(١) قال المبرد وأبو على قوله : أحمد — يحتمل معنيين أحدهما : المبالغة فى الفاعل : يعنى أكثر حمداً لله تعالى من غيره من الأنبياء ، وثانيهما : المبالغة فى المفعول . يعنى أنه يحمد بما فيه من الإخلاص والأخلاق الحسنة أكثر مما يحمد غيره من الأنبياء . كذا ذكره الإمام الرازى .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان : عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، والترمذى ، وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

فهو ﷺ : ـ بإذن الله تعالى ـ صاحب الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ، والشفيع الأعظم لمؤمنى أمته : فى الخروج من النار ، ورفع الدرجات يوم القيامة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ـ لا يشفع لمن يجادل بالباطل ، الذى يمارى فى الحق بغير علم ، وبلا سلامة فهم : يجادل بالهوى ، فيؤلم ... ويضيع الأوقات بلا جدوى قال صلى الله عليه وسلم: «(١) ذروا المراء ، فإن الممارى ـ لا أشفع له يوم القيامة» .

وفى ذكرى عيسى فى مقام التبشير برسولنا – اسمه أحمد – إشارة إلى أن رسولنا – أحمد منه لله ، وأفضل فآمنة ، أم رسولنا – ولدت أفضل ممن ولدته مريم العذراء ، وفى ذلك – بعث على الاقتناع برسولنا عند قدومه ، والإيمان برسالته ، وقبول دعوته إلى الإسلام ، إذ انتهت رسالة عيسى عليه وعلى رسولنا صلاة الله تعالى وسلامه .

والله تعالى يقول : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

ومع هذا الحق المبين – ضلت عقول كثير من بنى إسرائيل ، وفى كل زمان فى القديم والحديث : أمام نور المبشر به ، سيد المرسلين .

وإذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقـــوله النصحاء

فيا قوم :

صدق البوصيرى إذ قال يخاطب رسولنا صلى الله عليه وسلم :

ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن جملة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وإن التبشير بقدومه صلى الله عليه وسلم - اهتمام به ، وعناية برسالته، وفى ذلك من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ، وتعظيم رسالته - ما فيه .

وها نحن هؤلاء ، أمة ذلك الرسول المبشر به خير الأنبياء ، والأمة المسلمة التى استجاب الله بها وبرسولها - دعوة خليله إبراهيم عليه السلام ، إذ سأله تعالى - أن يجعل من ذريته أمة مسلمة ، وأن يبعث فيهم رسولا منهم : بصفات ذكرها ، وحكاها الله عنه ، فقال : (يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) .

حقاً إن الانتساب إلى الأمة المسلمة . ورسولها الأكرم - شرف لا يدانيه شرف ، وقال ﷺ : «(١) الإسلام يعلو ولا يعلى عليه » .

ولكن الانتساب بلا عمل - دعوى بلا دليل .

والدعاوى بلا براهين يرى وجه أصحابها : بها المتصفونا

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين) .

ألم يكن فى المسلمين من يهون على نفسه المنكر ليأتيه : كمن يتعاطى الحشيش ويقول : إنه حلال ، وكمن تتبرج وتكشف عن عورتها التى أمر بسترها الكبير المتعال ، وقد شاع الكذب والخيانة ، وخلف الوعد والغش فى المعاملة ونحوها من سوء الخصال .

ومن هنا أصابتنا الهزيمة(٢) وانتكسنا ، ولما أصبحنا دولة علم وإيمان

---

(١) رواه الرويانى والدارقطنى فى السنن . والبيهقى فى سننه . والضياء عن عائذ بن عمرو (ض) .

(٢) هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ فى قتال اليهود للعرب .

- لاحت بشائر نصرنا (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

وأقوى وسائل النصر وأهمها ، ولا غناء عنها إقامة الدليل على أننا حقاً مسلمون ، ولرسولنا صلى الله عليه وسلم متبعون : باستمساكنا بصدق سراً وعلناً بتعاليم الإسلام فى سيرنا وسلوكنا ، فى المتجر والمصنع ، والمكتب والمزرع ، وفى المنزل وخارجه ، فلا يرانا الله حيث نهانا ، ولا يفقدنا حيث أمرنا .

بذلك يبدل الله هزيمتنا نصراً ، ونكسنا استواءاً واستقامة بعزة وحسن حال .

فلا ينفعنا عند الموعظة مص الشفاه ، ولا التظاهر بالاستقامة مع اعوجاج السير ، ولا إظهار السخط والألم عند ذكر السيئات : من غير تغيير لها (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وأحيوا ذكر مولد نبيكم بالاستمساك بتعاليم دينه ، والاقتداء بسننه القويمة ، وأخلاقه الكريمة : لتجاهدوا أعداءكم ، وتطهروا أنفسكم من كل ما يغضب الله ، وتقووا أرواحكم بكل ما يرضى الله : من صوم ، وصلاة ، وتعاون على الخير ، وما إلى ذلك من صالحات - ينصركم الله ، ويشفعه صلى الله عليه وسلم فيكم (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) .

قال رسول الله ﷺ (أنا دعوة إبراهيم . وكان آخر من بشر بى عيسى بن مريم) رواه ابن عساكر عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

٢ - ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله : عطر الأزمان بذكرى حبيبه ومصطفاه : من بشر به جده السابع كعب فقال : « سيأتى لحرمكم نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم » .

وأشهد أن لا إله إلا الله : يزيد الإيمان قوة ورسوخاً بالاقتداء برسوله ، خير قدوة . أخرجت للناس : لسعادة الدنيا والآخرة . وقال تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير صدوق أمين ، بعث بالإسلام خير دين . وقال: «(١) بعثت بالحنيفية . ومن خالف سنتى فليس منى » ، وقد أثنى عليه مولاه بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله . وصحبه ، ومن به اقتدى .

أما بعد : فيا عباد الله :

من أصحاب رسول الله ﷺ : - عبد الله بن أبى الحمساء رضى الله عنه قال : بايعت النبى ﷺ ببيع ، قبل أن يبعث ، فبقيت له بقية ووعدته أن آتيه بها فى مكان ، فنسيت ثم تذكرت ذلك بعد ثلاث فجئت ، فإذا هو مكانه ، فقال : يافتى : لقد شققت على . أنا هنا منذ ثلاث - أنتظرك ووعد ﷺ صاحبه أبا الهيثم رضى الله عنه خادماً فأتى بثلاثة من السبى(٢)

---

(١) رواه الخطيب فى التاريخ عن جابر (ض) .
(٢) الأسير .

فأعطى اثنين ، وبقى واحد ، فأتت فاطمة رضى الله عنها : تطلب منه خادماً وتقول : ألا ترى أثر الرحى بيدى ؟ فذكر موعده لأبى الهيثم ، فآثره على فاطمة : لما سبق من موعده له . مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفياً بعهد الناس : قبل البعثة وبعدها : كما كان وفياً لعهد ربه . ولهذا كانت مكارم الأخلاق أخلاقه ، وقالت عائشة فى مجمل أخلاقه صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن : فما تضمن القرآن الكريم من أخلاق كريمة — هى أخلاق رسولنا ، أفضل الخلق على الإطلاق .

والأخلاق الكريمة هى شريعة الحق ، التى لا يختلف فى فضلها ومزاياها أحد من الخلق . وبها ملك صلى الله عليه وسلم قلوب العقلاء ، وغنى بها عن المعجزات . وخوارق العادات الحسيات ، وصدق شاعر العربية - شوقى - إذ قال : يخاطبه ، وهو ناظر لأخلاقه صلى الله عليه وسلم :

لو لم تقم ديناً لقامت وحدها ديناً تضىء بنـــوره الآناء

على أنه صلى الله عليه وسلم — ظهر على يده كثير من تلك المعجزات : كنطق الجمل له ، ونبع الماء من بين أصابعه .

ومن تلك المعجزات أن الشيطان لا يتصور به : لا مناماً ولا يقظة : حفظاً لشريعته . المقاومة بكتاب الله وسنته : فإن الشيطان وهو الداعى الأول للضلال والإغواء — لو تمثل بصورته صلى الله عليه وسلم لتقول من رآه على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخالف الشريعة التى بلغها ، وذلك هدم لها ، وقد وقاها الله الهدم : إذ تكفل بحفظ أساسها — القرآن الكريم - قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ولذلك أعلن صلى الله عليه وسلم — أن القرآن هو معجزته الدائمة الباقية ، الغالبة الهادية ، الدافعة لكل شبه المعاندين : قال «(١) ما من الأنبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) .

واسمعوا وعوا قال صلى الله عليه وسلم : «(٢) من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » أى من رآنى فإن رؤيته لى حق : ليست أضغاث أحلام ، ولا تخيلات شيطان . وقال صلى الله عليه وسلم «(٣) من رآنى فقد رأى الحق — أى المنام الحق : فإن الشيطان — لا يتزيا بى » : لا يتصور بصورتى : فلا يقال إذاً لرؤيته صلى الله عليه وسلم حلم : قال صلى الله عليه وسلم : «(٤) الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه - فلينفث حين يستيقظ عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره » .

يقول المتعوذ : « أعوذ بالله بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياى هذه : أن يصيبنى ما أكره فى دينى أو دنياى » .

ورؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام - بشرى برؤيته فى اليقظة ، حيث يفوز الرائى بشفاعته ، وعلو المنزلة عند ربه ، فهى بشرى بالموت على

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة (ض) .
(٢) رواه الإمام أحمد والبخارى فى صحيحه . والترمذى عن أنس (ض).
(٣) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن أبى قتادة (ض) .
(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى قتادة (ض) .

الإيمان: قال صلى الله عليه وسلم: «(١) من رآنى فى المنام - فسيرانى فى اليقظة . ولا يتمثل الشيطان بى» .

ويتفاوت الراءون له صلى الله عليه وسلم بتفاوت درجاتهم فى صفاء الروح ، وقوة الدين. وكمال اليقين ، ولا يراه صلى الله عليه وسلم إلا التقى النقى الحريص على سنته . التى منها السلام على المسلم نعرفه أو لا نعرفه ، فيراه الفائز بالثواب . والسلامة من عتابه صلى الله عليه وسلم يوم يعاتب تارك سنته ، فيسقط لحم وجه ذلك المعاتب .

ويراه المحب له المتخلق بأخلاقه الذى يكثر الصلاة والسلام عليه ، وبخاصة يوم الجمعة . قال صلى الله عليه وسلم «(٢) أكثروا من الصلاة على فى كل يوم جمعة . فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة . فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة» .

وكثرة الصلاة والسلام عليه وبخاصة فى يوم الجمعة وليلتها - تكسب شفاعته قال : صلوات الله وسلامه عليه : «(٣) أكثروا من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة - فمن فعـــل ذلك - كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة» .

وصيغ الصلاة والسلام عليه كثيرة ، وخيراتها وفيرة ، وربما ينشرح الصدر بصيغة أكثر من صيغة ، فيكون الإخلاص فى الإقبال عليها أكبر والانتفاع بها أكثر ، ومن ذاق عرف ، والتجربة دليل صادق : مع

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة (ض) .
(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى أمامة (ض) .
(٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس (ض) .

تسليمنا بأن الصلاة الإبراهيمية التى نذكرها عقب التشهد - أجل الصيغ وأفضلها . فلنصل . ولنسلم عليه بها ، وبما تنشرح به صدورنا من صيغ : استجابة لنداء الله : (يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله واذكروه تعالى على الدوام ، وأحيوا ذكرى المولد الشريف بالاقتداء بصاحب الذكرى فى سيركم وسلوككم ، والتخلق بأخلاقه من الوفاء ، والأمانة وسائر الخصال ، والاستمساك بتعاليم الدين سراً وجهراً ، واملئوا قلوبكم بحبه . وأوقاتكم بالصلاة والسلام عليه . وبتلاوة القرآن خير أنيس وسمير : تتمتعوا برؤيته صلى الله عليه وسلم ، وجاهدوا أنفسكم : لتعملوا بالخير الذى إليه وجهتم ، فيكون لإحياء ذكرى المولد — أطيب أثر ، وطوبى لمن سمع الوعظ فاتعظ واعتبر (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا الصلاة على فإن صلاتكم على — مغفرة لذنوبكم : واطلبوا لى الدرجة والوسيلة فإن وسيلتى عند ربى شفاعتى لكم » رواه ابن عساكر عن الحسن بن على رضى الله عنهما .

٣ ـ ذكرى المولد النبوي الشريف

الحمد لله ، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق : ليظهره على الدين كله .

وأشهد أن لا إله إلا الله : بدد ظلمات الضلال بنور رسولنا ، إمام الرسل .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، أفضل والد ومولود ، وصاحب المقام المحمود . والحوض المورود ، والشفاعة العظمى يوم القيامة (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، المهديين الهداة .

أما بعد : فيا عباد الله :

رأى عبد المطلب . جد النبي ﷺ وهو نائم فى الحجر بالمسجد الحرام شجرة نبتت من ظهره : قد بلغ رأسها السماء ، وامتد أغصانها بالمشرق والمغرب ما رأى نوراً أزهر منها : أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأى العرب والعجم لها ساجدين ، وهى تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ، ورأى جماعة من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوماً آخرين يريدون قطعها فلما دنوا منها ــ أخذهم شاب لم ير قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً ، فيكسر أظهرهم ، ويقلع أعينهم فرفع عبد المطلب يده ليتناول منها نصيباً فلم ينل .

وقيل : هذا النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بك وسبقوك : فانتبه مذعوراً

وقص رؤياه على كاهنة قريش فتغير وجهها، وقالت: لئن صدقت ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس وتخضع.

فكان أبو طالب عم النبي ﷺ يحدث بهذا الحديث، بعد إرسال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين.

ذلكم ياقوم رسولنا صفوة الأولين والآخرين الذى نهض بالإنسانية على تعاليم الإسلام، وفى كل مكان له أتباع: يعطرون بذكرى مولده البقاع، ويشنفون الأسماع، ويحيون القلوب بهديه، الذى به النجاة من الذل والتأخر، والفوز بالعزة والسعادة والهناء والنصر (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون).

فيا طلاب النصر على الأعداء، ويا أيها الحرصاء على السيادة بالله: من هنا — بلوغ المنى، فاتبعوا قول نبيكم، وافعلوا كأفعل مقتدين بأسلافكم لم يقصروا فى طاعة، ولا فى عمل خير، ولم يجرءوا على مخالفة أمر أو نهى ولم يتجهوا لغير ما وجهوا إليه: من صلاح ورشاد، وصواب وسداد، ولم تقعدهم الكوارث بالحزن والهم عن العمل النافع: لصبرهم وحرصهم على إرضاء ربهم.

لقد عمل أسلافكم بقول صاحب الذكرى رسولهم ورسولكم «(١)من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة، فصلاها مع الإمام غفر له ذنبه».

ولم يصح وضوء واضعة المونيكير على أظافرها، فليست مسبغة

---

(١) رواه ابن خزيمة عن عثمان (ض).

الوضوء ولا كاملته ، وليس وضوؤها ذلك — ينقذها من ملائكة العذاب والذين يفقده الوضوء منهم ، وبالتالي — لا تنقذها صلاتها بهذا الوضوء من عذاب القبر ، الذي ينقذ منه الصلاة .

والناس يسعون إلى ثواب الحج والعمرة : ببذل المال وترك الوطن ، فهل يليق أن تقصروا في نيل هذا الثواب وأنتم في وطنكم بين الأحباب : قال صلى الله عليه وسلم : « (١) من صلى صلاة الغداة — أي الصبح — في جماعة ، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس . ثم قام فصلى ركعتين — أي ركعتي الضحى — انقلب بأجر حجة وعمرة » .

والصلاة صلة بين العبد وبين ربه ، ولذلك سجل القرآن الكريم دعاء خليله إبراهيم (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وارحموا أنفسكم بالاستمساك بتعاليم دينكم التي بلغها رسولنا نبي الرحمة ، وأحيوا بها ذكرى مولده ـ تكونوا له محبين حقاً ، وتسعدوا بشفاعته (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) .

قال رسول الله ﷺ : « أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر » رواه الدارمي عن جابر رضي الله عنه .

---

(١) رواه الطبراني ، وإسناده جيد عن أبي أمامة (ض) .

٤ – ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله: قال سيد الملائكة جبريل فى حبيبه ورسولنا «(١) قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أجد رجلا أفضل من محمد ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم».

وأشهد أن لا إله إلا الله، الرحمن الرحيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله: الصادق الوعد الأمين.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله. وصحبه، المهديين. الهداة.

أما بعد: فيا عباد الله:

من شواهد رحمته صلى الله عليه وسلم – تعجيل العذاب للعصاة فى الدنيا: بمؤلم من مرض ونحوه، فإنه رحمة بجانب عذاب الآخرة: (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى).

ولأن عذاب الآخرة كذلك – كان من شواهد رحمته صلى الله عليه وسلم – أن الله جل جلاله، الذى عجل عذاب الهلاك لعاد وثمود، وأمثالهما ودمر قراهم – تفضل على الأمة المحمدية المؤمنة المرحومة، فأخر هذا العذاب المهلك عنها، إلى يوم الدين: ليتذكر من يتذكر، ويتوب إلى ربه ويرجع، وقد قال سبحانه: (وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً).

---

(١) رواه أبو نعيم والطبرانى، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: قال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحة – ظاهرة على صفحات هذا المتن.

ورحمته صلى الله عليه وسلم : فى المعاملة - جمعت القلوب حوله قال تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

وكما أن نبينا صلى الله عليه وسلم - هو الرحمة المهداة من الله فى دنياه - هو : صلى الله عليه وسلم - الرحمة المهداة منه تعالى فى أخراه .

فهو صلى الله عليه وسلم - صاحب الشفاعة العامة لأهل الموقف ، حتى يحاسبوا ، ويقضى بينهم ، ويراحوا من الموقف . الذى يتمنون الانصراف منه . ولو إلى النار : بما يقاسون : من أهوال .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(١) إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من شجر وحجر ومدر(٢) » .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «(٣) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وهو بين ظهرانى أصحابه - إنى على الحوض أنظر من يرد على منكم فوالله ليقتطعن دونى رجال ، فلأقولن : أى رب منى . ومن أمتى ، فيقول : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . ما زالوا يرجعون على أعقابهم » .

لقد بعدوا عن الإيمان ، ومن طاعة الديان ، حتى فارقوا الحياة ، فكيف لا يبعدون عن الحوض : ليحرموا الارتواء أبداً : جزاء وفاقاً .

أيها المسلمون :

اتقوا الله . وارحموا أنفسكم بالاستمساك بما بلغكم رسولنا ،

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، عن بريدة (ض) .
(٢) هو التراب المتلبد ، أو قطع الطين .
(٣) رواه مسلم .

صاحب أعطر ذكرى : لتنالوا شفاعته ، وترتووا من حوضه يوم القيامة وأحيوا ذكرى مولده - بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، وإن الاقتداء به لخير ثناء منا عليه : صلوات الله وسلامه عليه ، وإلا - فما مقدار ثنائنا عليه صلى الله عليه وسلم بالكلام ، فى جانب ثناء بارئه العزيز العلام ، الذى خاطبه بقوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم ، وصدق من قال :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم   والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعـــدما   أثنى على أخلاقك الخلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا . وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا : لواء الحمد يومئذ بيدى . وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر » رواه الترمذى عن أنس : رضى الله عنه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر . وبيدى لواء الحمد . ولا فخر . وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول شافع . وأول مشفع ، ولا فخر » رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه ، عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٥ – ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله ، الذى شرفنا ، فجعلنا من أمة حبيبه ومصطفاه ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين .

وأشهد أن لا إله إلا الله : شرح لنبينا صدره ، ووضع عنه وزره ، وحمله(١) الثقيل الذى أنقض(٢) ظهره ، وأنزل عليه قوله : (ما على الرسول إلا البلاغ) ، ورفع له ذكره ، ومن ذلك ذكره صلى الله عليه وسلم ـ معه تعالى فى الأذان . والإقامة . والتشهد .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير من سعدت به الحياة ، والشفيع الأجل يوم الموقف العظيم بين يدى الله .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الصفوة الكرام .

أما بعد : فيا أتباع خير رسول :

لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم : قوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) ـ صرف صلى الله عليه وسلم حراسه من أصحابه ، فقد تولى حراسته مالك الملك . من لا يغفل ولا ينام : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) .

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم كامل الإيمان بربه ، وما أعظم إيمانه صلى الله عليه وسلم بقضاء الله وقدره ، حيث إنه لم يبال بتهديدات قريش :

---

(١) العطف للتفسير ، فالوزر هو الحمل الثقيل ، والمراد به اهتمامه الشديد بهداية قومه ، ودفع إيذائهم عنه . (٢) أثقله .

لأن ما قدر - يكون ، وكثيراً ماصرف الناس عن الاشتغال بفلسفة القضاء والقدر : منعا للفهم السقيم ، الذى يورث الاعتقاد السقيم ، فقد رأى قوماً يجادلون فى القدر ، فقال : «(١) إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم - فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر - فأمسكوا » .

وما القدر الذى يضم تصرفاتنا - فى الحقيقة - إلا سجل لها : سجل ، وفق علمه تعالى . وإرادته ، ولم نكلف بالاطلاع عليه ، وإنما كلفنا فقط بالاستمساك بالنظام المشروع فى معالم ديننا ، وهذا هو الذى سنحاسب ونسأل عليه ، وهو عنوان إيماننا بالله حقاً .

والإيمان بالله كذلك — يريح النفس ، ويقوى القلب ، ويجعل الإنسان فى جانب الحق دائماً ، فلا يضل ، ولا يشقى ، ويسعد . ويربح : كحارثة بن مالك الأنصارى رضى الله : قال له النبى صلى الله عليه وسلم : «(٢) كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، فقال له : إن لكل قول حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟ وفى رواية : قال له : «اعلم ما تقول . أو انظر ما تقول » . فقال : « عزفت - أى أعرضت - نفسى عن الدنيا ، فاستوى عندى حجرها . وذهبها ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى . وكأنى أرى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنـــة يتزاورون فيها ، وكأنى أسمع عواء أهل النار » ، فقال له : « عرفت فالزم» وفى رواية أنه عليه الصلاة والسلام - قال : « من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه - فلينظر إلى حارثة بن مالك » .

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير ، عن ابن مسعود (ض) .

(٢) رواه الطبرانى . والبزار ، وغيرهما .

وإنه صلى الله عليه وسلم — لذلكم التقى . النقى . الزكى ، الذى كان كل اهتمامه — اتصاله بربه ، وقال صلى الله عليه وسلم «(١) أصدق كلمة قالها الشاعر ـ كلمة لبيد :

« ألا كل شىء ما خلا الله باطل »

وما استطاعت مغريات الحياة أن تقترب من قلبه صلى الله عليه وسلم .

وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً مع الخلق والخالق :

رحمة كله . وحزم . وعزم
ووقار . وعصمة . وحياء

لا تحل البأساء منه عرى الصبـ
ـر ولا تستخفه السراء

كرمت نفسه فما يخطر السو
ء على قلبه . ولا الفحشاء

هكذا كان رسولنا صلى الله عليه وسلم كامل العقيدة الصحيحة ، تام الإيمان ، وعمله الصالح ، وخلقه الفاضل الكريم ـ صورة واضحة للدين الكامل فى جميع نواحيه ، وقد اختاره الله تعالى لتبليغه : للإصلاح فى الأرض إلى انتهاء الدنيا : ليعيش الناس بتعاليمه . فى كل زمان ومكان ـ فى أمن وهناء . وسعادة وارتقاء ، ويحققوا ما خلقوا من أجله : من عبادة الخالق . واهب النعماء .

ولا ريب أن من أرسل بأوفى دين ، حوى كل ما به خير العالمين ـ

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (ض) .

يكون خير المرسلين ، وتكون ذكرى مولده - خير الذكريات : بإذاعة فضائله ، التي بها تطيب الدنيا والآخرة .

فيأيها المسلمون :

اتقوا الله . وأحيوا النفوس بسيرته ، وأكثروا من الصلاة والسلام عليه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : «(١) إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » .

واحرصوا على السعادة في الحياتين - بالعودة عاجلا إلى سنته ، والاقتداء به صلى الله عليه وسلم في عمله وخلقه ومعاملته : والله تعالى يقول : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي - فله أجر شهيد » رواه الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي رواية البيهقي ، عن ابن عباس : رضي الله عنهما : « فله أجر مائة شهيد » وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا رسول من أدركت حياً ، ومن يولد بعدى » رواه ابن سعد عن الحسن(٢) البصري رضي الله عنه .

---

(١) رواه الترمذي . وابن حبان في صحيحه . عن ابن مسعود (ض) .

(٢) الحسن البصري : تابعي ، فالحديث مرسل . أي سقط منه الصحابي ، وهو حديث حسن .

٦ – ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله : يزيد الإيمان قوة ورسوخاً بسيرة رسول الله ، خير قدوة لسعادة المرء فى دنياه وأخراه ، وقد قال : جل علاه : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : عطر الأزمان بذكرى حبيبه ومصطفاه ، من بشر به جده السابع كعب ، فقال : سيأتى لحرمكم نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، خير صدوق أمين ، بعث بخير دين ، وقال : «(١) إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله . وصحبه ، حماة الحق وأنصاره .

أما بعد :

فصاحب الذكرى العطرة ، والسيرة الشريفة الطاهرة - فى اتباعه ، والاستمساك بقوله . وفعله - النجاة من الذل . والفساد ، والتأخر والكساد ، والعلو ، والنصر والعزة . والهناءة والإسعاد (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

---

(١) رواه البخارى فى تاريخه . عن أبى هريرة (ض) .

فيا طلاب النصر على الأعداء ، ويأيها الحرصاء على العزة . والسعادة . والهناء : من هنا - بلوغ المنى . . .

فاتبعوا قول نبيكم ، وافعلوا كما فعل - مقتدين بأسلافكم : لم يقصروا فى طاعة ، ولا فى عمل خير أو حسنة ، ولم يجرءوا على مخالفة أمر أو نهى ، ولم يتجهوا إلى غير ما وجهوا إليه : من صلاح ورشاد ، وصواب وسداد ، ولم تقعدهم الكوارث بالحزن والهم - عن العمل النافع : لصبرهم . وحرصهم على إرضاء ربهم . القائل : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

لقد عمل أسلافكم بقول صاحب الذكرى رسولهم ، ورسولكم : «(١) من توضأ فأسبغ(٢) الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها مع الإمام - غفر له ذنبه» ، والناس يسعون إلى ثواب الحج والعمرة ببذل المال ، وترك الوطن والعيال ، فهل يليق أن يقصروا فى نيل هذا الثواب وأنتم فى وطنكم بين الأحباب : قال صلى الله عليه وسلم : «(٣) من صلى صلاة الغداة : الفجر أو الصبح فى جماعة . ثم جلس يذكر الله ، حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين : هما ركعتا الضحى - انقلب بأجر حجة وعمرة» .

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه عن عثمان (ض) .

(٢) ليست واضحة - المفروكه - على أظافرها مسبغة له ، بل وضوءها غير صحيح .

(٣) رواه الطبرانى بإسناد جيد ، عن أبى أمامة (ض) .

وفى صلاة الغداة — قال تعالى : (وقرآن الفجر) أى وأقم صلاة الفجر ، وعبر عنها بالقرآن : لأنه ركن مهم فيها : (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أى تشهده ملائكة الليل ، وملائكة النهار ، وفى ذلك — قال ﷺ : «(١) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون . وأتيناهم وهم يصلون » .

وفى أداء الصلوات جميعها — الصلة بالمعبود : جل شأنه ، الذى يرفع ويضع ، ويعطى ويمنع ، وينصر ويخذل ، ويهدى ويضل ، وله الأمر كله .

ولذلك — دعاه سيدنا إبراهيم عليه السلام — أن يوفقه . ومن اصطفاه : من ذريته لأدائها ، وسجل ذلك القرآن الكريم : قال تعالى : (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) .

والنساء كالرجال فى صلتهن بالله ، وكسب رضاه بالصلاة : بشرط سترهن للعورة ، وهى جميع البدن ، ماعدا الوجه والكفين : قال : تعالى : (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) قال ابن عباس ، وعائشة رضى الله عنهما : هو الوجه والكفان .

فلتستر المرأة جميع بدنها حال صلاتها ، ونصب عينيها - قوله ﷺ : «(٢) إن المرأة إذا بلغت المحيض - لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا -

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة (ض) .

(٢) روى البيهقى وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها - أن أسماء بنت أبى بكر - دخلت على رسول الله ، وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها . ثم قال : « ما هذا يا أسماء ؟ إن المرأة . . الخ » .

وأشار إلى وجهه وكفيه ، وكذلك لا يصلح أن يرى شيء من بدن المرأة حال خطبتها للزواج إلا الوجه والكفين وهى أجنبية بعد ذلك - من خاطبها ، حتى يعقد عليها .

وقال ﷺ : «(١) لا يقبل الله صلاة حائض - أى بالغة إلا بخمار - أى ساتر للرأس - » .

ومن الأعمال الفاضلة الممتازة ، التى نكون بها تابعين لرسولنا ، ومهتدين بهديه - إدخال السرور على المسلمين : بتهنئتهم عند النعمة ، وتعزيتهم عند النقمة ، ومعاونتهم على بلوغ مآربهم : قال ﷺ : «(٢) أحب الأعمال إلى الله : عز وجل - سرور تدخله على مسلم . أو تكشف عنه كربة ، أو تطرد عنه جوعاً ، أو تقضى عنه ديناً » .

والأمور ثلاثة : أمر تبين أنه حق ، فوجب اتباعه ، وأمر تبين أنه باطل ، فوجب اجتنابه ، وأمر لم تتبين حاله ، فليسأل عنه أهل الذكر ، ولا يجادل فيه .

فترك الجدال من شريف الخصال ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(٣) ذروا المراء : الجدال - فإن المارى لا أشفع له يوم القيامة » .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وأحيوا ذكرى المولد النبوى الشريف - بمدارسة سيرته صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء به ، وتلاوة القرآن ، والصلاة والسلام عليه

(١) رواه الترمذى وغيره ، وقال : حسن صحيح عن عائشة (ض) .
(٢) رواه أبو الشيخ عن ابن عمر (ض) .
(٣) جزء من حديث رواه الطبرانى فى الكبير عن جملة من الصحابة .

والتزموا النظام . الذى منه فى السلم تسوية الصفوف : فى الصلاة حتى لا يكون فيها اعوجاج ، ومتابعة الإمام ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(١) سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة : من حسنها . وكمالها » ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : «(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يمسح مناكبنا(٣) فى الصلاة ويقول : استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وليلنى منكم أولو الأحلام والنهى - الحكماء وأصحاب العقول - ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم » ، وقال صلى الله عليه وسلم : «(٤) الذين يخفض . ويرفع قبـــل الإمام - إنما ناصيته - أى شعر مقدم رأسه - بيد شيطان » ، وقال عليه الصلاة والسلام : «(٥) أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود ، قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل الله صورته صورة حمار » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه «(٦) أما يخشى الذى يرفع(٧) رأسه ، قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس كلب » .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم ، وغيرهما ، عن أنس (ض) .

(٢) رواه مسلم .

(٣) جمع منكب : كمجلس : وهو مجمع عظم العضد والمنكب .

(٤) رواه البزار والطبرانى . عن أبى هريرة (ض) .

(٥) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة (ض) .

(٦) رواه ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة (ض) .

(٧) قال الخطابى : اختلف الناس فيمن فعل ذلك ، فروى عن ابن عمر رضى الله عنهما - أنه قال : « لا صلاة لمن فعل ذلك » ، وأما عامة أهل العلم - فإنهم قالوا : قد أساء ، وصلاته تجزئه . غير أن أكثرهم يأمرون بأن يعود إلى السجود ، ويمكث فى سجوده بعد أن يرفع الإمام رأسه بقدر ما كان ترك .

ومن النظام[1] فى الحرب ـ ملاقاة المجاهدين فى سبيل الله ـ لعدوهم ـ وهم متماسكون . متلاصقون : لا انقطاع بينهم ، والله تعالى يقول : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم المؤذن ـ فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة ـ صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة ـ حلت عليه الشفاعة » رواه الإمام أحمد ، ومسلم عن ابن عمرو رضى الله عنهما .

---

(١) سئل الشيخ محمد عبده : رحمه الله تعالى : كيف يفوز الغرب ، وينتصر أهله بباطلهم ، وكيف يخسر المسلمون وينهزمون . مع كونهم على الحق ، ووضوح ظلمهم فقال : « إن أهل الغرب يلتزمون النظام فى كل شىء ، والنظام جزء من الحق الذى لا يغلب » .

الاعتبار بذكرى وفاة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الحمد لله : انفرد بالبقاء دون سواه ، فكتب الموت على جميع خلقه وقال لحبيبه . ومصطفاه : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنـــة وإلينا ترجعون) ؛

وأشهد أن لا إله إلا الله : (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : «(1) كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ، ثم يمسح بها وجهه : ويقول : « اللهم هون على سكرات الموت » ، وكانت تلك السكرات : من شدة الوجع : لتقتدى به أمته فى الصبر عند الشدة ، ولرفعة منزلته ، وما من كمال إلا وعند الله أكمل منه .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله ، وصحبه . الذين عاشوا أتقياء وفارقوا الحياة سعداء : (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) .

أما بعد : فيا عباد الله :

فى حجة الوداع بمنى — نزلت سورة التوديع ، المسماة سورة النصر —

---

(1) رواه البخارى ومسلم عن عائشة (ض) .

فقال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام : «(١) نعيت إلى نفسي» : ـ أخبرت بموتي ـ فقال له جبريل : (وللآخرة خير لك من الأولى) .

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : جلس على المنبر فقال : «(٢) إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، وقال: يا رسول الله : فديناك بآبائنا وأمهاتنا : قال : أبو سعيد رضي الله عنه : فعجبنا ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء . وبين ما عند الله ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا : قال : أبو سعيد فكان رسول الله المخير . وكان أبو بكر أعلمنا به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن أمن الناس على في صحبته . وماله ـ أبو بكر رضي الله عنه ، فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا ـ لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام فليس للرسول صلى الله عليه وسلم خليل لا يؤثر على مراده شيئاً إلا الله تعالى، ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبق في المسجد خوخة(٣) إلا سدت ، إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه » .

وما كان منه صلى الله عليه وسلم بعد إلا زيادة الاجتهاد في عمل الآخرة ، وكان لا يقوم ولا يقعد إلا قال : سبحان الله وبحمده : أستغفر الله : تحقيقاً لقوله تعالى : (فسبح بحمد ربك واستغفره) ثم ودع :

---

(١) رواه الطبراني عن جابر (ض) .
(٢) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري (ض) .
(٣) ثقب في الجدار يؤدي الضوء .

صلى الله عليه وسلم الموتى ، فخرج إلى البقيع من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، وذهب بعد ذلك إلى قتلى أحد ، فصلى عليهم ، فرجع معصوب الرأس فكان ذلك بدء الوجع الذى مات فيه ، وكان حمى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «(١) الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ، وقالت عائشة رضى الله عنها : « لما دخل بيتى ، واشتد وجعه ، ـ قال : صلى الله عليه وسلم : «(٢) أهرقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن(٣) لعلى أعهد(٤) إلى الناس فأجلسناه فى مخضب(٥) لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم : يشبه طست النحاس . ثم طفقنا(٦) نصب عليه الماء من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده : أن قد فعلتن » .

وكانت حرارة حماه تصيب من يضع يده على الغطاء : فوقه صلى الله عليه وسلم ، فقيل له فى ذلك ، فقال : «(٧) إنا معاشر الأنبياء كذلك يشدد علينا البلاء . وتضاعف لنا الأجور » .

ولما تعذر عليه صلى الله عليه وسلم الخروج إلى الصلاة من شدة مرضه ـ قال : «(٨) مروا أبا بكر فليصل بالناس » .

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) أى صبوا ، وأصله : أريقوا ، وفيه لغة ثانية : أهريقوا : من هراق يهريق بفتح الهاء : هراقة : بكسر الهاء ، وفيه لغة ثالثة : أهراق : يهريق إهراقة ، فهو مهريق ، والشىء مهراق : بسكون الهاء أوثقها .

(٣) جمع وكاء : وهو ما يشد به رأس القربة . (٤) أوصيهم .

(٥) وعاء يبل فيه الثياب . (٦) جعلنا .

(٧) رواه ابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى (ض) .

(٨) رواه البخارى ومسلم .

وكان فى ذلك إشارة إلى أنه الخليفة بعده ومن هنا قال الصحابة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم : إن النبى صلى الله عليه وسلم : رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا .

ومن الحوادث فى مرضه ﷺ : — شدة إشفاق الناس من موته ، فخرج لذلك معصوب الرأس متوكئاً على ابنى عميه على . والفضل ، والعباس أمامه ، وهو صلى الله عليه وسلم يخط برجليه ، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، واجتمع الناس حوله ، فحمد الله وأثنى عليه وأوصاهم ببعضهم خيراً ، وذكرهم باللحاق به ، ففراق الحياة حتم لا محالة ، والعجب من الغرور بالدنيا مع هذه الحالة ، وأسمعهم سورة العصر الجامعة لكل خير : لمن تدبر واعتبر .

وبعد عاد ﷺ إلى حجرة عائشة ، حيث كان يقيم من حين اشتداد مرضه ، وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : «(١) نعى رسول الله : ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، فلما دنا الفراق — جمعنا فى بيت عائشة : رضى الله عنها . فقال : حياكم الله بالسلام . رحمكم الله . جبركم الله . رزقكم الله . نصركم الله . رفعكم الله . آواكم الله : أوصيكم بتقــوى الله ، وأستخلفه عليكم . وأحذركم الله : إنى لكم منه نذير مبين : ألا تعلوا على الله : فى بلاده . وعباده . فإنه قال لى ولكم : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وقال : (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) قلنا : يا رسول الله . متى أجلك ؟ قال

---

(١) رواه الطبرانى والواحدى بسند وصله إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، ونعى نفسه : أخبر بموت نفسه .

دنا الفراق ، والمنقلب إلى الله ، وإلى جنة المأوى . قلنا : يارسول الله . من يغسلك ؟ قال : رجال من أهل بيتي : الأدنى . فالأدنى ، قلنا يا رسول الله : فيم نكفنك ؟ قال : في ثيابي هذه . وإن شئتم : في ثياب مصر ، أو حلة يمنية . وكفن فعلا ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة . قلنا : يا رسول الله : من يصلي عليك ؟ قال : إذا أنتم غسلتموني — فضعوني على سريري هذا . على شفير أي حرف قبري ، ثم اخرجوا عني ساعة : فإن أول من يصلي على جبريل ثم ميكائيل . ثم إسرافيل . ثم ملك الموت ، ومعه جنود من الملائكة ، ثم ادخلوا على أفواجاً أفواجاً ، فصلوا على.وسلموا تسليماً ، وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ، ثم أنتم ، واقرءوا السلام على من غاب من أصحابي ، ومن تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة . قلنا يا رسول الله . من يدخلك قبرك ؟ قال : أهل بيتي مع ملائكة ربي » .

ولم يفارق الحياة خـــير خلق الله ، حتى عمل كل ما استطاع من صالحات : مرضياً ربه قيوم الأرض والسموات ، مالك الدنيا والآخرة ، فكم جبر من خاطر ، وأرضى المقهور والقابر ، وأعتق في مرض موته أربعين نفساً ، وجعلهم أحراراً ، وكانت عنده سبعة دنانير فأمر عائشة رضي الله عنها أن تتصدق بها ، بعد أن وضعها ﷺ في كفه ، وقال : ماظن محمد بربه لو لقي الله . وهذه عنده ، فتصدقت بها ، وهل انتبه لذلك تارك الزكاة ، وهل له استيقظ البخيل ، فآمن بلقاء الله . وعلم أنه تارك ما بيده ، وربما تركه لعدوه . أو عدو لله : يصرفه مرضياً للشيطان . مسخطاً لله .

وفي فجر الإثنين ، الثالث عشر من ربيع الأول ، الذي قبض فيه ﷺ — رفع الستر — المضروب على بيت عائشة ، وظهر للمسلمين . وهم

صفوف لصلاة الصبح ، فكادوا يفتتنون : ابتهاجاً برؤيته ، وأخذوا يفسحون له مكاناً ، فأشار بيده أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسم فرحاً من هيئتهم فى صلاتهم ، وقال أنس رضى الله عنه : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه فى تلك الساعة فقد أطمأن صلى الله عليه وسلم على حسن اتباع أمته له ، وخضوعها لله ، وكمال أدائها للصلاة . التى تثمر مراقبة الله ، وهى ذكر الله ، الذى به صلاح دنياه وأخراه : ومن هنا — كان أكبر ثمرات الصلاة . ولذلك — قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) .

ثم عاد ﷺ ، فاضطجع فى حجر عائشة ، حتى قالت : « وجدت رسول الله يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا نظره قد شخص ولا يطبق أحد الجفنين على الآخر لعينيه المتفتحتين — وهو يقول : « اللهم(١) الرفيق الأعلى » فقلت : خيرت . فاخترت ، والذى بعثك بالحق ، ودفن ﷺ حيث قبض فى بيت عائشة : فى لحد : فى حفرة فى أسفل القبر من جهة القبلة . وقالت رضى الله عنها : «(٢) رأيت ثلاثة أقمار سقوطاً فى حجرتى فقصصت رؤياى على أبى بكر ، فقال لى : يا عائشة ليدفنن فى بيتك ثلاثة : هم خير أهل الأرض فلما توفى رسول الله ﷺ ، ودفن فى بيتى — قال لى أبو بكر : هذا واحد من أقمارك وهو خيرهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيراً » ، ثم دفن بالحجرة أبو بكر ثم عمر ، ففى حجرة عائشة قبورهم الثلاثة كما رأت فى منامها ، وكانت رضى الله عنها تزور قبر رسول الله وقبر أبيها ، وهى واضعة عنها ثوبها الذى يستر زينتها

---

(١) قيل — وهو أولى قول : المراد به الله تعالى الرفيق بالعباد الأعلى .
(٢) رواه مالك فى الموطأ .

من الأجانب ، وتقول : إنما هو زوجي وأبي . والله تعـالى يقول : (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن)، فلما دفن عمر معهما : بحجرتها في قبره ـ قالت : «(١) فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر) ، مع أنها رضي الله عنها من أطهر نساء العالمين ، وأم المؤمنين : ومنهم عمر ، وهو الورع المشهور ، وفي قبر مستور .

أفلا ينتبه لذلك نساء اليوم ، ولا يجتمعن في خلوة مع من يحل لهن من الرجال ، ولو كان قريباً كابن عم أو خال ، ويجتنبن فتنة الرجال بالسفور ، ووجوههن في أكمل زينة ، وبالتبرج وكشف الأعضاء . أو لبس الثياب الواصفة للأعضاء ، المشخصة والكاشفة لها ، ولا يتبجحن في وقاحة ، مع من لم يستحي : بادعاء الثقة . والعفة . وليعلمن أن ذلك ليس من العفة ، والله الذي شرع الأحكام يعلم وأنتم لا تعلمون .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وأحيوه ﷺ بينكم بإحياء سيرته : والاستمساك بدينه ، والعمل بكتاب الله وتلاوته ، واعلموا أن في رسول الله أسوة حسنة حياً ، وميتاً ، وفعلا وقولا ، وسليماً ومريضاً ، واطمئنوا بتسليمه عليكم وحمده الله بطاعتكم ، واستغفاره لكم ، واتعظوا بموته كما اتعظ من كانوا قبلكم ، وقالوا : المزايا لاترد المنايا ، وكان الرجل من أهل المدينة : إذا أصابته مصيبة جاءه أخوه فصافحه ، وقال له : يا عبد الله . اتق الله . فإن في رسول الله أسوة حسنة والله تعالى يقول : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله

---

(١) رواه الإمام أحمد .

كثيراً ، روى ابن ماجه أنه ﷺ قال فى مرضه : أيها الناس : إن أحدٌ من المؤمنين أصيب بمصيبة — فليتعز بمصيبته بى عند المصيبة التى تصيبه بغيرى فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى » .

وقال ﷺ « حياتى خير لكم : تحدثون ويحدث لكم — أى تحدثون شئوناً ويحدث لكم أحكامها — فإذا أنا مت — كانت وفاتى خيراً لكم : تعرض على أعمالكم . فإن رأيت خيراً حمدت الله ، وإن رأيت شراً استغفرت لكم » : رواه ابن سعد والبزار ، بسند صحيح ، والقاضى إسماعيل والحارث فى مسنده .

وقال ﷺ : « إنكم اليوم على دين . وإنى مكاثر بكم الأمم ، فلا تمشوا بعدى القهقرى » رواه الإمام أحمد عن جابر (ض) .

١ - ذكرى المولد الحسيني

الحمد لله رب العالمين . يحيي القلوب بذكرى الصالحين ، وقد قال (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

وأشهد أن لا إله إلا الله: جعل التقوى أعلى نسب . وأغلى حسب ، وقال : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : دخل بيته يوماً ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فأجلس عليا وفاطمة أمامه والحسن على فخذه والحسين على الفخذ الأخرى ثم لف عليهم كساء . ثم تلا (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .

وقال ﷺ : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين .

أما بعد : فيا عباد الله :

كثير من الناس يحيا ويموت ، ولا يحس وجوده ولا موته أحد ، ولا يسجل له التاريخ ذكرا ، وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً ، والذكر للانسان عمر ثان ، والمذكور بالخير - يرحمه الديان .

ومن الناس من يحيا فيكون - بحياته - ملء السمع والبصر ، ويموت

فتجد الدنيا — لموته — دوياً : لما كان منه — في حياته : من نفع وجهاد وعلى قدر حياته ، وجلائل أعماله فيها — تكون ذكراه بعد الوفاة .

لذلك — لا عجب أن كانت ذكرى الإمام أبي عبدالله الحسين — دائمة عظيمة ، ويحتفل المسلمون بمولده رضى الله عنه : كل سنة في شتى البلاد أياماً .

إنه : رضى الله عنه — كان يشبه جده سيد البشر : صلى الله عليه وسلم .

لذلك شهد بفضله المعادى كما شهد الموالى . فقد قال معاوية بن أبي سفيان لمخاطب له : إذا دخلت مسجد رسول الله ، فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رءوسهم الطير — فاعلم أن فيهم أبا عبد الله الحسين ، الذى كان لسان حاله - يقول :

فأبي شمس وأمي قمر وأنا الكوكب بين النيرين

وتأملوا : يا عباد الله :

دخل الحسين رضى الله عنه المسجد ، ورسول الله يخطب ، فداس في ثوب كان عليه فسقط وبكى ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم ليلقاه ، فلما رآه الناس سعوا إلى الحسين يتعاطونه ، ويعطيه بعضهم بعضا ، حتى تسلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال : «والذى نفسى بيده ما دريت أني تحولت عن منبرى » .

فأية منزلة إذاً — كانت للحسين في قلب جده صفوة الله من خلقه .

وكان ابن عمر الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه نعم الرجل الصالح - يجلس ذات يوم فى ظل الكعبة ، فدخل الإمام الحسين المسجد الحرام فقال ابن عمر لمن حضر - وهو يشير إلى الحسين رضى الله عنه : « هذا أحب أهل الأرض اليوم إلى أهل السماء » .

ذالكم المحبوب الجليل الحسين الذى ورث خلال الخير وصفات النبل من آباء كرام . وأمهات طيبات قد تلاقى فيه أعز ما عرفت قريش من العرب من كريم الأصول . ونقى السلالات ، فاجتمع فيه المجد الموروث . والمجد المكتسب (نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) .

كان رضى الله عنه سخياً بماله ، شحيحاً بدينه ، وبهذا السخاء ، وذلك الشح - تكامل ركنا المجد ، ورضا الله .

كان رضى الله عنه كريماً بالمال : يبذله عن طيب نفس لذوى القربى واليتامى والمساكين ، ويسعف البائس ويغيث الملهوف ، وهو حريص على دينه ، لا يفرط فى شىء منه : رغبة أو رهبة : جاءه سائل فوقف أمام بابه ، وكان الحسين قائماً يصلى فخفف صلاته بالاكتفاء ببعض المستحب فيها : كالتسبيح ثلاثاً ، لا خمساً مثلا ، وخرج إلى السائل ، فرأى عليه أثر خير وفاقة ، فرجع وقال لخادمه : هات ما تبقى معك من نفقاتنا ، فقد أتى من هو أحق به منا فأعطه مائتى درهم : دفعها رضى الله عنه للسائل واعتذر له من قلة ما أعطى .

وكان رضى الله عنه يقول : « من جاد ساد ومن بخل ذل » ويقول : « اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم فلا تملوا الناس فتعود نعم الله عليكم نقما » .

وكم ساومه أعداؤه عند القتال أن يدع نفسه أسيراً فى يدهم ،

فأبى إلا العلو بكرامته والاعتزاز بمجده ، وقال :

سأمضى وما فى الموت عار على الفتى
إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما

ولقد وجد ببدنه - بعد استشهاده - ثلاث وثلاثون طعنة . وأربع وثلاثون ضربة كلها فيما أقبل من وجهه وجسمه . ليس فيها . فى ظهره شىء : لأنه كان مقبلا غير مدبر، وليس هذا بمستغرب من فارس صنع على عين جده أشجع الشجعان ، القائل : «(١) المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

وما عرف الحسين : رضى الله عنه فى حياته إلا مقداماً غير هياب ، يقول كلمة الحق لله ولا يبالى : كتب معاوية إليه يعيره يقول : بلغنى أنك رزقت جارية وتركت أكفاءك من قريش : ممن تستنجبه للولد ، وتمجد به فى المصاهرة ، فلا لنفسك - نظرت ولا لولدك - انتقيت . فرد عليه الحسين قائلا : أتانى كتابك تعيرنى بأنى تزوجت جاريتى ، وتركت أكفائى من قريش فاعلم يا معاوية أنه ليس فوق رسول الله منتهى فى شرف ولا غاية فى نسب وقد كانت الجارية ملك يمينى ، عتقتها لوجه الله ، ثم ارتجعتها على سنة رسول الله ، وقد رفع الله بالإسلام الخسة فلا لوم على أمرىء مسلم إلا فى مأثم ، وإنما اللوم لوم الجاهلية . فاعترف معاوية أنه أجابه فأفحمه .

وكان الحسين يواسى الضعيف ، فلما صدر الحكم فى عهد عثمان على الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى بالنفى إلى الربذة : مكان جهة المدينة لمخالفته فى أن الغنى لا يجوز أن يبقى فى يده شىء من المال ، ولو أخرج زكاته - ودعه الحسين ، وقال له : (يا عماه . إن الله قادر أن يغير ما ترى) : (كل يوم هو فى شأن) .

(١) رواه مسلم . والنسائى . وابن ماجه : عن أبى هريرة (ض) .

وما نزل بك فهو حرمان من الدنيا ، وتسبب عن بعدك عن الدنيا حرمان الناس من دينك ، فما أغناك عما منعوك ، وما أحوجهم إلى ما منعتهم .

فاسأل الله الصبر والنصر ، واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين ، والجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع - لا يؤخر أجلا) فبكى أبوذر وكان شيخاً كبيراً ، وقال : (رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة . إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله . مالى بالمدينة سكن غيركم) .

وقال ظالم للحسين : والله لئن سمعت منك شتمة - لأسمعنك عشراً ، فقال : والله يا أخى لئن أسمعتنى أنت مائة - ما أسمعتك ولا واحدة . ولا عجب فقد قال جده : كاد الحليم يكون نبياً .

ومات ابن له ، فصبر وقال : إنا معشر أهل البيت نسأل الله ، فيعطينا فإذا أراد سبحانه ما نكره فيما يحب هو - رضينا .

ومن نصائحه رضى الله عنه : (إذا سمعت من تناول أعراض الناس - فاجتهد ألا يعرفك . فإن أشقى الناس به معارفه) .

ولقد أثمر إيمانه العظيم رضى الله عنه خصال الخير ، وبعثه على الاجتهاد فى الطاعة . فكان صواماً قواماً فى الليل - والناس نيام - وفى السحر - حيث تتجلى رحمة العزيز العلام : قال سفيان الثورى : (إذا كان أول الليل - نادى مناد : ليقم القانتون ، فيقومون كذلك ، يصلون إلى السحر . فإذا كان السحر نادى مناد : أين المستغفرون ، فيستغفر أولئك . ويقوم آخرون فيصلون ، فيلحقون بهم ، فإذا اطلع الفجر - نادى مناد : ألا ليقم الغافلون فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم) .

وقد قال ﷺ « إن الله يقول : إنى لأهم بأهل الأرض عذاباً ، فإذا نظرت إلى عمار بيوتى وإلى المتحابين فى وإلى المتهجدين والمستغفرين بالأسحار صرفت عنهم العذاب » .

أيها المسلمون :

بمصر - يحتفل بذكرى مولد الحسين ، وخير احتفال بذكراه - هو الاقتداء به .

فاتقوا الله ، وكونوا لله ذوى ضمائر طيبة عامرة بالإخلاص لله ، لاتحمل غلا ، ولا حقداً ، ولا حسداً ، ولا خيانة ، ولا تقولوا إلا قولا طيباً ، عماده الصدق والأمر بالمعروف ودوام ذكر الله ، والنصح لعباد الله ، وبذلك تكونون محبين للحسين حقاً ، ومن أحب حسيناً أحبه الله .

قال رسول الله ﷺ « حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً » : رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه : عن يعلى بن مرة رضى الله عنه .

٢ ـ ذكرى المولد الحسيني

الحمد لله : نال عارفوه الفوز والنجاة ، فى دار إنعامه ورضاه : لا هم فيها ولا مرض . ولا خصام ، ولا عناء : (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب(١) ولا يمسنا فيها لغوب(٢)) .

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أعظمكم طاعة لا أغناكم ، ولا أعظمكم جاهاً ، ولا أشرفكم نسباً ، وقد قال نبيه ﷺ : «(٣) ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : كان يشم الحسن والحسين ، ويضمهما إليه ، وقال : «(٤) من أحبنى وأحب هذين . وأحب أباهما . وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسائر محبيه .

أما بعد : فيا عباد الله :

ما تقولون فى بيت إسلامى ، شعاره قول النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) تعب . (٢) إعياء وعجز .

(٣) جزء من حديث نبوى شريف رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) رواه أحمد والترمذى .

«(١) الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها» لا شك أن أفراد هذا البيت يكونون ربانيين : الإيمان ملء قلوبهم ، والطاعة حليتهم على الدوام ، فنصب عيني كل منهم دائماً قوله عليه الصلاة والسلام : «(٢) اتق الله حيثما كنت» .

ولا عجب أن يكون ذلك البيت الإسلامي هو البيت الذي ضم الإمام علياً أباً ، والسيدة فاطمة الزهراء أماً ، والإمام الحسين ابناً : شقيق سيدنا الحسن . والسيدة زينب .

ألا ما أعظم هذا الابن — الإمام الحسين ، وما أجدرنا بالتذكير بعمله : للاقتداء به : وقد روى أن جده رسولنا صلى الله عليه وسلم رآه فقال : «(٣) اللهم إني أحبه . فأحبه ، وأحب من يحبه» .

والجهاد هو : الفريضة التي تحمي الحق . وترد كيد أعدائه ، وبها تكون كلمة الله هي العليا — قد حرص عليها رضي الله عنه كل الحرص . حتى قتل شهيداً في سبيل الله ، والله تعالى يقول : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) . وقال صلى الله عليه وسلم : «(٤) ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وإن له ما على الأرض : من شيء إلا الشهيد . فإنه

---

(١) رواه أبو نعيم والطبراني .

(٢) رواه الترمذي من حديث نبوي .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس (ض) .

يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ، وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة .

ويا قوم :

أرسل يزيد بن معاوية لعامل المدينة المنورة بنعى أبيه ، وأن يأخذ له البيعة أخذاً شديداً لا هوادة فيه ، فعند ذلك — رحل الإمام الحسين إلى مكة ، فى رجب سنة ستين من الهجرة ، ومكث أربعة أشهر يتلقى فيها من المسلمين بالكوفة والعراق — الدعوة ليبايعوه ، وهو يتردد متمهلا ، حتى يتبين جلية القوم ، وخبر أمرهم ، ثم أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل : ليأخذ له البيعة ، فبايعه له نحو ثلاثين ألفاً من العراق ، وتعاهدوا على نصرته ، فعزم الإمام الحسين على الخروج إليهم : ليتمم البيعة ويقوم بأمر الأمة ، وينقذ الناس من حكم يزيد ، الذى أكره الناس على بيعته ، وظهر فسقه وظلمه وتهاونه بالفواحش وبأمور الدين . فنصح له عبد الله بن العباس بعدم الخروج ، وقال له الفرزدق الشاعر المشهور قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء .

فلم يثن عزمه رضى الله عنـــه بذلك ، فإن غرضه أسمى من ربح فى الدنيا ، وجاه فيها (والآخرة خير وأبقى) فما كان خروجه إلى العراق مغامرة سياسى ، ولا صفقة تاجر ، ولا ليحكم حكم المفاخر .

وإنما هيمن على نفسه رضى الله عنه إيمان أوجب عليه حقاً لله ،

---

(١) قال له : إن أهل العراق أهل غدر ونفاق ، فقال الإمام الحسين : إنى أعلم ذلك .

ولرسوله، وللمسلمين، واستجابة لدعوة الأمة: ليدفع عنها الغمة ويرفع عنها المظالم، ويقر فيها الأمن والسلام.

وقد قال تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)، وقال ﷺ: «(١) من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

فقد سار الإمام الحسين رضى الله عنه، بغية نصرة الحق — إلى العراق ولكن خذله من جاء لنصرهم، فقاتله منهم خمسة آلاف، وهو فى اثنين وسبعين من أهله. وصحبه، فصبر، وقاتل، ولم يستسلم. فمنعوه الماء — مستعينين بالعطش على قتاله، مع أنه سقاهم، وسقى خيلهم. حين كان ءالك الماء، وقتلوا ابنه عبد الله طفلا — وهو فى حجره — رماه أحدهم بسهم، فذبحه.

وما زال أصحاب الإمام الحسين يقاتلون عنه، حتى قتلوا عن آخرهم.

ولما بقى وحده رضى الله عنه — تكاثر الأعداء عليه. فجرحوه أكثر من سبعين جرحاً.

فلما سقط على الأرض - ذبحوه، وداسوه بخيولهم واجتزوا رأسه، ورءوس جميع أصحابه، وتركوا أجسادهم بالعراء: مجردة من الثياب. بغير دفن، واحتملوا الرءوس على أطراف الرماح، والصبيان والنساء كالسبايا وزين العابدين بن الحسين مغلولا إلى عنقه من كربلاء: حيث كان القتال.. وقتل سيد الشهداء - الحسين - إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى دمشق.

---

(١) رواه الطبرانى عن حذيفة بن اليمان (ض).

حيث كان يزيد ، وقد قالت السيدة زينب أخت الحسين عند مرورها مع من كان معها على جثث القتلى ، وقد قتل بها : « واحمداه هذا الحسين بالعراء وبناتك سبايا وذريتك مقتله » ، فأبكت السامعين ، وتلت عند يزيد قوله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) ثم قالت له بشجاعة المؤمنة القوية بالله : كيف بك إذا وقفت بين يدى الله . يوم لا قاضى سواه ، ولا معقب لحكمه . وكان خصمك رسول الله ، وفاطمة تقول : يا جبار السموات والأرض اقض لى فيمن قتل ابنى ظلماً وعدواناً » .

ويا قوم :

هكذا مضى الإمام الحسين . المجاهد فى سبيل الحق شهيداً مظلوماً . كريماً صابراً . لم يتقهقر إلى النهاية ، مع أن الذين دعوه لبلدهم : ليدفع الشر عنهم - هم الذين خذلوه ، وأخلفوه ما وعدوه ، وقاتلوه حتى قتل . طلباً للحظوة عند الأمير . وطمعاً فى المال . فباعوا آخرتهم بدنياهم ، والله تعالى يقول : (قل متاع الدنيا قليـــل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) .

وقد خطب الإمام الحسين فى اليوم الذى استشهد فيه . فقال بعد الحمد والثناء : « عباد الله . اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر . فإن الدنيا لو بقيت لأحد . أو بقى عليها أحد ـ لكانت الأنبياء أحق بالبقاء . وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء . غير أن الله خلق الدنيا للبلاء ، وخلق أهلها للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمهـــا ، وسرورها مكفهر(١) ، والمنزل

(١) متكدر .

بلغة(١)، والدار قلعة(٢) . فتزودوا فإن خير الزاد التقوى . واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

فالعاقل من وزن الدنيا بهذا الميزان ، وعمل لآخرته . فإنه به تصلح الدنيا . ويسعد بآخرة عامرة : (فى جنة عالية) .

(وما الله بغافل عما يعمل الظالمون) . (إن ربك لبالمرصاد) .

فما مضى عام إلا وحلت بأعداء الحسين العقوبات . فوالى الكوفة . عبيد الله بن زياد . الذى كان يحرك عوداً بيده فى أنف الحسين ، ورأسه : رضى الله عنه - بين يديه - قتل - فى مثل اليوم الذى قتل فيه الحسين ، واحتز رأسه وأرسل إلى أحد أهل البيت النبوى الشريف ، وجاءت حية أمام الناس . فدخلت فى أنفه مراراً : كما فعل بالعود فى أنف الإمام ، ولكن أين العود من الحية ؟ (فاعتبروا يا أولى الأبصار) .

وما أجدرنا اليوم : لإزالة أثر العدوان الغاشم من الصهيونية والاستعمار على الدول العربية - أن نقتدى بالإمام الحسين فى الاستمساك بالحق ، ومقاومة أعدائه أنصار الباطل ؛ حرصاً على أن نكون أعزاء لا أذلاء . وقد قال فى الحسين صادق منصف :

والحسين الذى رأى الموت فى العز حياة والعيش فى الذل قتلا

أيها المسلمون :

قد جمع الحسين الفضائل ؛ ومكارم الأخلاق ؛ ومحاسن الأعمال :

---

(١) البلغة اليسير من الزاد .

(٢) ليست بمستوطنة .

من علو الهمة ، ومنتهى الشجاعة ؛ وأقصى غاية الجود والكرم - إلى نصرة الحق ، وجهاد الظلم والطغيان . مع التواضع والصبر ، والحلم . والعفاف . والمروءة .

فاتقوا الله . واقتدوا به . وادعوا للاقتداء به . مذكرين بفضائله وآدابه ، تزدادوا حباً فيه . وانتفاعاً به ، وإرضاء لربكم وربه . الذى قال : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) .

قال رسول صلى الله عليه وسلم : « أساس الإسلام حبى . وحب آل بيتى » رواه الديلمى . فى مسند الفردوس :

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين رضى الله عنهما : « هما ريحانتاى من الدنيا » رواه البخارى .

٣ - ذكرى المولد الحسينى

الحمد لله : يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من يحب ، فالمتدين حبيب الله ، وماذا يطلب العبد بعد حب الله ، وفى حبه — صلاح دنياه وأخراه .

وأشهد أن لا إله إلا الله : علق الكرامة بتقواه قال جل علاه : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله : أعلن فضل ابنى ابنته الزهراء : الحسن والحسين - على كل من مات شاباً مرضياً لله قال ﷺ : «(١) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله البررة الكرام ، وعلى صحابته الخيرة العظام .

أما بعد : فيا عباد الله .

نحن الآن — من الدنيا — فى وقت الأصيل من يومها . إن لم نكن فى مسائه : لدنو ساعة انتهاء الدنيا وقربها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : منذ قريب من أربعة وعشر قرناً «(٢) بعثت أنا والساعة كهاتين : وضم إصبعيه السبابة والوسطى » .

وإذا طالعنا التاريخ من فجر الدنيا إلى عصرنا — وجدنا من أدواء

---

(١) رواه الترمذى عن أبى سعيد (رض) (٢) رواه مسلم عن أنس (رض)

النفوس الناشية . وأمراضها الفاشية ـ الغش والغدر والخداع ، ونقض العهد والخيانة ، وتلك مقومات النفاق ، الذى يبعد عن رضا الخلاق الرزاق القائل فى المنافقين : (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) .

فما نجاح النفاق بدائم ، ولا قيمة لمكسبه : من مال أو جاه أو نحوهما فهو دنيوى زائل ، بل ما أقبحه من كسب به أليم العذاب . يوم يستغيث المنافقون فيغاثوا بماء كالمهل : كدردى الزيت : ومن شدة حرارته ـ (يشوى الوجوه بئس الشراب) .

ومن المنافقين الذين لحقهم فى الدنيا أقبح عار ، ولهم أليم العذاب فى النار ـ أهل العراق . الذين عاهدوا الإمام الحسين على أن ينصروه : حين دعوه ليدفع عنهم الظلم ، ويقيهم شر المتهاونين فى الدين .

يا قوم :

رأى الإمام الحسين ـ إزاء هذه الدعوة ـ لخدمة الدين ، ونصرة المظلومين ـ أن يجيبها : ابتغاء وجه الله ، وحرصاً على رضاه : فقد قال جده ﷺ : «(١) انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل : كيف أنصره ظالماً ؟ قال : تحجزه عن الظلم . فإن ذلك نصره » .

فسار رضى الله عنه إلى العراق ، ومعه اثنان وسبعون من أهله وأصحابه حتى قابلهم جيش الظالمين : بأربعة آلاف مقاتل . فصبر الإمام الحسين : رضى الله عنه وقاتل ولم يستسلم ، ومنعوه الماء : مستعينين بالعطش على

---

(١) رواه الإمام أحمد والبخارى والترمذى عن أنس (ض) .

قتاله . مع أنه سقاهم ، وسقى خيلهم : وهو يملك الماء ، وقتلوا ابنه - عبد الله - طفلا فى حجره : رماه أحدهم بسهم . فقضى عليه ، وقاتل عنه رضى الله عنه أصحابه ، حتى قتلوا عن آخرهم ، وبقى رضى الله عنه وحده . فتكاثروا عليه . فجرحوه أكثر من سبعين جرحاً ، فلما صرع - ذبحوه ، وداسوه بخيولهم ، واجتزوا رأسه الشريف ، ورءوس جميع أصحابه ، وتركوا أجسادهم بالعراء : مجردة بغير دفن . وحملوا الرءوس على أطراف الرماح ، وساروا بالصبيان والنساء . سبايا . من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى دمشق .

فما أغلظ أكباد هؤلاء البغاة ، وما أعظم غفلتهم عن الله : بما ارتكبوا من ظلم وخيانة ، وبيع آخرتهم بدنياهم . وقتل حبيب رسول الله ، ومن معه من أنصاره : طلباً للحظوة عند الظلمة أعداء الحق .

وما أفظع إساءة أهل العراق . الذين أخلفوا الحسين ما وعدوه ، ثم خذلوه . وقاتلوه حتى قتل .

وإنه رضى الله عنه - وإن كانت نهاية حياته لهم : بإساءتهم .. شهادة تعاسة وخسران - لقد فاز بها رضى الله عنه بشهادة أطيب حياة فى إنعام وإحسان : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) .

وفى فضل من مات شهيداً - قال جد الحسين رسولنا صلى الله عليه وسلم «(١) للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة(٢) ، ويرى

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى عن المقدام بن معديكرب (ض) .

(٢) أى من دمه : فالدفعة بالضم : مادفع من سقاء أو إناء فانصب=

مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر . ويأمن(١) من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار : الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين . ويشفع فى سبعين من أقاربه » .

والحسين الذى رأى الموت فى العز
حياة . والعيش فى الذل قتلا(٢)

حسبه أن حواه كتاب صفوة الشهداء ، المبدوء بسيد الأنبياء : جده : صلى الله عليه وسلم : من أثر ما خالط ريقه من سم قطعة اللحم التى مضغها من ذراع الشاة التى سمتها اليهودية بخيبر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فى آخر حياته : «(٣) ما زالت أكلة خيبر تعتادنى كل عام . حتى كان هذا أوان قطع أبهرى » .

وكذلك - وضعت(٤) يهودية السم لأبى بكر فى طعام أهدته له ، فأكل منه ، فلم يزل(٥) عليلا حتى مات عند انقضاء السنة .

= مرة : بخلاف الدفعة : بالفتح . فهى المرة الواحدة : من الدفع . الإزالة بقوة ، فلا يصلح هنا . ويقال : جاء القوم دفعة واحدة بالضم أيضاً : إذا دخلوا بمرة واحدة .

(١) الأمن من الفزع مع الإجارة من عذاب القبر - خصلة . .

(٢) قال هذا البيت أبو نصر بن نباتة .

(٣) رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة (ض) .

(٤) جاء ذلك فى فتح البارى .

(٥) روى ابن سعد عن الزهرى أن أبا بكر والحارث بن كلدة أكلا =

وقد قال الشعبي أحد علماء السلف(١) «ماذا يتوقع من هذه الدنيا الدنية، وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسم أبو بكر ، وقتل ظلماً عمر . وعثمان . وعلى والد الحسين ، وسم أخوه الحسن ، ففارق جميع هؤلاء — الحياة — شهداء .

فما أعظم إذاً فضل الشهادة : إذ اختارها : تبارك وتعالى لهؤلاء الصفوة المختارين من عباده ، وما أحق إذاً أهل الشهداء بالصبر والرضا : لما يناله شهداؤهم : من فضل وأجر ، وما ينالهم : من فضل شفاعتهم .

وهل بعد هذا — يا قوم — يزهد — فى الشهادة — عاقل مؤمن بأن الموت حتم ، وأن الدنيا فانية وخيراتها غير صافية ، وأن الآخرة باقية ، وبهجتها : (فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية) : يحيا أهلها — بما يزيد هناءها وبهاءها : يقال لهم : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية) .

وهل بعد الإيمان بفضل الشهادة وثمارها - يكون جبن عن الدفاع عن الدين ، أو النفس أو العرض أو المال ، أو دفع الظلم . وقد قال رسولنا : صلى الله عليه وسلم «(٢) من قتل دون ماله - فهو شهيد ، ومن قتل دون

= خزيرة - أهديت لأبى بكر وكان الحارث طبيباً ، فقال : ارفع يدك : فوالله إن فيها لسم سنة ، فلم يزالا عليلين ، حتى ماتا عند انقضاء السنة فى يوم واحد .

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ؛ وابن حبان فى صحيحه عن سعيد ابن زيد رضى الله عنه .

دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) وقال : صلوات الله وسلامه عليه : «(١) من قتل دون مظلمته فهو شهيد » ، وقال : عليه الصلاة والسلام : «(٢) الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد ، والمطعون(٣) شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات(٤) الجنب شهيد ، والمبطون(٥) شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع(٦) شهيد » ومعنى تموت بجمع : تموت(٧) مع شيء مجموع فيها . وهو الجنين .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، واذكروا مع فضل الشهادة : عنـــد فراق موتاكم الحياة : — شهداء الحق والوطن : لتصبروا . فتفوزوا : ولتقتدوا

---

(١) رواه الإمام النسائي . والضياء عن سويد بن مقرن (ض) .

(٢) رواه مالك . والإمام أحمد . وأبو داود . والنسائي وابن حبان والحاكم عن جابر بن عتيك (ض) ؛ وروى مالك والبخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة (ض) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله » .

(٣) أي الذي يموت في الطاعون .

(٤) أي العلة تكون في الجنب .

(٥) الذي يموت بداء البطن : كالاستسقاء .

(٦) بضم الجيم وكسرها .

(٧) فهي التي تموت في النفاس وولدها في بطنها لم تلده وهذا المعنى هو الأشهر وقيل هي التي تموت عذراء لم تفتض .

فتسعدوا ـ بأخلاق الحسين العظيمة . وخصاله الشريفة الكريمة . التى من أجلها نذكرها ونذكركم . فاذكروا كرمه وإحسانه . ووفاءه ومعروفه وغير ذلك : من كل خصلة طيبة . وخلق فاضل . واحرصوا مثله على الجهاد فى سبيل الله . ولا ترهبوا الموت فى الجهاد ؛ فألمه هين جداً ؛ وارغبوا فى الشهادة : لإعلاء كلمة الله . ونصر الحق والعدل ، وخذلان الباطل وإبعاد الظالم . وكونوا شجعاناً : كالحسين ، فانصروا دينكم ووطنكم ، ودافعوا عن أنفسكم وأعراضكم وأموالكم ، ولا تستسلموا لعدوكم . ولا تقبلوا الظلم (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب حسيناً : الحسن والحسين سبطان من الأسباط » رواه البخارى فى الأدب . والترمذى ؛ وابن ماجه والحاكم : عن يعلى بن مرة : رضى الله عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة » رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى قتادة رضى الله عنه .

خطبة عيد الفطر

يذكر الخطيب : (الله أكبر) تسع مرات مفردة . ثم يقول : الله أكبر : ما تزكت النفوس بالطاعة فى أوقات رمضان . الله أكبر : ما صفت الأرواح . واستنارت القلوب . وطهرت بالقرآن . الله أكبر : ما تعاطف المسلمون . وتلاقوا بالتصافح : فى توراد . وتحاب . وسلام . وما سعوا بشوق . وحرص - إلى إدامة طاعة مولاهم العلام . الرحيم . الحكيم ، الذى أوجب الفطر فى هـــذا اليوم . وحرم الصيام ، وهو رب الفضل . والإكرام .

الحمد لله ، الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور .

وأشهد أن لا إله إلا الله : جعل هذا اليوم . عقب رمضان — يوم صفاء ، وبهجة وسرور .

وأشهد أن سيدنا محمداً - عبده ورسوله ، وصفيه وخليله . وخير من هدى إلى طاعة الله . العزيز . الغفور .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير من تمسكوا بسنته .

أما بعد :

فعن كثير بن عبد الله المزنى : عن أبيه : عن جده قال : « سئل رسول الله ﷺ : عن هذه الآية (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) قال: أنزلت فى زكاة الفطر ، رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

وقال ابن عباس : رضى الله عنهما : فرض رسول الله ﷺ : صدقة

الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين . فمن أداها قبل الصلاة - فهى زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة - فهى صدقة من الصدقة[1] » .

فاليوم — يا عباد الله — تظهر آثار الصيام : فى معاملة الخلق والخالق وأولها - شكر الله تعالى : بتأدية زكاة الفطر ، قبل الصلاة ، وهى دين على من وجبت عليه حتى يؤديها ، وعن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم شهر رمضان - معلق بين السماء والأرض : لا يرفع إلا بزكاة الفطر[2] » .

وسمى اليوم عيدا : لعود السرور بعوده ، ولكثرة عوائد الله ، وإكراماته : على عباده فيه .

فليكن منا الشكر للمنعم المتفضل فى هذا اليوم المبارك : حرصاً منا على دوام تفضله تعالى وإنعامه ، وقد قال : جل وعز : (لئن شكرتم لأزيدنكم » - وأيضاً - الشكر له تعالى - يكون بالتزاور ، وحسن اللقاء ، والتبسم والسلام والمصافحة فى صفاء ، وبالكلام الطيب ، والمعاملة الحسنة

---

(١) رواه أبو داود . وابن ماجه . وغيرهما .

(٢) رواه أبو حفص بن شاهين فى فضائل رمضان . وقال حديث غريب . جيد الإسناد . والغريب : ما تفرد به راو واحد ولو فى طبقة واحدة : كحديث « إنما الأعمال بالنيات » فقد تفرد به من الصحابة - عمر - رضى الله عنه ، ومن التابعين - علقمة - وعن علقمة - تفرد به محمد بن إبراهيم التيمى . وتفرد به يحيى بن سعيد . ثم رواه عن يحيى عدد كثير فى كل طبقة .

وصالح الأعمال ، وصلة الأرحام ، ومواساة الأيتام ، والإحسان إلى الجيران - صالحات ، وحسنات : يجدها المؤمن نوراً ، وحسن جزاء : فى أخراه ، وآمالا طيبة محققة : فى دنياه ، فاعمروا يومكم بها (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم عيد الفطر - وقفت الملائكة على أبواب الطرق ، فنادوا : اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم : يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل ، فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا - نادى مناد : ألا إن ربكم - قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة » رواه الطبرانى فى معجمه الكبير .

خطبة عيد الأضحى

يذكر الخطيب: (الله أكبر) - تسع مرات مفردة، ثم يقول: الله أكبر: ماحج بيت الله مسلم، الله أكبر ما لبى لله محرم، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر: ما طاف حاج بالكعبة المشرفة، الله أكبر: ما أدى الحجاج المناسك، ووقفوا بعرفة، الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر. ماقبل: تعالى - ابتهال مبتهل، وعرفه. ثم وصل منى يوم النحر، الله أكبر: ما ذبح من معه هدى(1)، ورمى الحجاج جمرة العقبة: في صدق إخلاص. وطهر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

الحمد لله، القائل: (إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر)(2).

وأشهد أن لا إله إلا الله: يحب المحسنين. وأثر حبه. وثمرته - خير عظيم، ولهذا - قال: تعالى (وبشر المحسنين).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل: «ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق دم، وإنه - لتأتي يوم القيامة بقرونها

---

(1) ما يهدى إلى الحرم: من الإبل. والبقر. والغنم: تقرباً إلى الله تعالى.

(2) الكوثر: هو الخير الكثير. شانئك: مبغضك. الأبتر: المقطوع من الخير.

وأشعارها . وأظلافها . وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفساً[1] » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، الصفوة الأماجيد ، الركع . السجود .

أما بعد فيا عباد الله . .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا فاطمة . قومي إلى أضحيتك . فاشهديها ، فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها - أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك : قالت يا رسول الله . ألنا خاصة أهل البيت ، أولنا وللمسلمين ؟ قال : بل لنا وللمسلمين » رواه البزار وأبو الشيخ بن حبان في كتاب الضحايا وغيره .

منهاج عيد الأضحى وما معه : من أيام عرفة ، ومنى - التكبير عقب الصلوات . فكبروا عقب الصلوات في يومكم . وفي الأيام الثلاثة بعده . وعظموا شعائر الله . وتعاليم دينه . فصلوا الأرحام . وأكرموا المساكين والأيتام . وانبذوا الخصام . وانتهوا لقول الرسول ﷺ : «[2] يأيها الناس ضحوا . واحتسبوا بدمائها . فإن الدم - وإن وقع في الأرض - فإنه يقع في حرز الله عز وجل » .

واسمعوا ، وعوا ، وانتفعوا قال : عليه الصلاة والسلام : «[3] من وجد سعة لأن يضحى ، فلم يضح - فلا يحضر مصلانا ، وقال صلوات الله

---

(١) رواه ابن ماجه ، والترمذي . والحاكم عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الطبراني في معجمه الأوسط عن علي (ض) .

(٣) رواه الحاكم عن أبي هريرة (ض) .

وسلامه عليه : «(١) خير الأضحية ـ الكبش ، وفى رواية(٢) : الكبش الأقرن . وخير الكفن الحلة(٣) » ، وقال ﷺ : «(٤) من باع جلد أضحيته ـ فلا أضحية له » فاحذروا بيع جلد الأضحية ، وتبرعوا به فى سبيل الله تعالى : لمشروع خيرى . كالجمعيات التى تعنى بتحفيظ القرآن الكريم . أو عمارة المساجد . أو دفن الموتى . أو الإسعاف . ونحوها (واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين ، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

قال رسول الله ﷺ : « من ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار » رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن حسن بن على رضى الله عنهما .

---

(١) رواه أبو داود . والترمذى . وابن ماجه عن أبى أمامه (ض) .

(٢) رواها ابن ماجه .

(٣) هى برود من اليمن . لا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد . والمراد أنها من خير الكفن .

(٤) رواه الحاكم : عن أبى هريرة (ض) .

الحث على الاقتداء بسيدنا عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

الحمد لله : سجل مجد الأمة الإسلامية ، أمة خير البرية بقوله الكريم : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

وأشهد أن لا إله إلا الله . رفع علم الإسلام . بقائده الأعظم ، محمد عليه الصلاة والسلام . وصحبه الأئمة الأعلام . وقال سبحانه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله القائل : «(١) إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » . وخاطبه فقال : «(٢) والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . عمر وأمثاله ، الذين قال الله فيهم : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه(٣) ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

---

(١) رواه الترمذى عن ابن عمر (ض) .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص (ض) ، وفجا أى طريقاً . (٣) مات .

أما بعد : فيابنى الإسلام ، ويا أتباع خير الأنام : اسمعوا . وعوا . وانتفعوا :

رأى رسولنا صلى الله عليه وسلم : فى منامه ـ أنه يسقى بدلو من بئر . فجاء أبو بكر فسقى بدلو مرة أو مرتين سقياً ضعيفاً . ثم جاء عمر بن الخطاب . فصارت الدلو بيده دلواً عظيمة . فأخرج بها من ماء البئر . حتى روى الناس . .

فأفادت هذه الرؤيا الشريفة ـ ورؤيا الأنبياء وحى لا ينكر ـ أن حال الضعف فى سقى أبى بكر بالدلو من البئر ـ رمز إلى قصر مدة حكمه رضى الله عنه ، وخلافته لرسول الله ﷺ ، التى ارتد فيها كثير من العرب عن الإسلام . لخارجهم . وأراهم أن الإسلام لن يطفأ نوره : كما أفادت هذه الرؤيا أن كبر الدلو ، وعظمها بيد عمر : عما كانت عليه . وفيض الرى على يده رضى الله عنه ـ رمز إلى طول مدته . واتساع مجالات العمل فى عهده . ورفعة شأن الأمة . وعظم سلطانها . واستقرار أمور الدولة ونظامها فى زمنه . وكثرة الخير فى أيامه . وسبقه إلى أعمال عجيبة يبتكرها ، وينفرد بها : كإنشاء الدواوين : لضبط نظام الحكم ، وكالقضاء العسكرى . لمنع الضرر من أقرب الطرق ، ومن ذلك ـ إرساله ـ نصر بن حجاج . الذى فتن بجماله النساء ـ إلى البصرة . للعمل فى تجارة تشغله . وتشغل النساء عنه حين هتفت ـ فى الليل ـ امرأة باسمه ، وتمنت أن تشرب الخمر وتلقاه وهذا هو معنى العبقرية .

ولذلك ـ قال : النبى صلى الله عليه وسلم فيه حين قص رؤياه التى

سمعتموها : «(١) فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريه» يعنى أن عمر - يتفرد فى عمله، ويأتى فيـــه بالعجب . الذى يعجز غيره، وبهذا - لفت الرسول ﷺ - الأنظار إلى تفوق عمر . وامتيازه .

ومن هنا — اختاره أبو بكر . ليكون الخليفة فى الحكم بعده : تبارك الله . واهب المزايا والقدر - أخرج - بالدعوة المحمدية - لنهضة الأمة الإسلامية - عمر .

فلولا البعثة المحمدية ، والدعوة الإسلامية - ما سمعنا بابن الخطاب . الذى اختاره الله دون سواه . حين دعا رسول الله ﷺ فى أول دعوته بقوله : «(٢) اللهم أعز الإسلام بأحب هـــذين الرجلين : أبى جهل أو عمر بن الخطاب ، قال ابن عمر : فكان أحبهما إليه عمر . فأصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ . فأسلم ذلكم الختار . لنصرة الإسلام : عمر

---

(١) روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا فى بئر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر ، فأخذ أبو بكر الدلو . فنزع ذنوباً أو ذنوبين . وفى نزعه ضعف فغفر الله له ، ثم أخذها عمر بن الخطاب من يد أبى بكر . فاستحالت فى يده غربا . فلم أر عبقرياً من الناس يفرى فريه . حتى ضرب الناس بعطن » . فاستحالت فتحولت ، وغربا أى دلواً عظيماً ، وعبقرياً أى كاملا حاذقاً فى عمله . ويفرى فريه أى يعمل عملا جيداً عجيباً : حتى ضرب الناس بعطن أى رويت إبلهم حتى بركت . وأقامت فى أماكنها . فالعطن بفتح الطاء : ما يعد للشرب حول البئر . من مبارك الإبل .

(٢) رواه الترمذى عن ابن عمر (ض) .

تجلت فيه صفتا الرحمة والشدة : يرضى بهما الله . بضمير صاف نقي ، مقتنع بدينه . في إيمان وثيق ، انظروا . رحمكم الله .

كان جبلة بن الأيهم أميراً نصرانياً . فأسلم ، وتبعه طائفة من قومه ، ثم وطيء أعرابي إزاره .. فلطمه جبلة — أمام جمع من الحجاج — فحكم عمر بأن يلطم الأعرابي الأمير — أمام ذلك الجمع — جزاء وفاقاً . لأن الإسلام ، دين المساواة — لا يفرق بين الأمير وأحد الرعية .

ذلكم الشديد . في الحق . والعدل : عمر .

رأى يهودياً مسناً ضريراً : يسأل على الأبواب ، من أجل احتياجه والحصول على مبلغ الجزية ، المفروضة عليه ، وكانت تؤخذ منه ومن أمثاله ، من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ، فأرسل عمر إلى خازن بيت المال . ليعطيه ما يسد حاجته ، وقال : والله ما أنصفناه . إن أ كلنا شبيبته وخذلناه عند الهرم ، وألغى الجزية عنه ، وعن أمثاله .

وكم لرحمته رضي الله عنه ، من شواهد بالضعفاء . بعداء وأقرباء ، صغاراً وكباراً ، نساء ورجالا . بل بالحيوان الأعجم . كان رضي الله عنه — يداوي البعير الكثير الجروح ، ويقول : إني لخائف أن أسأل عما بك ، وضرب رضي الله عنه رجلا ، وزجره : لأنه يحمل جمله ما لا يطيق ، وكان رضي الله عنه شديد الغيرة في الحق حتى تهوراً ، فأشار على النبي ﷺ — بحجاب أزواجه عن الرجال . قبل نزول آية الحجاب : (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) .

وكان رضي الله عنه يغار على كل خلق عربي : جاء به الإسلام ، وزكاه كما يغار على العقيدة . والشريعة ، وكل حق يحميه غيور .

والرسول ﷺ ـ قال : «(١) إن الله تعالى يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله » .

وليجمع المسلم مكارم الأخلاق — أمام عينيه — وليتأملها خلقاً خلقاً ، في عمر .

فهو رضى الله عنه — متخلق بها كلها .

فالعفة ، والأمانة ، والصدق ، والكرم : كلها من خصاله وحلاه ، وبلغ من عدله — أنه بلغه — أن عمرو بن العاص — أقام حد شرب الخمر : على ابنه ، عبد الرحمن . في صحن داره ، لا في الخارج . أمام جميع الناس ، فلامه غاية اللوم ، وأمر بإرساله إليه . ليقيم عليه الحد علانية . أمام الجميع ، لا في صحن الدار فلما وصل المدينة — كلم عبد الرحمن بن عوف عمر — في أنه أقيم عليه الحد مرة ، فلم يلتفت إليه ، وزجره ، فأخذ الابن يصيح : أنا مريض ، وأنت قاتلي ، فضربه ، وحبسه ، ثم مرض . فمات: رحمه الله(١) .

وكان عمر شجاعاً كما كان عادلا . قال علي بن أبي طالب : ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً غير عمر بن الخطاب .

ثم ذكر رضى الله عنه — أنه مر بسلاحه على جمع قريش ، وهم حول الكعبة . وقال : من أراد أن يثكل أمه : يجعلها ثكلى . حزينة . بفقده أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجته — فليلقني وراء هذا الوادي : في خارج الحرم .

(١) مع أن ذلك الابن شرب ما كان يظنه حلالا . فسكر منه . فطلب من والي مصر أن يقيم عليه الحد الذي به طهارته باطمئنان .

والمسلم جندي يزيل العقبات من طريق الإسلام . ويحمي مبادئه . ويقيم أوطانه آمنة مطمئنة، وخصائص الجندي . وصفاته المميزة له — كثيرة : منها — زيادة على الشجاعة — الصراحة . والحزم . والعزم . والخشونة والغيرة على الشرف . والنجدة والنخوة أو المروءة . والاستنكاف من الوقوع في الدنايا ، والنظام . والطاعة . لنصرة الحق . وخذلان الباطل ، وتقدير الواجب . وحب إنجاز الأمور . في حدود التبعات . والمسئوليات وبهذه الخصائص . والصفات — يثبت الجندي المحترم وجوده .

وهي متوافرة واضحة في عمر ، الذي كان إذا مر بالطريق — استخدم درته : عصاً صغيرة كان يحملها في يده . ليردع المخالفين ، ويحملهم على احترام القانون . والذي كان — من تواضعه — أنه — إذا صعد المنبر — نزل درجة من سلالمه ، حتى لا يكون في موقف أبي بكر ، الخليفة الأول ؛ والذي كان إذا رأى مسايل الماء ، أو حظائر الإبل . والغنم : تعترض طريق المسلمين ، أمر بتحويلها ، وإذا هم بالصلاة — حرص على تسوية الصفوف ، قبل التكبير ، وكان يأمر بتــدريب الشبان على الرماية . والسباحة ، والمصارعة . والفروسية : إلى غير ذلك . من الخصال . والصفات الكريمة ، التي تجمل بالجندي المسلم . الذي يحمي حمى الإسلام ، ويسعى إلى إقرار الحق بين الأنام .

وزهده في الدنيا : بترفعه عن المظاهر والشهوات الذاتية ، وعن اتباع الهوى — أمر تشهد به الدنيا : قال حذيفة بن اليمان : صاحب رسول الله ﷺ : أقبلت على الناس . وبين أيديهم — القصاع ، ودعاني عمر على الطعام ، وعنده خبز غليظ وزيت ، فقلت : أمنعتني اللحم ، ودعوتني على هذا ؟ قال عمر : إنما دعوتك على طعامي . أما ذاك — فطعام المسلمين ،

فللمسلمين — ما شاءوا من الحلال : أما الرجل ، الذى ينفق من بيت المال — فحسبه ما يكفيه ، والحرج كل الحرج — أن يزيد على ذلك ، وإنه ليزداد حرجاً : إذا كان من أصحاب الرسول ، ويعلم كيف كان يأكل الرسول . وكيف يلبس . . ثم يصيب خيراً مما أصاب الرسول فهو رضى الله عنه — كان حريصاً على محاسبة نفسه . قبل أن يحاسبه غيره . وقبل محاسبة الله له يوم الحساب .

ومع ذلك — لم ينه رضى الله عنه غيره عن الحلال . والتمتع بالطيبات من الرزق : كتب إليه أبو عبيدة أنه لا يريد الإقامة فى أنطاكية . بالشام لطيب هوائها ووفرة خيراتها . مخافة أن يركن الجند إلى الراحة . فلا يصلحوا للقتال . فأنكر عليه ذلك . وأجابه قائلا : إن الله عز وجل — لم يحرم الطيبات على المتقين . الذين يعملون الصالحات ، فقال تعالى : (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم) . وعليك أن تريح المسلمين . وتدعهم يرغدون . فى مطعمهم . ويريحون الأبدان النصبة — أى التى أصابها النصب . وهو التعب — فى قتال من كفر بالله .

وكان رضى الله عنه — يحرص على أن يكون المسلم عزيزاً فى غير كبرياء ، فكان يضرب من يتهاون فى مشيته — ويستكين . ويذل . ليظهر التخشع ، ويقول له : لا تمت علينا ديننا . أماتك الله .

وما كان يرضيه رضى الله عنه أن يعتمد الفقراء على الصدقات . والعطايا . ويعرضوا عن العمل . فكان يقول لهم . « يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات — أى تنافسوا

فيها — ولا تكونوا عيالا على المسلمين » : — عالة عليهم . تعيشون مما عليكم ينفقون — .

أيها المسلمون :

هذا قليل من كثير . من مآثر الخليفة الراشد ، عمر بن الخطاب . فيه تذكرة لأولى الألباب .

فاتقوا الله . واقتدوا به — يعل قدركم ، ويتحقق — فى الدنيا — على العدو نصركم ، وفى القيامة — عزكم . وسعدكم . فقد قال نبيكم ﷺ : « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) » .

وقال ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدى . أبى بكر وعمر » رواه الإمام أحمد . والترمذى . وابن ماجه عن حذيفة رضى الله عنه .

الإشاعة لأشراط الساعة

ليحرص المسلم على الاستعداد لها ، فيسلم ويفوز

الحمد لله : بين للناس القيامة وأهوالها . وسماها الساعة . لسرعة قيامها وحث على تقواه للسلامة فيها ، وأعلن قربها . لينتبه الغافل . وقال تعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد) .

وأشهد أن لا إله إلا الله . من رحمته — أن جعل للساعة علامات . ليتزود العاقل لها من دنياه . بطاعة مولاه ، ويجتنب ما عنه نهاه ، وقد قال تعالى فى الغافلين المكذبين بآياته (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله . المرسل بين يدى الساعة بشيراً ونذيراً ، الذى أخبر عن جميع أشراط الساعة ، والعلامات قبلها ، وقال ﷺ : «(١) بعثت أنا والساعة كهاتين : كفضل إحداهما على الأخرى ، وضم السبابة والوسطى» .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله . وصحبه ، وعلى سائر أحبابه . وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس (ض) .

أما بعد : فيا عباد الله

من صالحى الأمة المحمدية ، فى زمن مضى — رجل يقال له : سعدون المجنون . كان رضى الله عنه — يدور فى شوارع البصرة ، ويقف على كل دار مر بها ، ويقرأ : (يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) ، ويبكى وينشد :

فلو لم يكن شىء سوى الموت والبلى
وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقاً يابن آدم بالبكا
على نائبات الدهر مع كل مسعد

وعلى عكازه(١) — مكتوب سطران :

اعمل . وأنت بذى الدنيا على وجل
واعلم بأنك — بعد الموت — مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل
يحصى عليك وما خلفت موروث

---

(١) قبل هذا وكان إذا اشتد به الجوع — أنشد :

إلهى أنت قد آليت حقاً بأنك لا تضيع من خلقتا
وأنك ضامن للرزق حتى تؤدى ما ضمنت كما قسمتا
وإنى واثق بك يا إلهى ولكن القلوب كما علمتا

وكان عليه جبة صوف مكتوب على كمها الأيمن سطر :

عصيت مولاك يا سعيد ما هكذا تفعل العبيد

وعلى كمها الأيسر مكتوب سطران :

تباً لمن قوته رغيف يأتى به السيد اللطيف =

وما أغلى هذه الموعظة التى وعظ بها سعدون ، وما أجدرنا بالانتباه لها وقد قال تعالى : (والساعة أدهى وأمر) : أى مما يصيب من دواهى الدنيا وغدراتها : فأمر الساعة شديد ، وهولها مزيد . فإن الله فى يوم قيام الساعة يحكم بين الأولين والآخرين ، ويميز بين المخلصين والمنافقين ، ويذل الظالمين ، ويعز المظلومين . ويقضى للمؤمنين بالفوز والسعادة ، وعلى الكافرين بالخسران والشقاوة . قال تعالى : (فأما الذين شقوا فنى النار لهم فيها زفير وشهيق) . والزفير : إخراج النفس من الصدر مع شدة الحزن ، والشهيق : رد النفس إلى الصدر ، والمراد بهما : الدلالة على شدة كربهم وغمهم فى النار (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا فنى الجنة خالدين فيها ما دامت والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) : أى غير مقطوع عنهم .

وقد استأثر الله بعلم الساعة وقال : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها

= يعصى إلهاً له جـــلال وهو به راحم رءوف

ومن خلفه سطران :

كل يوم يمر يأخـــذ بعضى يذهب الأطيبين منى ويمضى
نفسى كفى عن المعاصى وتوبى ما المعاصى على العباد بفرض

ومن بين يديه سطران :

أيها الشامخ الذى لا يرام نحن من طينة عليك السلام
إنما هـــذه الحياة متاع ثم موت به تساوى الأنام

فقيل له : أنت حكيم . لست بمجنون ، فقال : أنا مجنون الجوارح — الأعضاء — لست بمجنون القلب ، ثم ولى هارباً رضى الله تعالى عنه .

قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت(١) في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي(٢) عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

لذلك — يا قوم — أكثر رسولنا ، نبي الرحمة ، وهادي الأمة من بيان أمارات الساعة ، ليكون الناس على حذر منها ، متهيئين لها بالأعمال الصالحة ، غير منهمكين في الشهوات واللذات ، آخذين بتعاليم الإسلام مستمسكين بكتابه ، وهدى رسوله ، قال ﷺ : «(٣) لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال ، وهو المعروف بالمسيح الدجال الذي نستعيذ بالله من فتنته ، ومن أولئك الكذابين مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة باليمامة من بلاد العرب ، وقتل في حرب اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنـــه ، وقال ﷺ : «(٤) لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم — أي يموت العلماء — وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان — أي حتى يكون اليوم كالساعة — وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج — وهو القتل — » .

ومن الفتن في زمننا - استيلاء اليهود على بعض جهات عربية ، فهم الذين قال فيهم : (لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم

---

(١) شقت على أهلها .

(٢) كأنك عالم بها ، وذكر الإمام محمد بن رسول البرزنجي . في مقدمة كتابه الإشاعة لأشراط الساعة أن الله تعالى علم الساعة النبي ﷺ ونهاه عن الإخبار بها تهويلا لشأنها ، وتعظيماً لأمرها .

(٣) رواه أحمد والطبراني عن سمرة (ض) .

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة (ض) .

لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

ألا لا يفتننكم - يا قوم - ذلك الاستيلاء فالعبرة بالخواتيم ، فلم يحرز اليهود نصرة فى أخذنا على غرة ، ولم ينجوا من الذلة مع معونة أمريكا ، وقد قال ﷺ : «(١) لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يامسلم . هذا يهودى خلفى تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

وقال ﷺ : «(٢) لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية . والورع تصنعاً » .

وما أكثر فى زمننا قصص أهل الزهد ، بإعجاب مع التكالب على الدنيا ، والبخل ، وعدم الإنفاق فى سبيل الله . وكم من متظاهر بالورع . لا يبالى بتعاطى الحرام ، وأكل أموال الناس بالباطل .

فالسعيد عند الساعة من كان اليوم زاهداً بالفعل ، لا حاكياً للزهد بالقول ، ومن كان اليوم عن الحرام متورعاً ، لا للورع متصنعاً : كمن يحدث فى جبهته — علامة على أنه كثير الصلاة (والله بكل شىء عليم) (والله عزيز ذو انتقام) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة (ض) .

وقال ﷺ : «(١) لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله».
فالأرض - حينئذ - تكون - بعدم ذكر الله - مملوءة بالقساة ، والفجرة الذين لا يعرفون الخالق الرازق رب العظمة والقدرة . ومستحقة لغضبه تعالى - ولذلك - قال ﷺ : «(٢) لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» .
وقال صلوات الله وسلامه عليه «(٣) لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس فى الدنيا لكع بن لكع» فمن أمارات الساعة شقاء الكرام وسعادة اللئام(٤) .

وإذا كنا نحمد الله تعالى : لأن جهات كثيرة من الأرض عامرة بذكر الله ، ونحب أن لا تخلو الأرض من ذكره تعالى - فلنذكر الله كثيراً ، ولنحرص على معرفته بطاعته ، ولندع إلى ذلك ما استطعنا . والله تعالى يقول : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) .

وقال ﷺ : «(٥) لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل . فيقول : يا ليتنى مكانه» . وذلك لكثرة البلايا ، والمسئوليات ، وهموم الحياة .

وينفع فى علاج ذلك - ما ينفع عند قيام الساعة . من كثرة الاستغفار اليوم مع برهان الصـــدق فى ذلك . بطاعة الغفار ، وقد قال ﷺ :

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى . عن أنس (ض) .
(٢) رواه الإمام أحمد ومسلم عن ابن مسعود (ض) .
(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى والضياء عن حذيفة (ض) .
(٤) لئيم أحمق دنىء .
(٥) رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة (ض) .

«(١) من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً . ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وقال أبو هريرة : «(٢) بينما رسول الله ﷺ فى مجلس يحدث القوم إذا جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ، فمضى رسول الله ﷺ فى حديثه ، فقال بعض القوم سمع ما قال : فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه - قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : هأنذا يا رسول الله قال : إذا ضيعت الأمانة - فانتظر الساعة قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله - فانتظر الساعة » .

فإسناد الأمر إلى غير أهله - يكثر الفساد ، والظلم ، ويجعل غضب الله شديداً ، ولا يسند الأمر إلى غير أهله إلا ذو هوى ، والله تعالى يقول : (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) .

والعاقل - حين إسناد الأمر إلى غير أهله - يستعد لقيام الساعة - بما يقى غضب الله : من امتثال أوامره . واجتناب نواهيه قال ﷺ : «(٣) من اتقى الله وقاه كل شىء »

وقال ﷺ : «(٤) من أشراط الساعة - الفحش والتفحش . وقطيعة الرحم . وتخوين الأمين . وائتمان الخائن » .

(١) رواه الإمام أحمد ، والحاكم ، عن ابن عباس (ض) .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه ابن النجار عن ابن عباس (ض) .

(٤) رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أنس (ض) .

فلنق - أنفسنا شر الساعة بالبعد من هذه الرذائل الشائعة اليوم ، ومن أفحش الفحش - سب الدين . الذي يفرق بين الزوجين ، ويجعل العيش بينهما حراماً إلا أن يتوب من سب منهما .

وقال ﷺ : «(١) من أشراط الساعة - أن يمر الرجل فى المسجد : لا يصلى فيه ركعتين ، وألا يسلم الرجل إلا على من يعرف ، وأن يبرد الصبى الشيخ - أى يجعله رسولا فى قضاء حوائجه » .

وإنا نشاهد فى زمننا ذلك كثيراً ، فلنستعد للساعة . بالحرص على تحية المسجد وبقراءة السلام على من نعرف . ومن لا نعرف ، ولنرشد صبياننا . لتوقير كبارنا ، واحترامهم ..

وقال ﷺ : «(٢) يكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة » فلنعبد الله على علم ، ولنقف عند حدود القرآن ، حتى لا نكون من أولئك المذمومين .

وقال ﷺ : «(٣) إن من أعلام الساعة وأشراطها - أن تكثر الشرط والهمازون . والغمازون . واللمازون ، وأن تكثر أولاد الزنا » ، والشرط هم أعوان الظلمة والله تعالى يقول : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) . والهمازون والغمازون هم أهل الغيبة ، والله تعالى يقول : (ولا يغتب بعضكم بعضاً

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير عن ابن مسعود (ض) .
(٢) رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس (ض) .
(٣) رواه الطبرانى عن ابن مسعود (ض) .

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) ، وكثرة أولاد الزنا من كثرة الزنا . والله تعالى يقول : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .

ومن أشراط(١) الساعة - وضع الأخيار ، ورفع الأشرار ، وإذا اقتربت الساعة(٢) كان أن يربى الرجل جرواً - أى ولد كلب - خيراً له من أن يربى ولداً له : وذلك من شدة إيذائه لأبيه ، وإساءته له .

والمسلم اليقظ يحذر حين ذلك أن يعصى الله باحتقار الأخيار ، أو تعظيم الأشرار ، أو عقوق الوالدين . وإيذائهما ، فلن ينفعه يوم القيامة كثرة الظالمين لأنفسهم بعصيان الله بذلك : (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) .

وقال ﷺ : «(٣) لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون . فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .

---

(١) أفاد ذلك حديث عمر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، فيما رواه مسلم .

(٢) أفاد ذلك ما رواه الطبرانى والحاكم عن أبى ذر رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، وروى الديلمى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يأتى على الناس زمان لأن يربى أحدكم جرو كلب خير له من أن يربى ولداً » .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (ض) .

فيأيها المسلم :

اتق الله ، ولا تتعد حدوده ، وحافظ على أداء الصلوات فى الأوقات ، وصم بعيداً عن جميع المنكرات ، وكن صادقاً أميناً ، مخلصاً دينك لله ، واحرص على فعل كل خير ، واجتناب كل شر . استعداداً لقيام الساعة بما به حسن ثواب الآخرة ، والسلامة من ضرها ، وبرهن على حبك لله ورسوله بطاعته تعالى والاقتداء به ﷺ .

واعتبر بما من أشراط الساعة الدالة عليها ، وتب عاجلا من ذنبك قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، وجاهد فى سبيل الله وانصر دينك ووطنك تفز برضا الله دنياك وآخرتك ، وانتبه لقول ربك : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) .

قال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال سبعاً . فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً . أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً(١) ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر » رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقال ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة(٢) وأخذتم أذناب البقر ورضيتم

---

(١) موقعاً فى الفند وهو ضعف الرأى .

(٢) العينة - هو أن يبيع رجل لرجل عيناً بثمن كثير مؤجل ويسلمها له ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به ليبقى الكثير فى ذمة المشترى أو يبيعه عيناً بثمن يسير نقداً ويسلمها له ، ثم يشتريها منه بثمن كثير =

بالزرع وتركتم الجهاد — سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » أى إلى الاهتمام بأمور دينكم . رواه أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وجاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . متى الساعة ؟ فقام النبى : صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة . ثم صلى . ثم قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال الرجل : أنا . قال : ما أعددت لها ؟ قال : يا رسول الله . ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام . إلا أنى أحب الله ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب . وأنت مع من أحببت . قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فرحهم بها ، رواه الترمذى(١) عن أنس رضى الله عنه .

وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم والنسائى عن أبى موسى رضى الله عنه .

وقال ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

= مؤجل سواء قبض الثمن الأول أم لا ، وهى مكروهة عند الشافعية لما فيها من الاستظهار على ذى الحاجة ، والبيع صحيح ، محرمة عند غيرهم . وسميت عينة : لحصول النقد لصاحب العينة . لأن العين هو المال الحاضر من النقد ، والمشترى إنما يشتريها بعين حاضرة تصل إليه معجلة .

(١) قال الإمام محمد بن الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى فى كتابه إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين « الحديث مشهور جداً أو متواتر عن النبى ﷺ : لكثرة طرقه » .

التذكير بالمرجع والمصير

للعمل في الحياة بعد الموت

الحمد لله : تفرد بالبقاء والثبوت ، وهو الحي الدائم الذي لا يموت : (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله . قهر العباد بالموت ، هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، المنزل عليه في آيات الكتاب المكنون : (إنك ميت وإنهم ميتون) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، الذين لم يغفلوا عن ذكر الموت ، فلم تلهم عن ذكر الله تجارة . ولا مال ولا بنون (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) .

أما بعد : فيا عبد الله :

كان بعض الصالحين ينادي بليل على سور المدينة . الرحيل الرحيل . فلما توفي — فقد صوته أمير المدينة ، فسأل عنه ، فقيل إنه مات ، فقال :

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظاً متشمراً ذا أهبة لم تلهه الآمال

وحقاً — يا قوم :

الغائب الذى يجب أن ينتظره كل فرد : هو الموت ، وهو أحد الواعظين ، اللذين تركهما فينا رسول الله ﷺ ، وهو الواعظ الصامت ، والواعظ الآخر ، وهو الناطق : القرآن الكريم ، والسعيد من انتبه لهذين الواعظين ، فاتعظ ، والشقى : من غفل عنهما . أو عن أحدهما . حتى مات فاستيقظ ولكن بعد فوات الأوان .

فالاستيقاظ للموت — ينفع قبل نزوله . إذ يبعث على العمل ، لا بعد نزوله : حيث المسئوليـــة والجزاء ، ويقول الغافل اللاهى فى دنياه : (يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله) .

ولو انتبهنا — لتصورنا الحقيقة الواقعة . فبينما الإنسان يرى مسروراً بشبابه ، متمتعاً بصحته ، وبأهله وماله وأصحابه ، وتفيس ثيابه وحسن حاله وعظيم اكتسابه . معجباً بجاهه ومقامه ، واحترامه وإكرامه ، وربما كان عاكفاً على لهوه ، غارقاً فى بحر صفوه . لا يخطر له ذكر الموت على بال . كأنه حصل على أمان منه أو ضمان . إذ هجمت عليه أوجاعه ، وتغيرت طباعه ، وأظل حبله ووداعه ، وضعفت قواه ، وقل نشاطه ودفاعه ، فأصبح ذا بصر حائر ، وقلب طائر ونفس غائر ، وأنين وألم ، وأخذ يتذكر مفارقة أهله ومسكنه ، وانتزاع روحه من بدنه ، ثم يشتد به المرض ، والطبيب يقلب كفيه ، والعائد يحول عينيه ، والأهل والأحبة يبكون . وماذا ينفع البكاء ، إذا تحكم القضاء ، وإذا وقعت الواقعة ، وقد بلغ الأجل منتهاه — خرجت الروح من رجليه ، وما تزال تخرج من مكان إلى آخر فى بدنه ، حتى تصل إلى أعلى الصدر . حيث الغرغرة ، وقد قال ﷺ :

«(١)إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» ، ثم لا يزال الإنسان يعالج سكرات الموت . وشدائده . ويشتد به النزع ، وقد تتابع نفسه واختل نبضه ، حتى يتعطل بصره . كما تعطل قبل ذلك لسانه ، ثم يتم فراق روحه جسده .

ولنا : فى تعطيل السمع أخيراً — انتباه : لآية من آيات الله ، الذى جعل إحساس حاسة السمع آخر إحساس فى حركة الحياة .

ولذلك يتحقق النوم باختفاء ذلك الإحساس : قال تعالى فى نوم أهل الكهف ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً (فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً) ، وفى نومه ﷺ : وقد حضر وهو شاب بمكة عرساً لبعض أهلها . شاء الله تعالى . القائل : «الله أعلم حيث يجعل رسالته» ، أن يحفظه عما فيه . من لهو وغناء — قال ﷺ : «فضرب على أذنى فما أيقظنى إلا حر الشمس» .

والنوم موت أصغر . والموت نوم أكبر . وقد قال عز وجل : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجـــل مسمى إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) .

ومن الناس من يموت بغير مرض — فجأة ، وموت الفجأة — على الميت وأهله — شديد الوطأة . إلا إذا كان الميت له مستعداً : بالتوبة ، والاستقامة على الدوام . وموصياً من بعده . بالصبر على فقده . ومراعاة

---

(١) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

تعاليم الإسلام بعد موته ، وقضاء دينه(١) الذى لم يتمكن من قضائه فى حياته .

ولذلك — قال ﷺ : «(٢) موت الفجأة راحة للمؤمن . وأخذة أسف للكافر» .

وبعد غسل الميت ، وتكفينه ، وقبل الصلاة عليه وبعدها ينطق وهو محمول بنعشه على الأعناق يقـــول بما أخبر به ﷺ : «(٣) يا إخوتاه ويا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتنى ولا يلعبن بكم الشيطان كما لعب بى أنتم تشيعونى وتدعونى ، والديان يوم القيامة يحاسبنى ويخاصمنى ، وكأنى بالنعش — يقول لكل مشيع للجنازة :

انظر إلى بعقلك   أنا المهيـــأ لنقلك
أنا سرير المنـــايا   كم سار مثلى بمثلك

وبعد : فالقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، وقد قال رسول الله ﷺ «(٤)إنه قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم

---

(١) روى أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه» .

(٢) رواه الإمام أحمد والبيهقى عن عائشة (ض) .

(٣) رواه ابن أبى الدنيا .

(٤) رواه أصحاب الكتب الستة عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب (ض) .

قريباً من فتنة المسيح الدجال . فإن الميت إذا قبر — ردت الروح فى جسده ، ويجلس الرجل الصالح غير فزع بأنيا ويمثل له عمله الصالح فى هيئة رجل حسن الوجه طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول له أبشر . بما أعد الله لك أبشر برضوان الله تعالى وجنات فيها نعيم مقيم . فيقول الميت : بشرك الله بخير : من أنت ؟ فوجهك الذى جاء بالخير فيقول له عمله الصالح : هذا يومك الذى كنت توعد ، وأنا عملك الصالح ، ثم يجيئه ملكا القبر فيمتحنانه ، ويقولان له : ما كنت تعبد ، فيقول : إذ كان الله هداه . كنت أعبد الله ، فيقولان له : هل رأيت الله ، فيقول : ما ينبغى لأحد أن يرى(١) الله ، فيقولان له : . ما علمك بهذا الرجل : « يعنيان محمداً » . ﷺ ؟ فيقول هو محمد رسول الله : جاء بالبينات والهدى ، فآمنا به وأحببناه واتبعناه ، وصدقناه ، فيقولان له : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، وتفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها . يحطم بعضها بعضاً ، فيقولان له : انظر إلى ما وقاك الله ، ثم تفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقولان له : هذا مقعدك . فإنك على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين وينور له فيه ، ويقال له نم صالحاً فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقولان له : نم كنومة العروس . الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، فهو على ذلك الحال . حتى يبعثه الله من مضجعه .

وأما الكافر أو المنافق(٢) أو المرتاب — فإنه إذا وضع فى قبره —

---

(١) أى بالبصر قال تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .

(٢) أى يقال ذلك الآتى : إما للكافر أو المنافق أو المرتاب . نظراً لاختلاف الروايات . وهم - فى الجزاء - سواء .

أتاه ملكان أسودان أزرقان . يحفران الأرض بأنيابهما . لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض . أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ، ونفسهما كالريح العاصف . معهما مرزبة(١) . من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض — ما أقلوها . خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق الطير ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع . يقال لأحدهما . المنكر وللآخر النكير فينتهرانه . ويجلسانه فزعاً مشعوباً(٢)، فيقولان له : ما كنت تعبد ؟ فيقول لا أدرى ، فيقولان : لا دريت . ولا تليت ، ثم يقولان له : ما تقول في هذا الرجل — أي محمد ﷺ ؟ فيقول : لا أدرى . وإنما سمعت الناس يقولون شيئاً . فكنت أقول ما يقولون ، فيضربانه بتلك المرزبة ، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين — الإنس والجن — ولو سمعوها لصعقوا ، وتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها . وما فيها من نعيم ، ويقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة إلى النار . فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له . هذا مقعدك ، فإنك على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث ، ويقولان للأرض . التئمي عليه فتلتئم عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال في قبره معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه » .

فيأيها المسلم :

اتق الله ، واذكر الموت وما بعده ، ولا تغتر بشباب وصحة ، ولا جاه ولا مال ، فالموت بالباب ، وكل آت قريب ، ولا يمنعه

---

(١) مقمعة .   (٢) غير ثابت من الخوف .

حاجب ولا حارس ولا بواب ، ولا يقبل بديلا ، ولا يأخذ كفيلا ، ولا يرحم صغيراً ، ولا يوقر كبيراً ، وبعده الأهوال الثقال . في القبر ويوم الدين ، ولا يقي شرها وضرها سوى صالح الأعمال (يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) .

قال رسول الله ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » رواه أحمد ، والترمذي وقال : حسن : عن شداد بن أوس رضي الله عنه .

الحث على الاتحاد

الحمد لله ، الذى حث على الاتفاق ، وحذر من النزاع والشقاق ، وقال (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) .

وأشهد أن لا إله إلا الله : جعل المحبة سبيل الحياة الهادئة فى دنياه وأخراه ، وقـــد أعلن حبيبه ومصطفاه — إظلال المتحابين فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : جل علاه ، والويل لمن حرم ذلك الظل يوم الدين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، وهو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، القائل : (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله : اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله : عز وجـــل خالياً ، ففاضت عيناه(١)) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، ففاز بحبه تعالى : فى هذه الحياة ، ويوم يقوم الناس لرب العالمين .

---

(١) رواه الإمام أحمد ، والبخارى ، ومسلم فى صحيحيهما ، والنسائى : عن أبى هريرة (ض) .

أما بعد : فيأيها المسلمون :

قال الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

فى هذا القول الكريم — يأمر تبارك وتعالى بالاعتصام بحبله ، الممدود من السماء إلى الأرض ، وهو كتابه الكريم : كما صرحت السنة النبوية الشريفة .

ويتحقق هذا الاعتصام — بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وتجنب أسباب الفرقة ، التى هى سبيل الشيطان — إلى احتلال القلوب ، وسبيل الطغيان إلى استعمار الشعوب ، فنى اجتماع الأمة — سيادتها ، وفى اختلافها — سيادة غيرها عليها .

ياقوم :

إن حياة الجسم — فى ارتباط أعضائه ، وقيام البيت — فى تماسك بنائه ، وبقاء الوطن — فى اتحاد أبنائه .

لقد كان موسى الكليم : عليه السلام - مرجواً من الله بالوحى مؤيداً من لدنه بالبينات والهدى ، فاتجه - إلى الله - أن يرسل - معه - أخاه : لتكون رابطة الأخوة - مع معجزة النبوة : (قال سنشد عضدك بأخيك) .

وانظروا : كيف كان بناء المجد الأول : فى مهد العروبة الأولى ، على يد

خاتم النبيين : صلوات الله وسلامه عليه ، حين أشرق النور على القلوب من الأفق الأعلى وجاءت كلمة الاتحاد ـ شعارا لموكب التوحيد .

وفى معيته الحصينة : بنور الله — تصافح الأوس والخزرج — بالأيدى الندية ، بعد الحراب الدامية ، والحروب المفنية : مدة عشرين ومائة عام .

يا قوم :

لقد هاجر المؤمنون الأحرار — إلى الخيرين الأبرار ، فوجدوا مكان الديار ـ ديارا ، وبعد الأهل ـ إخوة ، وأنصارا : يؤثر أحدهم أخاه على نفسه : فى السلم — بقوت أطفاله ، وفى الحرب بالماء ، الذى يحفظ رمق حياته ، واقتسموا محبة الأرواح والقلوب ، قبل أن يقتسموا نعمة الدنيا ، حتى أوشك الجار أن يرث الجار .

لقد انتزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوازع البغضاء ، والاستئثار بالدنيا من قلوبهم حين قال لهم : ((١) لا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا تنافروا ، وكونوا عباد الله إخوانا) وحين قال : ((٢) لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) فالذى يبدأ بالسلام — يسبق إلى الجنة دار السلام .

لقد اعتصم سلفنا الصالح بشريعة الله ، الذى حبب إليهم الإيمان ، وزينه

---

(١) رواه مسلم : عن أبى هريرة (ض) .

(٢) رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى : عن أبى أيوب (ض) .

فى قلوبهم ، فأصبحوا بنعمته إخواناً : يدينون بالطاعة لله الذى أذعنت — لأمره — السماء ، مع الأرض (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فتلألأت أنوار النبوة فى قلوبهم — كما ينعكس ضوء القمر الساطع فوق جبين الأمواج .

وأصبحت قلوبهم - مرآة لصفاته القدسية ، وأنواره الربانية : يجاهدون حول راية قائدهم بأموالهم وأنفسهم ينثرون الأموال براً وجهاداً ، أو ينثرون الأرواح تضحية ، واستشهاداً : تكبيرهم فى ساحة الميدان — صدى لتكبيرهم للصلاة ، والأذان : تقطر سيوفهم دماً فى وحدة صفوفهم عند النضال ، وتقطر عيونهم دمعاً من خشية ذى الجلال : قد جعلوا دينهم مفتاح دنياهم ، وهجروا مساكنهم ، فأصبحت أرض الله كلها لهم - مسكناً .

أرأيت إلى الجواهر المتناثرة : كيف انتظمت عقداً حالياً ، وإلى اللبنات المبعثرة كيف أصبحت طوداً عاليا : وإذا كانت الجسور — تقاوم السيل الجارف ، أو الجبال — تصد الريح العاصف - فلا شىء فى الدنيا - يقف أمام أمة تعبر عن إرادتها بنداء وحدتها .

يا قوم :

إن همم الأحرار - من سنن الأقدار ، الاتحاد - ينشىء التاريخ - ولا غالب إلا الله لقد علم الاتحاد الأحرار فى عهد سيد الأبرار ﷺ كيف يزهدون فى الدنيا وهى فى أيديهم ، ويتواضعون بها وهم حكامها ، ويخشون الله فيها وهى تحت أقدامهم سجدوا لرب واحد : فى صف واحد وصنعوا المجد بفضائلهم ، لا بزخرف الألقاب ، وبأعمالهم لا بالأحساب والأنساب.

وأصبحوا حزب الله ، الذى تفنى فيه الأحزاب ،وأنقذوا الجماعة من كل عابث مرتاب : ترى الكبير بينهم أخاً للصغير ومواسياً للفقير : انتباهاً ، انتباهاً : حرس خليفتهم عمر رضى الله عنه - النائمين فى الظلام ، وحمل الدقيق على ظهره - إلى مربية الأيتام ، وهو الذى رفع - فى المعركة - الأعلام ، ونشر - على الدنيا - السلام .

ويا قوم :

أفلا يستطيع هذا الماضى الذهبى - أن يضفى - بسحره الباهر ، ونوره الوهاج - على السرائر ، والقلوب ، مرة أخرى .

أيها المسلمون :

إن الخلاف ولو فى أيسر الحدود - تمتد شروره : كالحريق فالخلاف بين الزوجين أو الشريكين - فى هذه الحياة - يهدم سعادتهما ، ويسمم مشاعرهما ويوقد الجمر - تحت الرماد وينمى الحشرات القاتلة : فى قلب النبات الأخضر ، وإن الخصومة فى القرية - تحصد زراعتها قبل أن يحصدوا زرعهم وتقتل بسم الأحقاد قبل الوباء والجراد فالقرية تسكن تبنى بسلامة الصدور قبل بنائها بالأحجار والصخور وتكون آمنة مطمئنة إذا سكنت بالمؤمن الذى لا يقول نفسى نفسى بل يقول . أمتى ثم يقول نفسى .

ثم إن الإسلام - حين بشر دعائم الاتحاد - يكفل - للأفراد والشعوب خير الأعمال والمعاملات ويهدى إلى طيب الحياة وأرفع مكانة فى الوجود وأعلى مقام فى الخلود .

ألا وإن ارتباط الأمة واتحادها وترك التنازع فيما بينها - هو العامل الاول لبلوغها - أهداف الكمال وتحقيق حسن المآل .

ويصون للأمة وحدتها أنها ـ لا تتخذ بطانة ، ولا أصدقاء ولا أولياء ولا أصفياء ممن يحرصون على ألا تتحقق أهدافها وممن يرون أن مصلحتهم ضد مصلحتها ويودون ـ من صميم قلوبهم ـ ضرها . وشرها . وهلاكها . ويبدو ما يودون على صفحات وجوههم . ومن عثرات ألسنتهم . ونفثات أقلامهم . وما تخفى صدورهم . من الحقد والغيظ ـ أعظم . وأكبر مما يظهرون .

فعلى المؤمنين ـ أن يستبينوا الهدى . فى قوله تعالى . (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) .

فيأيها المؤمنون :

اتقوا الله ، ولا تغتروا بمعسول القول من أعدائكم ، ووحدوا صفوفكم ، واعتصموا بدينكم وشريعتكم ، وبما لديكم : من كنوز ، يعتز بها التاريخ : فى جميع أجياله ، واتخذوا كل ما تستطيعون : من وسائل القوة ، فإذا بغتكم عدو ، أو تحرش بكم معتد — كنتم على استعداد للقائه وإقصائه : بهذا — ترهبون من تعرفون من أعدائكم ، وأعداء أمتكم ، وتخيفون من لا علم لكم بعدوانهم .

— ولكن الله يعلمهم — وتقون أنفسكم من الظلم ، وتنعمون بالسلامة ، وتتمتعون بالكرامة ، واعلموا أن ما تنفقون — فى سبيل اتخاذ وسائل القوة ، والدفاع عن الدين ، والنفس ، والعرض ، والمال — يخلفه الله تعالى : عليكم : فى الدنيا ، ويجزيكم به خيراً فى الآخرة :

(والآخرة خير وأبقى) ، وانتبهوا لقوله : تعالى : (وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون .

قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) : رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي : عن أبي موسى : رضى الله عنه .

صلة أرحام ذوى القربى وإن كانوا قاطعين

الحمد لله ، الذى أوجب صلة الأقارب ، وحذر من مقاطعتهم ، وكان عوناً للواصلين .

وأشهد أن لا إله إلا الله : أمر بالوفاء بحق الأقارب ، فهم أحق الناس ببر الإنسان وعطفه ، وعونه ، ومودته : قال تعالى : (وآت ذا القربى حقه) .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، القائل : ((١) أسرع الخير ثواباً — البر ، وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة — البغى ، وقطيعة الرحم) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن وصل رحمه ، فوصله الله ورحمه .

أما بعد :

فيأيها المسلمون :

أوجب الله تعالى صلة الأقارب ، والإحسان إليهم ، غرساً لبذور المحبة فيهم ، وتوثيقاً للروابط بين أفراد الأسرة ، لتكون متآلفة ، متناصرة ، متماسكة البناء ، قوية الدعائم : قال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى) .

---

(١) رواه ابن ماجه : عن أم المؤمنين عائشة (رض) .

وقد اعتبر : جل شأنه — قطع الأرحام — جرماً كبيراً ، وذنباً عظيماً وجعله قريناً للإفساد فى الأرض : قال تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) .

ولعظم العناية بالأرحام — أمر سبحانه — بتقوى الأرحام ، عقب الأمر بتقواه ، فقال : جل علاه : (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) أى واتقوا قطيعة الأرحام .

نعم : الأقارب هم اللبنة الأولى فى بناء الأمة ، ولذلك كانت رعايتهم — رعاية لها ، والعناية بهم — توفيراً لسلامتها ، وأمنها ، وقد جعل تبارك وتعالى ـ القريب أحق بنصرة قريبه ، وميراثه ، فقال عز من قائل : (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم) .

ومن العناية بالأرحام ـ أن حرم تعالى ـ الجمع فى الزواج بين المرأة وأختها ، وبينها وبين عمتها ، وبينها وبين خالتها قال تعالى : فى معرض ذكر المحرمات من النساء : (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف) وروى ابن حبان فى صحيحه ـ أن النبى ﷺ نهى أن تزوج المرأة على العمة . والخالة وقال : (إنكن إذا فعلتن ذلك ـ قطعتن أرحامكن) .

وحكم الرسول عليه الصلاة والسلام بحرية العبد إذا دخل فى ملك قريب له ، محرم منه برّاً به وصلة للرحم : قال صلوات الله وسلامه عليه «(١) من ملك ذا رحم محرم منه ـ فهو حرّ» .

(١) رواه أحمد : فى مسنده ، وأبو داود ، والترمذى ، والحاكم فى المستدرك عن سمرة (ض) .

ورغب ﷺ فى صلة الرحم ، حيث جعلها وسيلة إلى السعة فى الرزق والبركة فى العمر ، والفوز بحسن الثناء ، ودوام الذكرى الطيبة قال صلى الله عليه وسلم . « (١) من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره ـ فليصل رحمه » .

وأكد الرسول الرغبة فى صلة الرحم إذ اعتبرها سبيلا للحصول على شرف الصلة به سبحانه ، والتعرض لعظيم فضله وكرمه ، وجعل القطع سبباً فى البعد عنه ، والحرمان من رحمته وعونه . قال ﷺ « (٢) إن الله تعالى خلق الخلق ، حتى إذا فرغ منهم ـ قامت الرحم ، فقالت . هذا مقام العائذ بك من القطيعة : قال : نعم . أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت . بلى . قال . فذلك لك ، ثم قال رسول الله ﷺ اقرءوا إن شئتم . « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

وجاء رجل إلى النبى ﷺ يخبره بتأكيد ـ من حاله مع أقارب له . كان شديد الضيق بما يلقاه منهم . (٣) ليشعر الاهتمام به ، فذكر أنه ـ ينهج ـ معهم نهجاً قويما حميداً ، ويعاملهم معاملة فاضلة كريمة . يصلهم ، ويحسن إليهم ، ويتجاوز عن زلاتهم ، وهم يقابلون ذلك بالقطيعة والهجر والإساءة إليه ، وظلمه ، والعدوان عليه .

فتلقى صلوات الله وسلامه عليه شكوى الشاكى . باحتراس واحتياط

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم . فى صحيحيهما . عن أنس (ض) .
(٢) رواه البخارى ومسلم . فى صحيحيهما . عن أبى هريرة (ض)
(٣) هذا وجه تأكيد الرجل لخبره بقوله . أن لى قرابة .

فى إيقاع الحكم . حيث جعله مترتباً على فرض صحة قول الشاكى . قال له : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل » أى الرماد الحار ، وتناول الرماد اليابس — شاق : فى حـــد ذاته . إذ تنتشر أجزاؤه فى الحلق ، ويتعسر ابتلاعها ، وتزداد المشقة . إذا كان الرماد حاراً ، وتتضاعف ، إذا أكره الإنسان على أكله .

وفى هذا — أبلغ تصوير لما يناله أولئك الأقرباء . من الإثم ، والعذاب . بسبب جرمهم . وفى حق من يقف منهم موقف المحسن الكريم ، ويقفون منه موقف الغادر اللئيم .

وإذا كانت الإساءة من الأجنبى — قد تحتمل ، ويهون أمرها . لأنه — لا يتوقع منه صلة ، وبر ، ولا ينتظر منه إحسان ، ولا رعاية — فإنها — من القريب — وهو معقد الرجاء ، ومناط الأمل ، ولاسيما . إذا كان ممن أسديت إليه معروفك — تكون مفاجأة أليمة . وصدمة قاسية ، وطعنة غائرة . لا يرقأ لها دم . ولا يندمل لها جرح . وتتقاصر دونها ضربات السيوف والرماح . كما قال الشاعر[1] العربى :

وظلم ذوى القربى أشـــد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

ولقد بشر الرسول : صلوات الله وسلامه عليه ذلك الشاكى — بأن الله تعالى — يكون معه بالعون والتأييد والنصرة على أولئك الأقرباء ، القاطعين . المسيئين . الظالمين ، مادام ملتزماً للمنهج السديد ، والمعاملة الكريمة . وفى هـــذا — حث الشاكى على الاستمرار فى طريق البر

(١) هو طرفة بن العبد فى معلقته ..

والإحسان ، وعدم المبالاة بما يلقاه . من عقوق وعدوان ، فقد يكون — فى ذلك — إفاقة أقربائه ، وتحننهم لخيهم . وإيقاظ روح المودة عندهم كما قال جلت حكمته : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

أيها المسلمون :

اتقوا الله ، وصلوا أقرباءكم ، وأحسنوا إليهم ، وكفوا عن إساءتهم ، واحذروا مقاطعتهم . وبخاصة : إذا كانوا لكم واصلين ومحسنين . واعلموا أن كمال عون الله تعالى ، وتأييده لمن أحسن إلى قومه ، وصبر على أذاهم ، ولم يقابل قطيعتهم بقطيعة .

منحنا الله تعالى التوفيق لصلة الرحم . والوفاء بحق القرابة ، وجعل ذلك وسيلة إلى شرف الصلة به . ومزيد تكريمه . وجزيل عطائه (إن ربى لسميع الدعاء) .

روى مسلم فى صحيحه : عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله . إن لى قرابة(١) : أصلهم ويقطعونى(٢) ، وأحسن إليهم .

---

(١) أى أقارب : من استعمال المصدر فى الصفة ، أو الكلام على حذف مضاف ، أى ذوى قرابة ، وهى الرحم ، والنسب .

(٢) أصل : ويقطعونى — ويقطعوننى . بنون الرفع ، ونون الوقاية : حذفت نون الرفع : تخفيفاً ، ومعنى أصلهم ويقطعونى أتودد إليهم ، ويهجرونى ، ويبتعدون عنى .

ويسيئون إلى ، وأحلم[1] عنهم ، ويجهلون على . فقال : لئن كنت كما قلت — فكأنما تسفهم[2] المل[3] ، ولا يزال معك من الله ظهير[4] عليهم ما دمت[5] على ذلك » .

---

(١) أى أصفح ، وأستر ، وأصبر على أذاهم ، وأتجاوز عن هفواتهم ويجهلون ، ويسفهون على ، ويعتدون على ، ويخطئون فى حقى ، وينالون منى ، ويلحقون بى الأذى .

(٢) مضارع : أسف . وأصله : من سففت الدواء . أسفه : من باب . تعب : سفا : إذا أكلته غير ملتوت . أى غير ممزوج بشىء من الماء .

(٣) الرماد الحار .

(٤) معين .

(٥) هو ما ذكر : من حسن صنيعه . مع ما يلقاه من أقاربه : من سىء الأعمال . والحديث يرشد إلى مقاصد حسنة . سامية . منها المظلوم أن يشكو ظالمه ، ويجهر بذكر مساوئه . . ، ويلفت قوله ﷺ : « لئن كنت كما قلت » — إلى أن الحاكم عليه أن يتلقى بحذر . كلام أحد الخصمين ، ويتثبت قبل إصدار حكمه ، ويرشد كذلك الحديث الشريف إلى التنويه بصلة الرحم . وأداء حق القرابة . وتقبيح قطع القريب . والإساءة إليه ، ولاسيما إذا كان واصلا محسناً ، وإلى لفت القريب المسىء إلى الكف عن الإساءة لمن أحسن إليه : اتقاء لسوء العاقبة ، وكمال عون الله تعالى وتأييده لمن أحسن إلى أقاربه ، وصبر على أذاهم ، وتوجيه المؤمن إلى أن يكون — على الدوام — عالى الهمة . متزوداً من الطيبات ، غير مبال بما يعترضه من صعاب ، وعقبات ، وكذلك — يرشد الحديث =

. . . .

= إلى التذكير بصفات المحسن إلى أقاربه ، وبصفات المسىء إليهم : تحريضاً على صفات المحسن . . . ، وتحذيراً من صفات المسىء ، ويؤخذ – من الحديث – أن المتكلم أن يؤكد خبره : ليثير اهتمام السامع به ، وأن المرشد ، والناصح ، والداعى إلى الخير – أن يوضح كلامه ، ويجلى المعنى : باستخدام أسـلوب التشبيه ، والله تعالى ولى التوفيق ؟

كلمـــة الختام[1]

ومنها — يأخذ الخطيب — خطبة النعت ، وهى الخطبة الثانية للجمعة ، والعيدين ، وفى بدئهـــا : فى العيدين — يذكر : (الله أكبر) سبع مرات مفردة .

(*) الحمـــد لله ، المبدىء المعيد ، ذى العفو الواسع ، والبطش الشديد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، ذو العرش المجيد .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، المبشر النذير ، أشرف من أظلت السماء ، وحملت الأرض ، وانتفع — بهديه — تقى حريز سعيد .

اللهم صل ، وسلم على ذلك الرسـول المبارك الكريم ، وعلى آله ، وصحبه ، أولى المعونة على الطاعة والتأييد — صلاة ، وسلاماً — دائمين متلازمين : بفضل الله الغفور الودود .

---

(١) خطبة النعت — مكونة من الكلام ، الواقع بين علامتين على هذه الصورة .

أما بعد :

فمن هداه الله تعالى — فهو السعيد ، الرشيد ، ومن أضله — فهو الطريد البعيد ، وهو : تبارك . وتعالى — يعلم ما ظهر وما بطن ، وما خفى وما علن ، وهو أقرب لكل إنسان من حبل الوريد ، ورغب فى ثوابه ، ورهب من عقابه ، وله تعالى — الحجة البالغة ، فقال : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

وكل عاقل عارف ربه ، محب لنفسه ، حريص على خيرها ، والسلامة من شرها — لا يعمل إلا صالحاً ، ولا يقول إلا حسناً : ليفوز بالثواب ، وينجو من العقاب .

ولقد من الله : جل علاه — وله الحمد الموصول — بكتابتى لهذا الديوان ، الذى أرجو أن يكون حظه القبول ، وأن ينفع — به النفع العميم — كاتبه ، وقارئه ، ومستمعه ، وجميع المسلمين .

« اللهم حقق رجاءنا ، وبلغنا بما يرضيك آمالنا ، وكن لنا ، لا علينا ، وأيد وحدتنا ، ووحد كلمتنا ، واكفنا ما أهمنا ، وأرنا الحق حقاً ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، وأصلح أحوالنا ، واغفر جميع ذنوبنا ، واحفظنا

من كل ضر وسوء : فى جميع أوقاتنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، مع الذين أنعمت عليهم ، واهدنا صراطاً مستقيماً : (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) واغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) ، ووفقنا اللهم على الدوام للعمل بقولك : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ؟

محمد مصطفى أبو العلا — الشهير : بحامد

دليل الديوان ـ الفهرس

للجزء الثـــانى

الصفحة	الموضوع
٣	الترهيب من المكر السيء
١١	حب الظهور يقصم الظهور
٢٠	الوقاية من العين والدواء منها
٣١	خطبة موضوعها : تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وفى هذه الخطبة — توجيه الطلبة فى موسم الامتحانات إلى التزام المنهج السوىّ على الدوام : إرضاء لله تعالى
٢٩	استقبال رجب
٤٨	استقبال شهر رجب بما يمنح المرء القبول
٥٤	١ — ذكرى الإسراء والمعراج
٦٣	٢ — ذكرى الإسراء والمعراج
٧٢	استقبال شهر شعبان المبارك
٨٤	الحث على العمل الصالح فى شهر شعبان المبارك
٩١	انتهاز فرصة ليلة النصف من شعبان لكسب الخير
٩٨	الحث على سلامة الصدر من الحقد بمناسبة ليلة النصف من شعبان
١٠٥	استقبال شهر رمضان المعظم
١١٦	إرشاد الصائم فى رمضان
١٢٢	ذكرى غزوة بدر
١٢٧	إرشاد الصائم فى شهر رمضان : يخطب بها فى استقبال ليلة القدر
١٣٢	التذكير بفتح مكة المكرمة

الصفحة	الموضوع

تم بحمد الله الجزء الثانى

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٣٧٣ لسنة ١٩٨٠

مطبعة رفاعى

١٢ ش أحمد رفاعى خلف التعاون بالهرم